

أولِنكا روبلاك

الفلكي والساحرة:

دفاع يوهانس كِپْلر عن أمه



ترجمة:
د. موسى الحالول



أولِنكا روبلاك

الفَلَكيُّ والساحِرة:
دفاع يوهانس كِپْلر عن أُمِّه

ترجمة د. موسى الحالول

مراجعة د. خالد المصري

KK270.7.K46 R82125 2022

-Rublack, Ulinka, 1967

الفلكـي والسـاحرة: دفاع يوهانس كِپْلر عن أمه / تأليف أولنكـا روبـلاك ؛ ترجمـة موسـى الحالول ؛ مراجعة خالد المصري. ـ ط. 1. ـ أبوظبي : دائرة الثقافة والسياحة، كلمة، 2022.

ترجمة كتاب : The Astronomer and the Witch: Johannes Kepler´s Fight for his Mother

تدمك: 978-9948-803-92-8

1- كِپْلر، يوهانس، (1571- 1630). 2- الفلكيون الألمان- تراجم. 3- المحاكمات- السحرة- ألمانيا. أ- حالول، موسى. ب- مصري، خالد. ج- العنوان.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:

Ulinka Rublack

The Astronomer and the Witch: Johannes Kepler’s Fight for his Mother

Originally published in English in 2015. This translation is published by arrangement with

.Oxford University Press

صدر بموافقة مكتب تنظيم الإعلام- وزارة الثقافة والشباب- رقم الطلب MC-03-01-9200983.

طبع في المتحدة للطباعة والنشر- أبوظبي- 80022220





مشروع «كلمة» للترجمة بمركز أبوظبي للغة العربية في دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي غير مسؤول عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر وجهات النظر الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة عن رأي المركز.

الفَلَكيُّ والساحِرة

«مكتبة ♔ النخبة»

الجدول الزمني لأبرز التواريخ

في حياة يوهانس كِپلر وأهم مؤلفاته، 1571-1620

1571	مولد يوهانس كِپلر في 27 ديسمبر في ڤايل دير شتات؛ والداه هما هاينرِش كِپلر وكاتَرينا كِپلر، وكنيتها الأصلية غولدِنموند
1575	تنتقل أسرة كِپلر إلى بلدة ليونبيرغ القريبة، في إقليم ڤيرتِمبيرغ الذي يتبع المذهب اللوثري
1578	يدخل يوهانس كِپلر المدرسة اللاتينية المحلية
1579	تنتقل الأسرة إلى إلمِندِنغِن في بادِن
1583	يعود يوهانس كِپلر إلى ليونبيرغ ويجتاز امتحاناً من أجل منحة دراسية في شتوتغارت
1584	يلتحق يوهانس بمدرسة النخبة الداخلية في آدِلبيرغ
1586	ينتقل إلى مدرسة النخبة الداخلية في ماوْلبرون

يلتحق يوهانس بجامعة توبِنغِن	1589	
	1590	
	1591	يموت والده هاينرش
يحصل على أول شهادة ويظل في توبِنغِن لدراسة اللاهوت	**غْراتس**	
	1594	يبدأ يوهانس كِپلر تدريس الرياضيات في المدرسة الپروتستانتية لأبناء الأسر الأرستقراطية
	1596	
ينشر كِپلر كتابه الأول، «سِرّ الكون»	1597	
	1598-1600	
	پراغ	يتزوج من باربرا مولر، وهي من المذهب اللوثري
يضطر يوهانس وباربرا إلى مغادرة غراتس في أكتوبر 1600	1600	
	1601	
	1601	يوهانس كِپلر يتعاون مع الفلكي تيكو براهي
ينشر كتابه، «الدفاع عن تيكو ضد أورسوس»	1602	
	1604	يموت تيكو، ويصبح كِپلر أستاذ الرياضيات الإمبراطوري بتعيين من رودولف الثاني
مولد ابنته سوزانا	1606	

ينشر كتابه «عن النجم الجديد»

يسافر يوهانس كِپلر إلى ڤيرتِمبيرغ؛ ينشر «علم الفلك الجديد»؛ وأطروحة في علم التنجيم بعنوان «تدخل الطرف الثالث»

موت باربرا مولر؛ ينشر «علم البصريات»

يضطر يوهانس كِپلر إلى مغادرة پراغ مع طفليه بسبب الإصلاح المضاد ويجد منصباً جديداً بصفة أستاذ للرياضيات في المناطق النمساوية الداخلية في لِنْس

1607

1609

1610

1611

1612

لِنْس

1612

1613

1615

1617

1617-1619

1618

1619

1620

ينشر أطروحته عن البصريات

مولد ابنه لُدڤِغ

يرد على اكتشافات غاليليو في «حديث مع رسول فلكي»

موت رودولف الثاني

يتزوج زوجته الثانية سوزانا رويْتِنغَر

يسافر يوهانس كِپلر إلى ڤيرتِمبيرغ لمساعدة والدته

بداية حرب الثلاثين عاماً؛ يبدأ كِپلر بنشر كتابه المدرسي،

تُتهم كاترينا كِپلر
بممارسة السحر

«خلاصة الفلك
الكوپرنيكوسي»

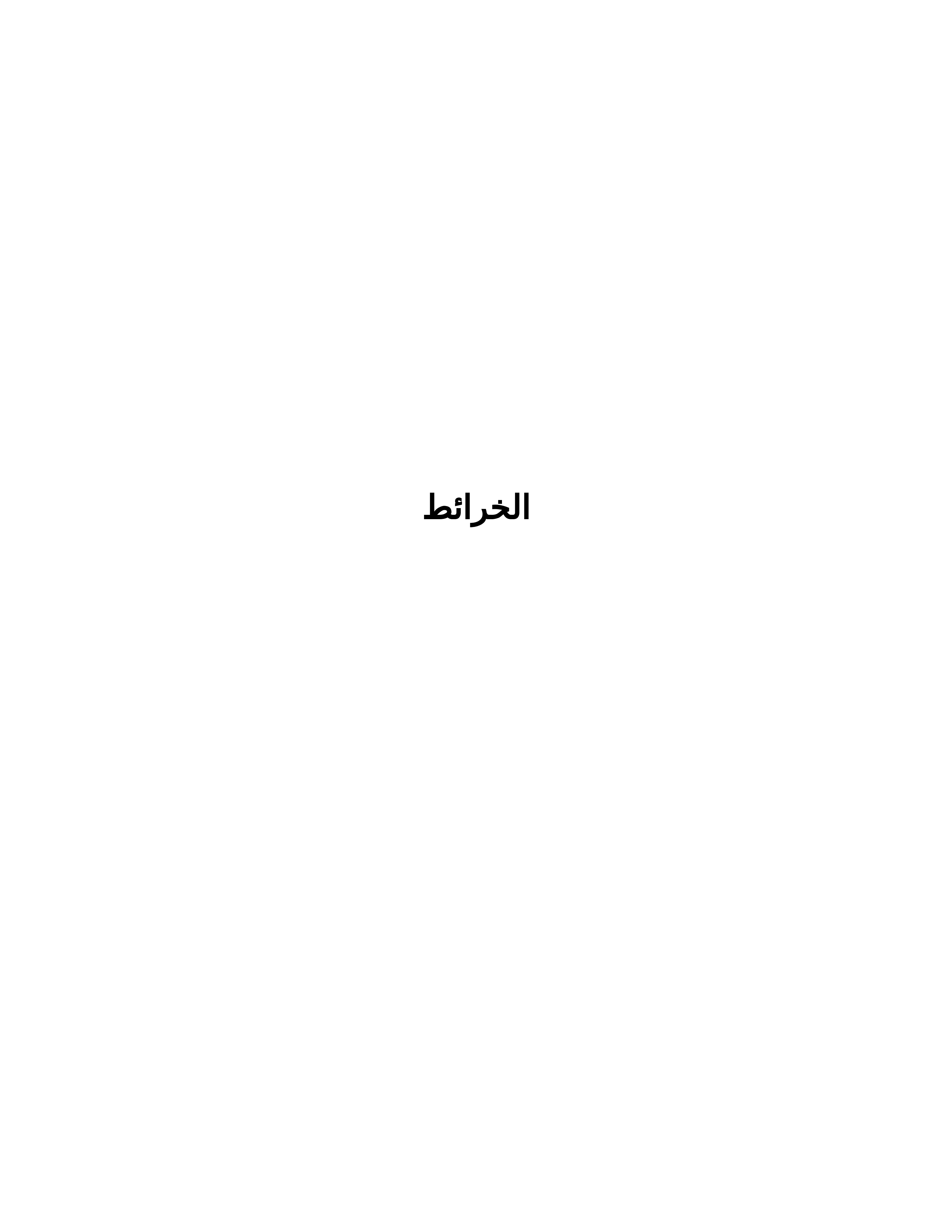
«الصحف الجديدة»

يسافر يوهانس كِپلر
إلى ڤيرتِمبيرغ للدفاع
عن والدته

ينشر كتابه الأهم،
«تناغم الكون»

ملحوظة على التواريخ

بدأ العمل بالتقويم الغريغوري في الأراضي الكاثوليكية الألمانية عام 1582 بعد مرسوم البابا غريغوري الثامن المعروف باسم «إنتر غرَڤِسيمَس» (من بين الأخطر). وكان من نتائجه المباشرة حذف عشرة أيام، كما حُذفت أيام أخرى وفقاً لجدول زمني محدد للسنوات المقبلة. لكن معظم الأراضي الپروتستانتية، بما في ذلك ڤيرتِمبيرغ، واصلت العمل بالتقويم اليولياني. ولهذا كان الفارق بين المناطق الپروتستانتية والكاثوليكية أكثر من عشرة أيام.



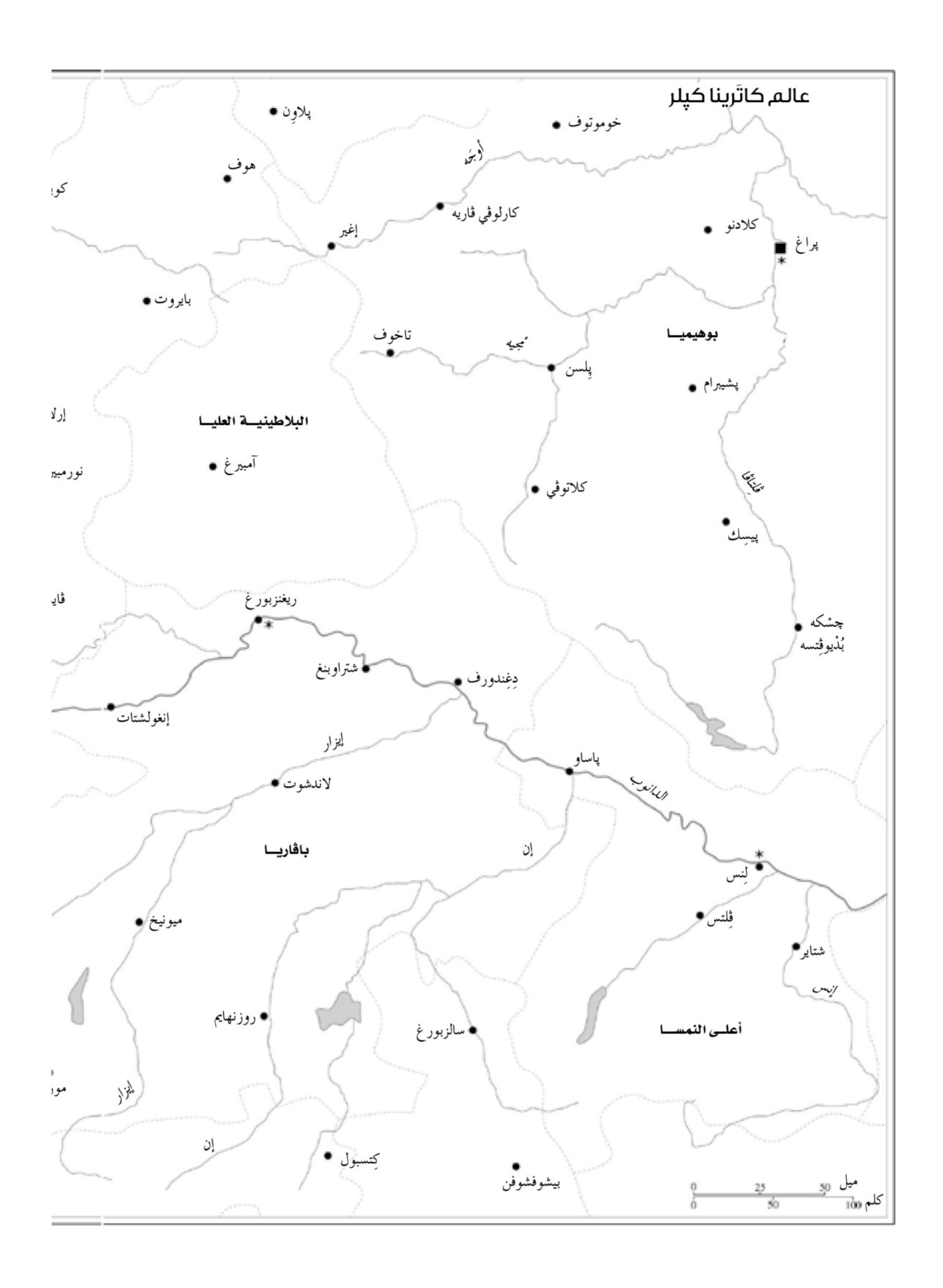
الخرائط



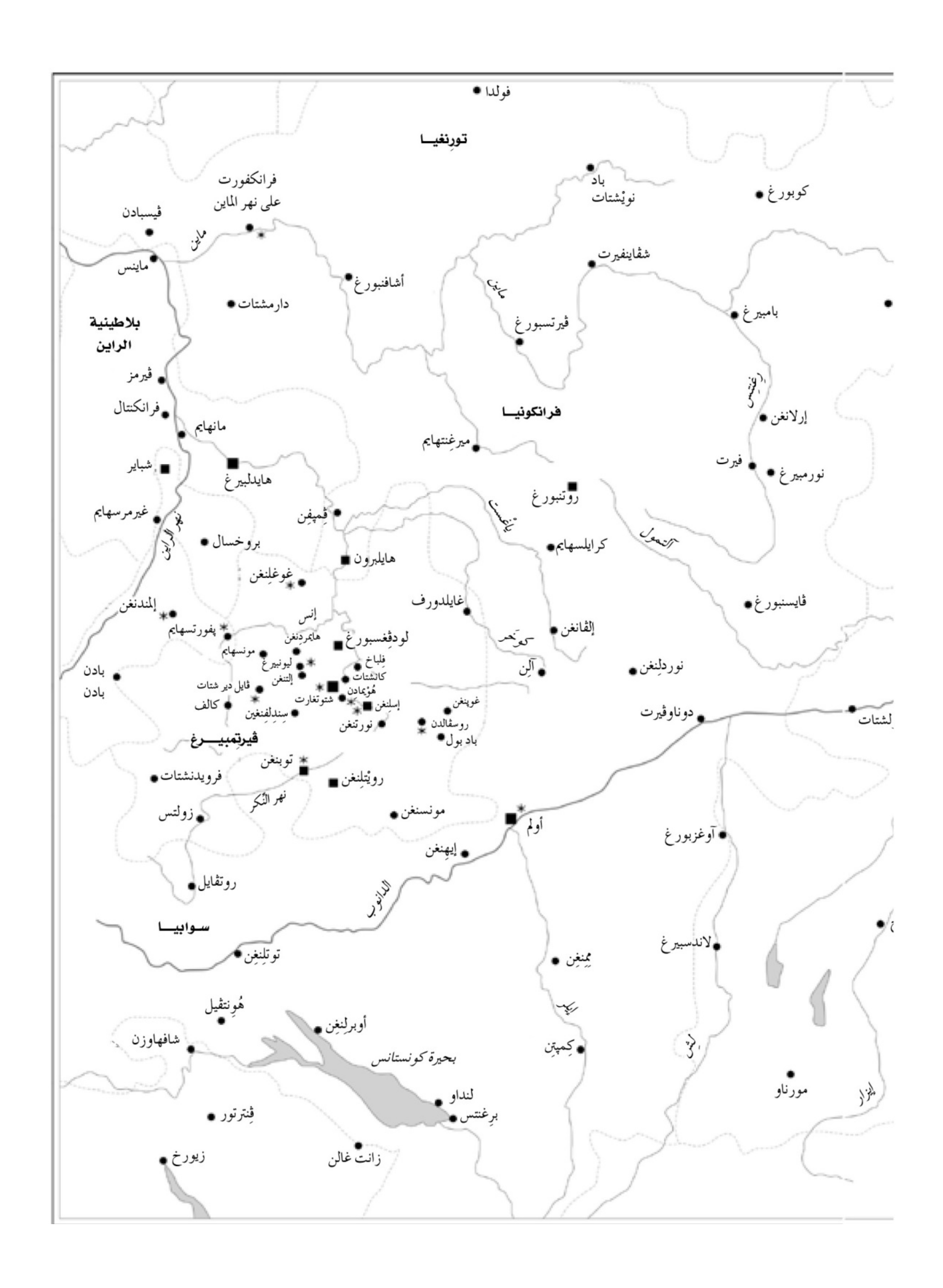
عالم يوهانس كِپلر
بحر البلطيق
شترالزوند
كيل
لوبك
روستوك
هامبورغ
مكلنبورغ
شتتين
لونبورغ
بومِيرانيـا
دانزيغ
إلبنغ
إيرملاند
بروسيا
بولنـــدا
وارسو
براندنبورغ
برلين
فرانكفورت على نهر الأودر
نهر الأودر
ماغدبورغ
هالبرشتات
ديساو
أنهالت
هالي
لايبزغ
لوتزن
زاغان
برسلاو
درسدن
ساكسونيا
إرفورت
ڤايمار
كمنتس
زڤيكاو
فريدلاند
سيليزيا
ڤيستولا
إيغر
براغ
بوهيمـيـا
پلسن
أولموتس
البلاطينية
العليا
نورمبيرغ
مورافيـــا
ريغنزبورغ
بدڤايز
إنغولشتات
نوردلنغن
دوناڤيرت
لاندشوت
پاساو
باڤاريا
لِنس
ڤلتس
ڤيينا
برسبورغ
آوغزبورغ
ميونخ
النمسا السفلى
أعلى النمسا
سالزبورغ
بودا
إنزبروك
شتوريا
غراتس
الدانوب
تيرول
كارنتيا
الإمبراطــورية
العثمـانيـــة
كارنيولا
جمهـوريــــة البندقية
پادوا
البندقية
0 100 200 ميل
0 100 200 كلم



حدود الإمبراطورية الرومانية المقدسة
الحدود بين الإمبراطوريات والممالك، إلخ، في خارج الإمبراطورية الرومانية المقدسة
الحدود التقريبية لبعض المناطق في داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة
الأماكن التي عاش أو مكث فيها كپلر في حياته
الدنمارك
كيل
هولشتاين
لوبك
هامبورغ
لونبورغ
بريمن
بحر
الشمال
إنجلترا
شرق
فريزلاند
أمستردام
لاهاي
هولندا
المقاطعات المتحدة
زيلندا
بروزنويك
هانوڤر
هِلدسهايم
هالبرشتات
غوتنغن
أوزنابروك
مونستر
بريدا
بيرغن أوپ تسوم
كاليه
دَنكيرك
أنتويرپ
ماسترخت
بروكسل
فلاندرز
برابانت
ليج
يولش
آخن
كولونيا
وستفاليا
هسه
إرفورت
ڤايمار
هالي
آنهالت
هولندا الإسبانية
ناسو
تورينغيا
فرانكفورت على نهر الماين
ڤورتسبورغ
فراتكونيا
موزل
ميوز
واز
باريس
مارنه
لوكسمبورغ
ڤيرمز
مانهايم
ميرغنتهايم
هايدلبيرغ
بلاطينية الراين
روتنبورغ
فورت
نورمبيرغ
ڤردان
مِتس
تسڤايبروكن
شپاير
ڤمپفن
غوغلنغن
هايلبرون
لودبيرغ
ماولبرون
لِيونبيرغ
ڤورتسهايم
شتوتغارت
غوپنغن
ڤايل دير شتات
ڤيرمبيرغ
توبنغن
روسفالدن
روتڤايل
إلڤانغن
نوردلنغن
دوناڤيرت
أولم
آوغزبورغ
ميونخ
نانس
ستراسبورغ
اللورين
بادن
سوابيا
الألزاس
هُونتڤيل
أوبرلنغن
كِمپتن
الراين
ليندا
بال
بحيرة كونستانس
برِغنز
إنزبروك
فرانش
بيزانكون
كونت
فرنسا
بيرن
شور
الاتحاد السويسري
ليه غريزون
تيرول
ساوون
بحيرة جنيڤ
الراين
ڤال
تلين
بحيرة كومو
ساڤوي
ميلان
پو
مانتوا
جمهورية البندقية
پادوا
تورينو
نهر الرون



عالم كاتَرينا كپلر
پلاوِن
خوموتوف
هوف
كارلوڤي ڤاريه
إغير
كلادنو
پراغ
بايروت
تاخوف
مجيه
پلسن
بوهيميا
پشيبرام
البلاطينية العليا
آمبيرغ
كلاتوڤي
ڤلتاڤا
پيسِك
چشكه بُدْيوڤِتسه
ريغنزبورغ
شتراوبنغ
دِغندورف
إنغولشتات
إيزار
لاندشوت
پاساو
الدانوب
باڤاريا
إن
لِنس
ڤِلتس
شتاير
إنس
ميونيخ
روزنهايم
سالزبورغ
أعلى النمسا
إيزار
إن
كِتسبول
بيشوفشوفن
ميل
0 25 50
كلم
0 50 100



فولدا
تورنغيـا
باد
نويْشتات
كوبورغ
فرانكفورت
على نهر الماين
ڤيسبادن
ماينس
دارمشتات
أشافنبورغ
شڤاينفيرت
ڤيرتسبورغ
بامبيرغ
بلاطينية
الراين
ڤيرمز
فرانكنتال
مانهايم
شباير
هايدلبيرغ
فرانكونيـا
ميرغنتهايم
إرلانغن
فيرت
نورمبيرغ
روتنبورغ
غيرمرسهايم
ڤمپفِن
بروخسال
هايلبرون
كرايلسهايم
غوغلِنغن
غايلدورف
ڤايسنبورغ
إلمِندنغن
إنس
پفورتسهايم
هايمردِنغن
لودڤِغسبورغ
إلڤانغن
مونسهايم
ليونبيرغ
فلباخ
آلِن
نوردلِنغن
بادن
بادن
إلتنغن
كانشتات
ڤايل دير شتات
هُوْيمادن
شتوتغارت
كالف
إسلِنغن
غوپنغن
سِندِلفِنغين
نورتنغن
روسڤالدن
باد بول
دوناوڤيرت
ڤيرتِمبيــرغ
توبنغن
فرويدنشتات
رويْتلِنغن
نهر النّكر
زولتس
مونسنغن
أولم
آوغزبورغ
إيهِنغن
روتڤايل
سـوابيـا
توتلِنغن
لاندسبيرغ
ممِنغِن
هُونتڤيل
أوبرلِنغن
شافهاوزن
كمپتِن
بحيرة كونستانس
مورناو
لنداو
برِغنتس
ڤِنترتور
زيورخ
زانت غالن

فاتحة الكتاب

يروي هذا الكتاب قصة عالَم يوهانس كِپلر (1571-1630)، أحد أشهر علماء الفلك في التاريخ. دافع كِپلر عن نظرية كوپرنيكوس القائلة إن الشمس هي مركز الكون، واكتشف أن الكواكب تتحرك في مدارات إهليلجية، وحدد القوانين الثلاثة لحركة الكواكب. وتخليداً لهذه الإنجازات، سُمِّي باسمه كوكبٌ وأحد تلسكوپات وكالة ناسا ومراكب فضائية تبحث عن الكواكب. في نيويورك جادة اسمها جادة كِپلر، وفي روما شارع باسم جيوڤاني كپليرو، وفي باريس شارع باسم كِپلر. جرى تحقيق أعمال كِپلر ذات النطاق الواسع المذهل في خمسة وعشرين مجلداً ضخماً، وهي تشمل بحوثاً متقدمة في علم البصريات والرياضيات بالإضافة إلى كتابات في علم التنجيم والدين. تأخذ أوپرا فِلِپ غلاس المشاهدين في جميع أنحاء العالم إلى ذهن رجل كافح للتوفيق بين الدين والعقل. وهناك روايات درست حياته، لكن جانباً ساحراً من هذه الحياة ما زال بحاجة إلى استكشاف لائق لنعيد تصورنا لهذا الفلكي وزمانه.

***

في 29 ديسمبر 1615 كان كِپلر مع عائلته في بلدة لِنس في النمسا العليا. كان قد بلغ الرابعة والأربعين للتوّ ويستعد لاحتفالات السنة الجديدة، وهذا أهم تاريخ لإرسال التحيات والهدايا إلى رُعاته ذوي الفضل وأصدقائه. فجأةً طرق رسولٌ الباب لتسليم رسالة أُرسلت قبل ثلاثة أشهر. ولما عرف

كِپلر خط أخته، أسرع الرياضي المبجل لدى أباطرة هابسبورغ العظماء إلى فتح الورقة البالية، ليجد أنها لم تحمل إليه إلا أسوأ الأخبار. كانت والدته المسنة قد اتُّهمت بالسحر، وقد رفعت فوراً قضية تشهير في المحكمة على من اتهموها. لكن الحاكم الدوقي في ڤيرتمبيرغ الألمانية نفسه كان أحد المتورطين في الاتهام، فكانت كاترينا كِپلر تواجه عصبةً قويةً. كل هذا حدث في شهر أغسطس. غضب يوهانس كِپلر لأن أخته وأخاه لم يبلغاه فوراً وظن أن في الأمر أكثر مما قد قيل (الصورة 1).

في نهاية المطاف، أدلى 24 شاهداً في بلدة ليونبيرغ الصغيرة بشهاداتهم، بمن فيهم مدير مدرسة البلدة الذي كان صديق ابنها الشهير في المدرسة. فقد اشتكى أن الأرملة الأمية لا تكف عن مضايقته لقراءة الرسائل التي كان يرسلها يوهانس إليها من پراغ (حيث كان أستاذ الرياضيات يعمل في خدمة الإمبراطور رودولف الثاني). كما اخترقت بطريقة سحرية الأبواب المؤصدة لتطالبه أن يكتب لها رسالة إلى يوهانس. زعم مدير المدرسة أن كاترينا أوقفته في الشارع ذات يوم، رغم أنه كان في طريقه إلى الكنيسة. توسلت إليه العجوز قائلةً، «قد أحسنت إلي كثيراً، وعندي نبيذ جيد جداً في القبو. تفضل واشرب». وما إن ارتشف قليلاً حتى شعر بأن فخذيه بدأتا تؤلمانه. وما لبث الألم أن انتشر حتى صار بحاجة إلى المشي على عكازين. وفي النهاية أصيب بالشلل.

دامت الإجراءات التي أدت إلى محاكمة جنائية بحق كاترينا ست سنوات، وقد ورَّطت يوهانس كِپلر وهو في ذروة حياته المهنية. في العمل الرائد الذي أعده للنشر خلال هذه المدّة نفسها بعنوان «تناغم الكون»، قدّم



الصورة 1: صورة ليوهانس كِبلر في كتاب جان جاك بْواسار، «مكتبة الصور» *Bibliotheca Chalcographica*، 1650-1654، عن طبعة مأخوذة من ياكُب فُن هايدن 1620. © مكتبة جامعة كيمبردج.

كِپلر نفسه باعتداد على أنه القارئ المثالي للكون. فقد زعم أن الله انتظر 6000 سنة من أجل «متدبر مناسب» يفقه تماماً تصريفاته في خلقه. بعد عام واحد فقط من نشر «تناغم الكون»، أيقظت ابنةُ كاترينا أمها في الساعات الأولى من يوم 7 أغسطس 1620، إذ جاء الحاكم الدوقي ورجاله لأخذها، وكان ينبغي لها أن تختبئ بسرعة. وحين اكتُشفت، كانت المرأة البالغة من العمر 73 عاماً تستلقي عاريةً تحت أغطية فراشها في صندوق كبير. اقتيدت كاترينا إلى السجن بأمر من الدوق.

تولى أستاذ الرياضيات الإمبراطوري رسمياً المسؤولية القانونية للدفاع عن والدته في العام نفسه. ما كان لأي شخصية فكرية عامة أخرى في ذلك الزمان أن تورط نفسها في دور مماثل. علَّق كِپلر حياته بالكامل في لِنس، فخزن كتبه وأوراقه وأدواته في صناديق، ونقل أسرته إلى جنوب ألمانيا، وقضى ما يقرب من عام وهو يحاول إخراج والدته من السجن. حتى الأصدقاء المقربون لم يتوقعوا أن تنجو كاترينا من الإعدام حرقاً على العمود[1].

***

وقد كان لتشاؤمهم ما يسوغه. فقد اتُّهمت كاترينا كِپلر في وقت كان تُخشى فيه السحرةُ خشيةً شديدةً ويتعرضون لأشد الاضطهاد. من المعروف أن جمع الإحصاءات أمر صعب، لكن حتى أوثق التقديرات تظل صادمة. فقد حوكم نحو 37.000 رجل وامرأة بتهمة السحر وأعدم 40.000-50.000 في أوروبا بين عامي 1500-1700. كما أُعدِم نحو 22.000-25.000 في داخل حدود ألمانيا الحالية بين سنة 1560 ونهاية الاضطهاد. كان ثلاثة أرباع المتهمين في ألمانيا من الإناث. في عام 1631 كتب فرِدرِك شْپي اليسوعي، وهو من أوائل المنتقدين للاضطهاد، من دون الإفصاح عن هويته، «يُعتقد أن عدد السحرة في ألمانيا أكثر مما في غيرها، حيث توقَد المَحارق في كل مكان»[2].

كانت كاترينا كِپلر أرملة أمية، لكنها ليست فقيرة، وقد عاشت في مجتمعها اللوثري لسنوات عديدة، وأصبحت واحدة من آلاف النساء الناطقات بالألمانية اللائي خضعن للمحاكمة في نهاية حياتهن. نفت بشدة أنها صنعت مشروبات سامة لجعل الأصدقاء والجيران يمرضون مرضاً مميتاً. وكغيرها ممن اكتنفتهم دوامة لوم المجتمع، وجدت أسرة كِپلر نفسها فجأةً مدفوعةً إلى دراما عائلية لإنقاذ والدتهم.

لم يكن لدى يوهانس كِپلر أوهامٌ بشأن هشاشة وضعه حين بدأ الاتهام بحق والدته يتكشف. كانت العديد من أفكاره على خلاف مع التيارات السائدة في عصره الذي كان عصر تنافرات دينية مُرّة. فقد انقسم البروتستانت إلى جماعتين مهيمنتين: جماعة تتبع تعاليم المصلح الألماني مارتن لوثر، وجماعة طورت أفكار الفرنسي جون كالڤن. كانت كل جماعة تكره الأخرى بالقدر ذاته من العنف الذي تُكِنّه للكاثوليك، وقد حددت العقائد التي ينبغي لكل مولود في كنيستها الالتزام بها بصرامة. كانت كاترينا قد نشّأت يوهانس تنشئةً لوثرية. لكنه في مراهقته، بدأ يصارع واحدة من أصعب أفكار دينه - ألا وهي أن المسيح موجود في كل مكان وحاضر حقاً عندما يتلقى المؤمنون الخبز والنبيذ في طقس القربان المقدس. وحين بلغ سن الرشد، رفض التوقيع على مبدأ الإيمان اللوثري - صيغة الوفاق لعام 1577 - لهذه الأسباب. هكذا بدا كِپلر لكثيرين كأنه من مؤيدي أتباع كالڤِن. لا يأبه معظم المسيحيين اليوم لمثل هذه القضايا العقائدية، لكن علماء اللاهوت في ڤيرتِمبيرغ، موطن كِپلر، نصحوه بألا يتجاوز حدود مهنته وأن يبتعد عن السجالات الدينية. ولم تعرض عليه جامعة توبنغن، جامعته الأم، قط منصباً بسبب انشقاقه المتخيَّل.

بعد وفاة الإمبراطور رودولف الثاني في يناير عام 1612 راحت فرص كِپلر المهنية تتقلص. كان رودولف قد خلق في بلاطه جوّاً تعددياً ومتسامحاً تسامحاً استثنائياً للبحث الفكري. أقر ماتياس، الإمبراطور الروماني المقدس الجديد، كِپلر في منصبه لكي يتمكن من متابعة حساب المدارات بالمراقبة.

وفي الوقت نفسه، تابع ماتياس تطبيقه القسري للكاثوليكية في أراضي هابسبورغ. وهذا جعل من المستحيل على كِپلر أن يعيش حياته پروتستانتياً في پراغ.

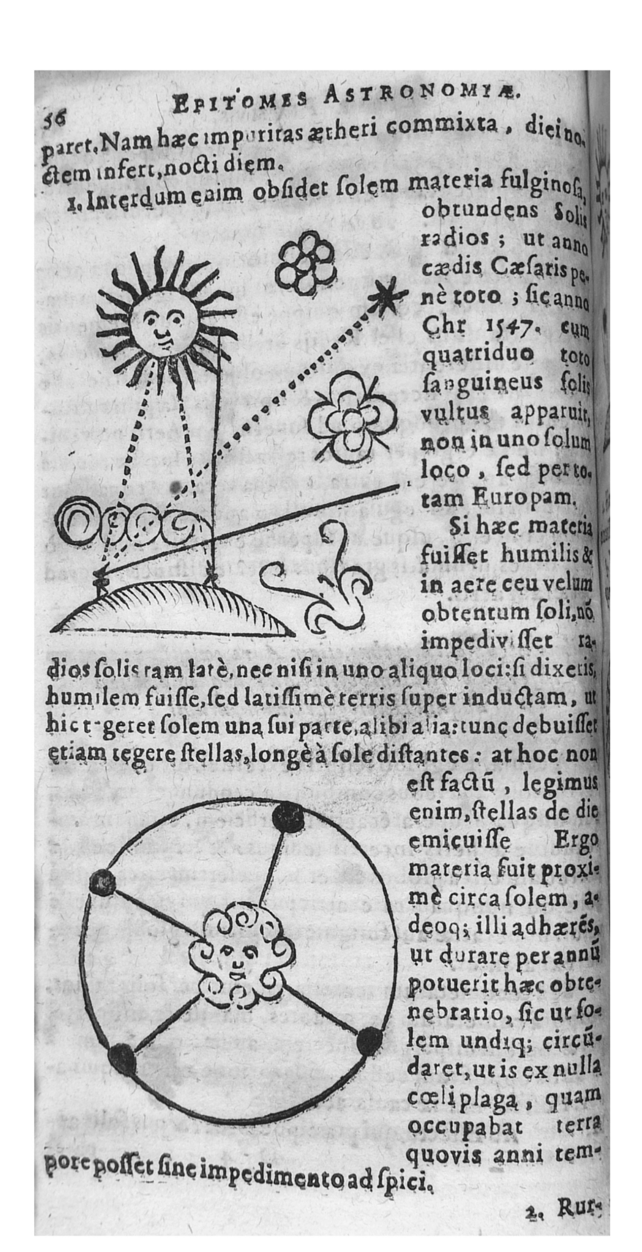
بفضل رعاية بعض النبلاء المحليين، درَّس كِپلر من عام 1612 في مدرسة صغيرة في المنطقة اللوثرية في لِنس، عاصمة مقاطعة النمسا العليا، وبدأ على مضض يرتحل إلى الجبال والقرى لرسم خريطة للمنطقة بموجب وظيفته الأخرى: أستاذ الرياضيات في المقاطعة. ظل يحظى باعتراف دولي، وقد عرضت عليه جامعة بولونيا منصباً عام 1616، لكن أنّى له القبول؟ كان كِپلر يعلم جيداً أن العلماء الإيطاليين الذين طوروا فكرة كوپرنيكوس القائلة إن الأرض تدور حول الشمس كانت محل شك لدى الكنيسة اللاتينية التي كانت تواقة لفضح المزيد من «البِدَع» أمام محاكم التفتيش. كان جيوردانو برونو، عالم الرياضيات الدومِنِكاني المخالف (الذي صدم كِپلر بقوله باللانهائية والفوضى الكونيتين)، قد أُحرِق في روما سنة 1600. أما غاليليو غاليلي، الذي جاهر كِپلر بدعم أفكاره كتابةً، فسيجبره المكتب المقدس [التابع للكنيسة الكاثوليكية اللاتينية] في فبراير سنة 1616 على التصريح بأنه تخلى عن «الرأي القائل إن الشمس هي مركز الكون بينما الأرض تتحرك، وأنه من الآن فصاعداً لا يتمسك بهذا القول أو يعلِّمه أو يدافع عنه بأي شكل من الأشكال». وبدورها لن تلبث أعمال كِپلر كثيراً قبل أن تخضع لمؤشر الرقابة في روما لزعمه أن الأرض لا تدور حول الشمس فحسب، وإنما تمتلك أيضاً روحاً، ولهذا فهي حية[3].

في يناير عام 1616، كتب كِپلر إلى المسؤولين في مدينة ليونبيرغ في ڤيرتمبيرغ عن كاترينا، «أمه الحبيبة المسنة» التي باتت «تُحرَم من الراحة» شيئاً فشيئاً في أواخر عمرها. أقر بمخاوفه من أنها قد تُستَجَر للإدلاء بأقوال غير منضبطة يمكن أن تؤدي إلى تعذيبها من قبل قضاة نصف جهلة وإلى موتها أيضا. كانت هناك تأملات قلقة حول الروابط بين مصيره ومصيرها:

يبدو أن التقرير يشير إلى أنني أنا أيضاً متَّهم بممارسة الفنون المحرمة، لذلك يريد طرف الادعاء الوقح هذا، الذي لا أعلم أي نوع من طقوس الشراب سوَّل له ما سَوَّل، أن ينسفني، إن جاز التعبير، مع 15 سنة أمضيتها في الخدمة الإمبراطورية وراء ظهره، ويريد أن يسلب قلب أمي كله[4].

حتى في ذلك الزمان، لم يكن استخدام هذه التعابير أمراً مألوفاً. فهي تكشف عن قلق كپلر العميق من أن القضية قد تنسف كل إنجازاته وتحبط كاترينا تماماً. لذلك سيطلب الإذن للسفر إلى ڤيرتمبيرغ ليدافع عن حقوق والدته بحياته وكل ما يملك. بعد ذلك، سيستنجد بكل أصدقائه ورُعاته ومن نال عندهم حظوةً لمناصرته في قضيته إلى أن يُحَقَّ الحق.

المقدمة



56 EPITOMES ASTRONOMIÆ.

paret. Nam hæc impuritasætheri commixta, diei noctem infert, nocti diem.

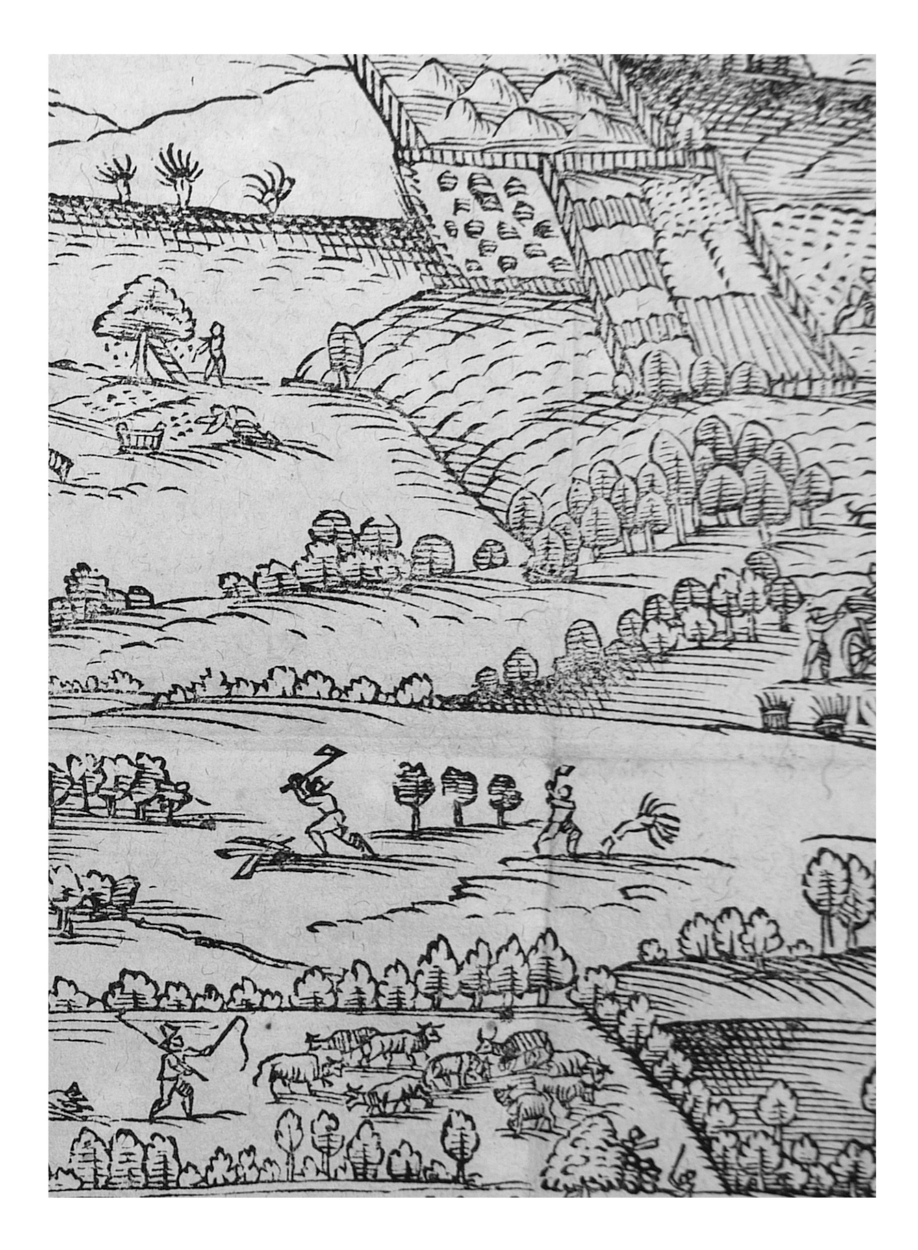
1. Interdum enim obſidet ſolem materia fulginoſa, obtundens Solis radios; ut anno cædis Cæſaris penè toto; ſic anno Chr 1547. cum quatriduo toto ſanguineus ſolis vultus apparuit, non in uno ſolum loco, ſed per totam Europam.

Si hæc materia fuiſſet humilis & in aere ceu velum obtentum ſoli, nō impediviſſet radios ſolis tam latè, nec niſi in uno aliquo loci: ſi dixeris, humilem fuiſſe, ſed latiſſimè terris ſuper inductam, ut hic tegeret ſolem una ſui parte, alibi alia: tunc debuiſſet etiam tegere ſtellas, longè à ſole diſtantes: at hoc non eſt factū, legimus enim, ſtellas de die emicuiſſe Ergo materia fuit proximè circa ſolem, adeoq; illi adhærēs, ut durare per annū potuerit hæc obtenebratio, ſic ut ſolem undiq; circūdaret, ut is ex nulla cœli plaga, quam occupabat terra quovis anni tempore poſſet ſine impedimento adſpici.

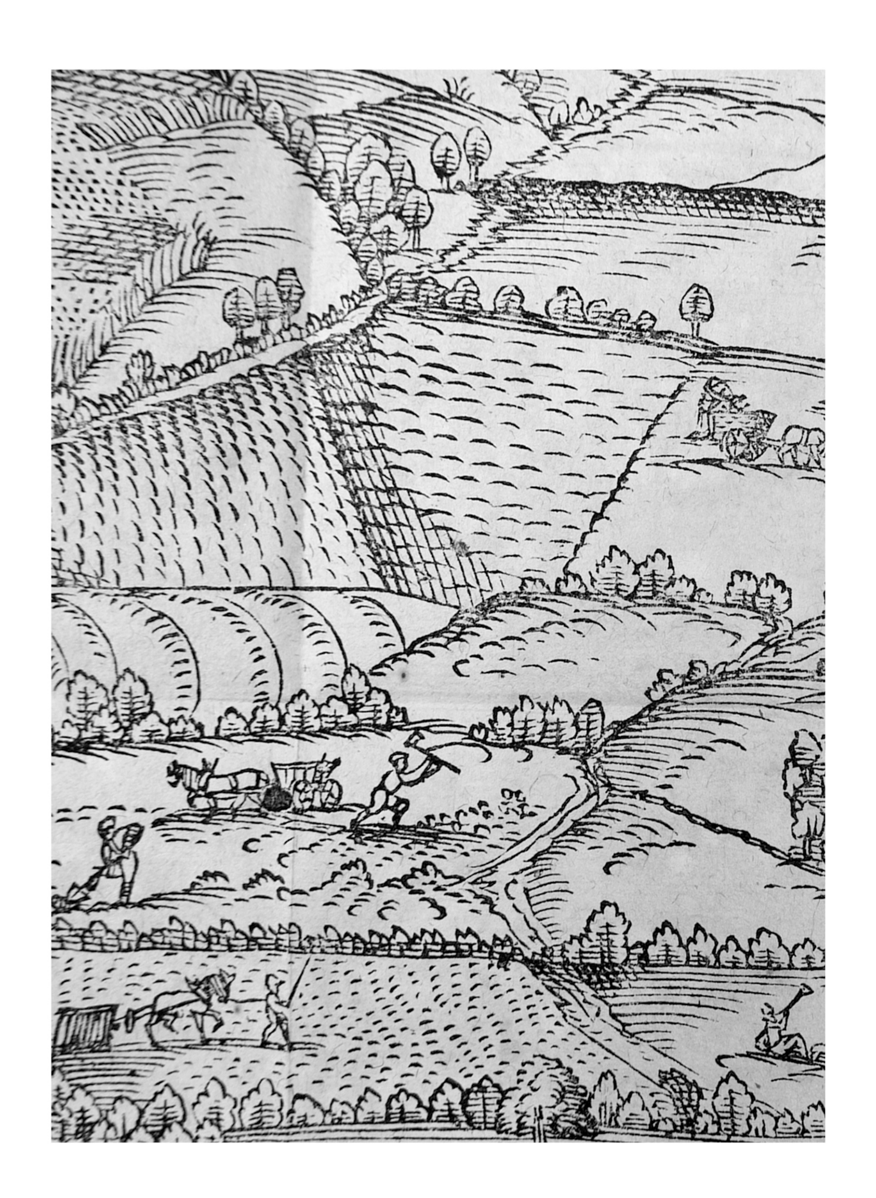
2. Rur-

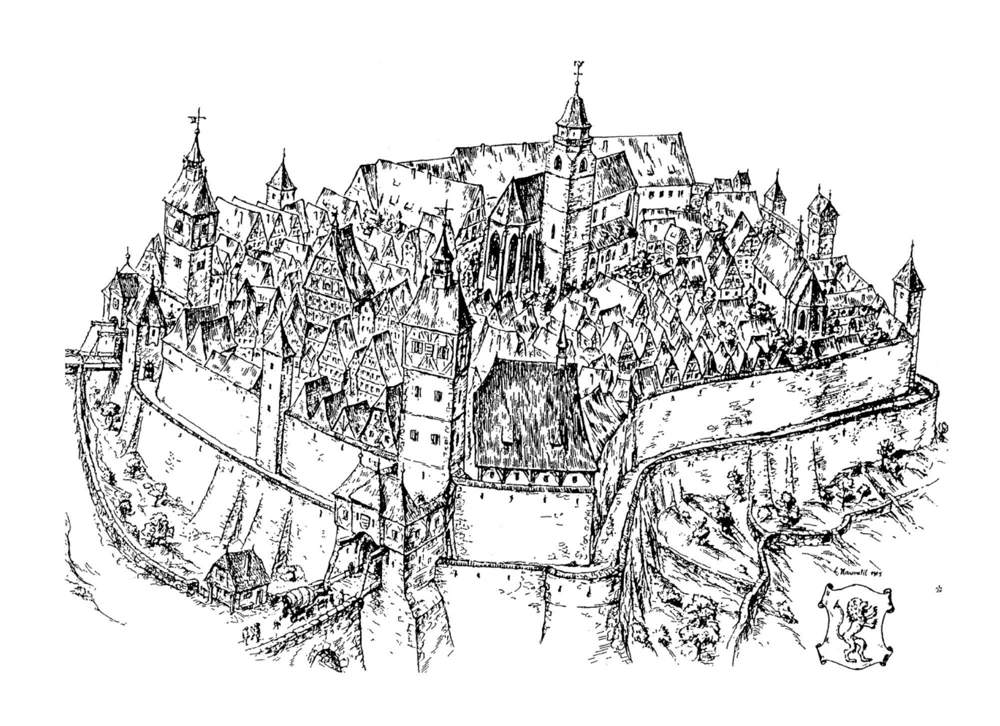
الصورة 2: يوهانس كِپلر، نقش خشبي من كتابه المدرسي «خلاصة الفلك الكوپرنيكوسي»، صنعه صديقه ڤلهلم شِكارد، وفيه يعرض دينامية الكون الحية. تحجب الإصدارات الحديثة من أعمال كِپلر العناصر الزخرفية لصالح «العلم». © بإذن من عميد وأساتذة كلية سينت جون، كيمبردج.

1
حياة كاثرينا



الصورة 3: أعمال الحصاد في فيرتمبيرغ، تفصيل من نقش على الخشب في كتاب يوهن باون، "النهج الجديد للمياه المعدنية الطبيه"، 1612.(c) بإذن من عميد وأساتذة كلية سينت جون، كيمبردج.

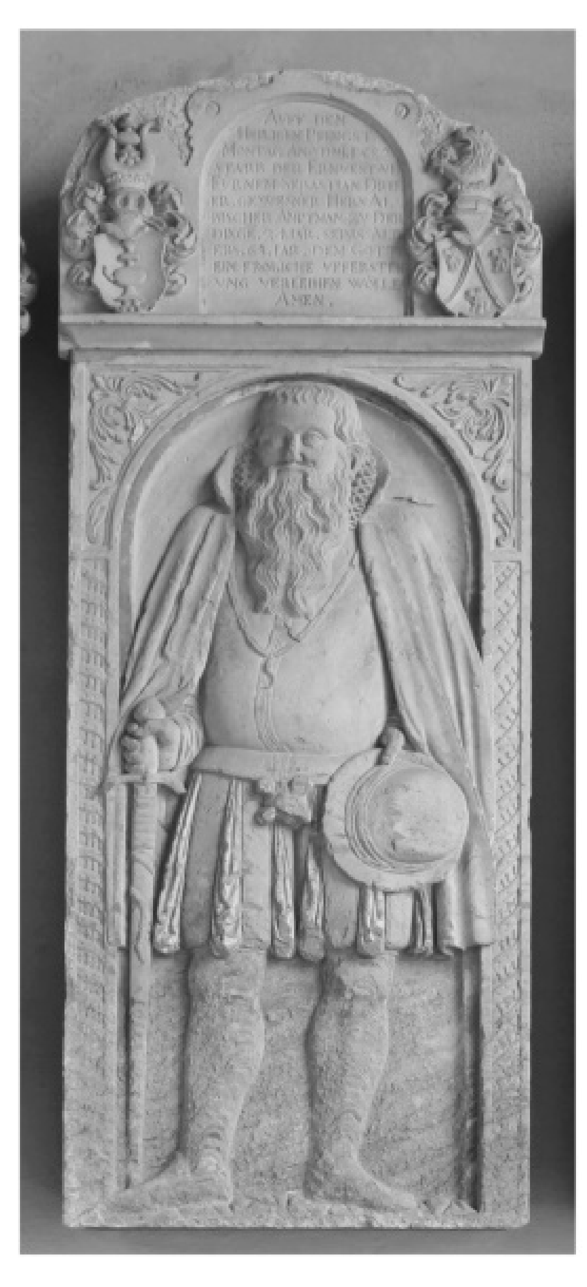




الصورة 4: رسم متخَيَّل لبلدة ليونبيرغ في أواخر القرن السادس عشر والسابع عشر. أرشيف مدينة ليونبيرغ. © رسم: إرِش نافْرَتيل.



الصورة 5: ساحة السوق في ليونبيرغ مع مبنى البلدية على اليمين (نحو سنة 1480) والبئر التي زُيِّنت عام 1566. سَتُستجوب كاترينا لاحقاً في الطابق الثاني من مبنى البلدية. © تصوير: كرستوف روبلاك.



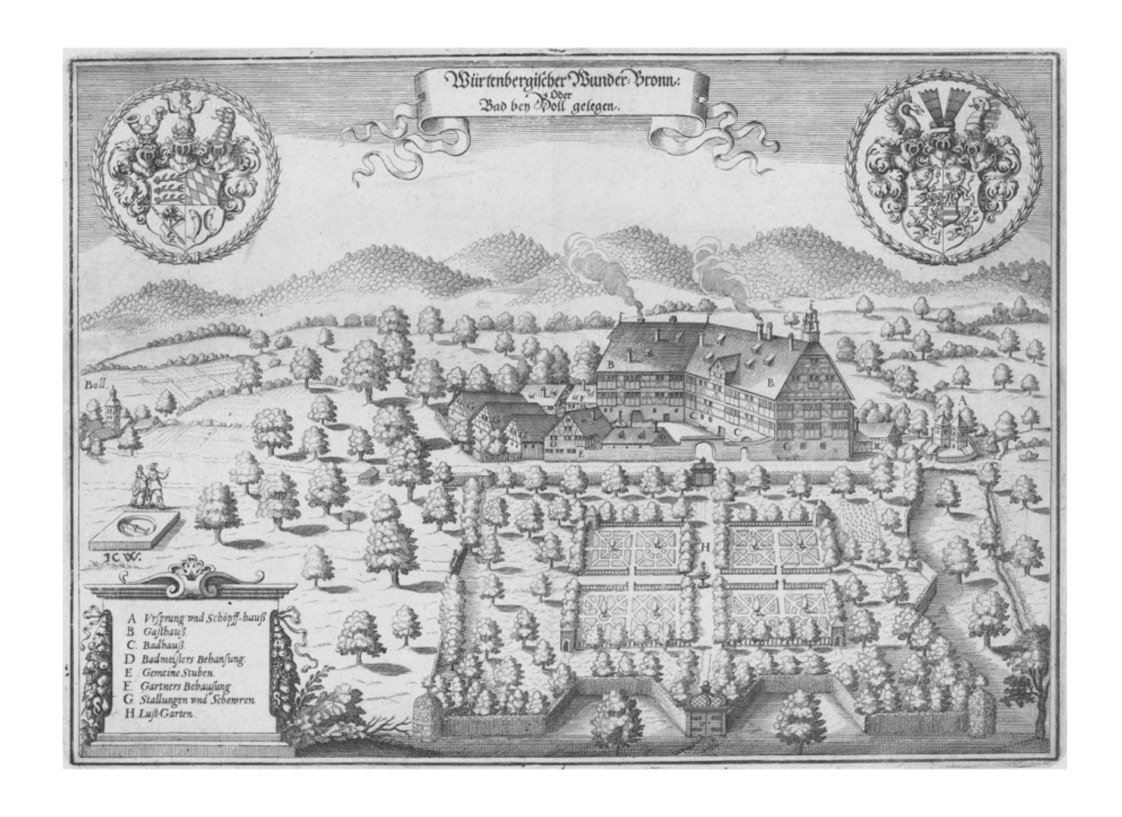
الصورة 6: يِرِمْيَس شْفارتس، شاهدة لمواطن ليونبيرغ الثري زباستيَن درير الذي توفي في الثالثة والستين من عمره؛ لاحظ زينة المُخْل؛ تلاشى الطلاء. © أرشيف مدينة ليونبيرغ، تصوير كارِن مولر، ليونبيرغ.

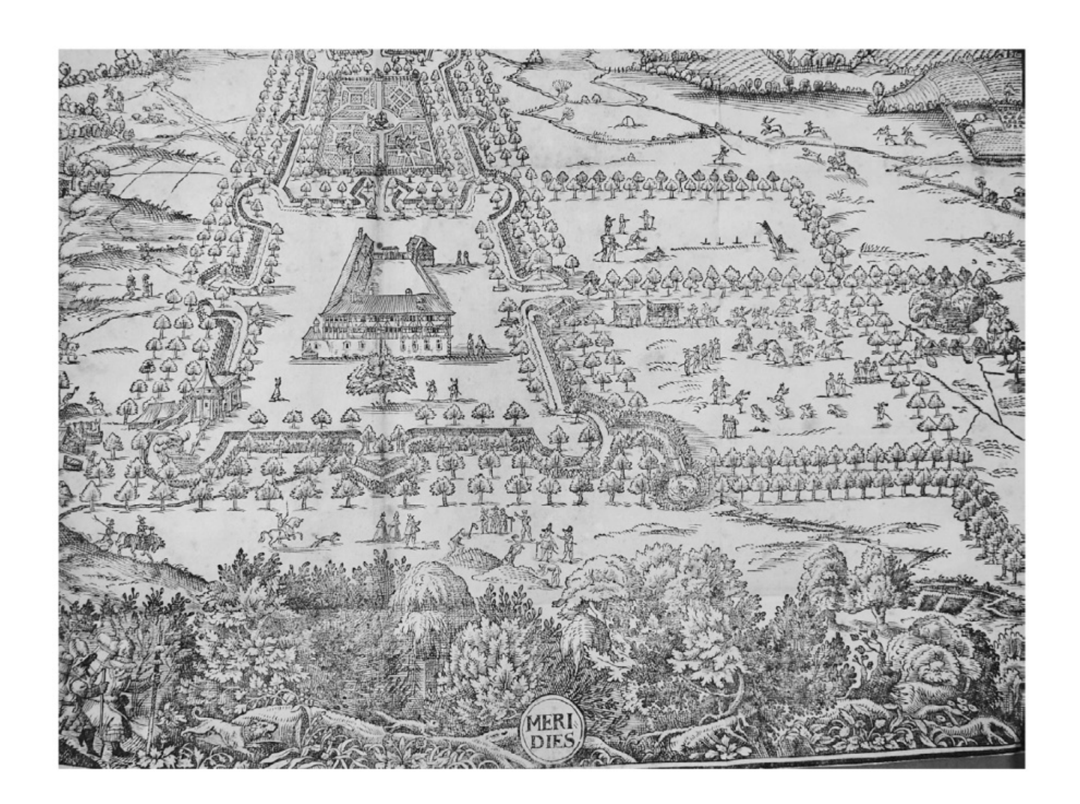


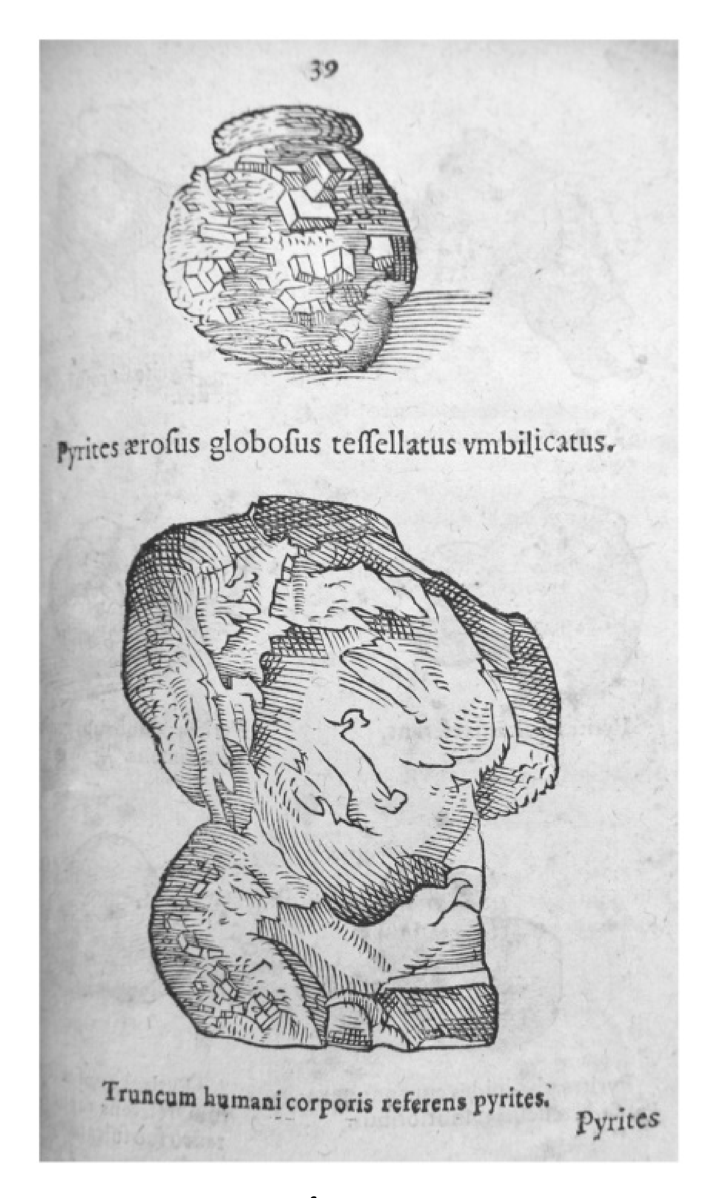
الصورة 7: أحد منازل ليونبيرغ من الطراز الذي عاشت فيه كاترينا كِپلر مع والدها المسن وأبنائها. © الصورة: أولنكا روبلاك.

2

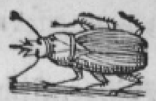
بَلاط لوثري


Würtenbergischer Wunder-Bronn:
Oder
Bad bey Boll gelegen.
Boll.
ICW.
A Vrsprung vnd Schöpff-hauß
B Gasthauß.
C. Badhauß.
D Badmeisters Behansung.
E Gemeine Stuben.
E Gartners Behausung
G Stallungen vnd Schewren.
H Lust-Garten.


MERI
DIES



الصورة 10. مستحاثات وُجدت في بلدة بول. رأى كپلر وغيره من المعاصرين أن هذه المستحاثات توثق تصاميم الله التجريبية الممتعة للأشكال في الطبيعة. من كتاب يوهَن باوِن، «الطريقة الجديدة للمياه المعدنية الطبية» 1612. © بإذن من عميد كلية سينت جون وأساتذتها، كيمبردج.



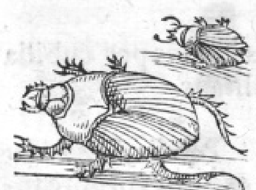
Scarabei genus.

Poſſet ad Bupreſten referri, qui Ger. **Goldkeffer** dictus : magis tamen mutabili colore, pro varia ad lumen obuerſione. Captus 24. Sept. 1596, in **Kirchen** / viuebat adhuc in charta Ianuarij 15. anni 1397.

Cantharis guttata, quæ aſellorum inſtar attactu conglobatur.

Scarabeus paruus nonnihil compreſſus, alis rubris punctis nigris ita affabrè variato, vt faciem humanam quodãmodo æmuletur. Quibuſdam Gallicè *Gelines de noſtre Dame*, id eſt, Diuæ Virginis gallinæ. In vrbe **Kirchen** obſeruatus menſe Octobri.

Scarabei genus oblongum, anguſtum fuſcum figura 4, eſt penè nigrum.



Scarabeus, Germ. **Roßkeffer**/paruus appictus forte iunior vt putat pictor, Lonicerus l. 2, pingit.

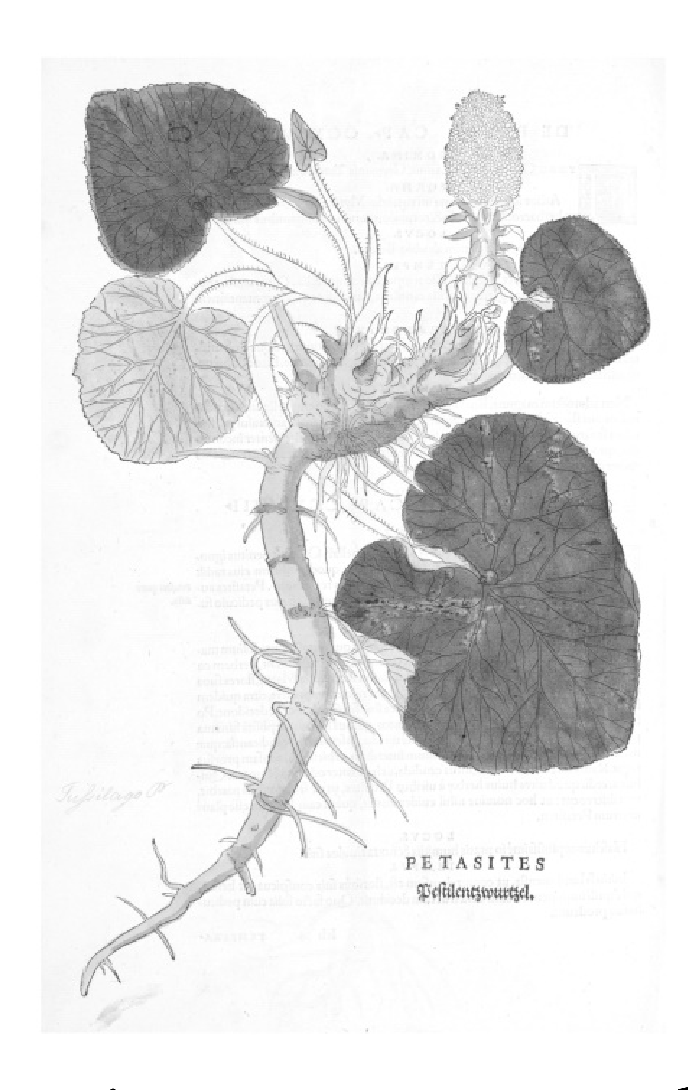
Scarabeum Maialem vulgò dictum **Meyenkeffer** vidi cũ pararentur foſſę baln. adm. menſis Octobris ſeptima.

Meylãnder & **Schmaltzkeffer** Scarabei nigri, lõgi, parte poſteriore craſſa, nigra, ſimiles aliquatenus **Roßkeffer**. Dicunt pinguedinem expeti, vtilem ad vulnera : vidi menſe Septembri in **Eichelberg**.

Pauo aquaticus, inſectum ex grandiorum muſcarum genere, pulchrum, quaternis alis magnis, corpore oblongo, teſſelato colorum emblemate variegato, aquas obuolitans. Auguſto menſe vidi.

Inſectum

الصورة 11. امتد الاهتمام الآن بالنظر في الطبيعة وتنوع مخلوقات الله فيها ليشمل الحشرات. يرسم هذا الكتاب نوع الخنافس التي شوهدت في ڤيرتمبيرغ ومتى وأين. من كتاب يوهَن باوِن، «الطريقة الجديدة للمياه المعدنية الطبية» 1612. © بإذن من عميد كلية سينت جون وأساتذتها، كيمبردج.



الصورة 12. كثيراً ما كانت جذور النباتات تُستخدم في الأدوية في أوائل العصر الحديث في أوروبا. هذه هي نبتة القُبَّعية، كما وصفها ليونهارت فوكس في كتابه «تاريخ النباتات»، 1542. لجذورها السميكة البيضاء الطويلة رائحة قوية وطعم مر. كتب فوكس أنها «بالتجربة» تسبب التعرق الشديد حين تُسحَق وتؤخذ مع النبيذ؛ ولذلك فهي تساعد بشكل رائع في مكافحة الحمى الوبائية. نقش خشبي 32 × 20.5 سم. © مكتبة جامعة كيمبردج، 2.81 كلية سِلْوِن.



الصورة 13. زيبلّ، دوقة آنهالت ڤيرتمبيرغ . لوحة زيتية على قماش، 238 x 136 سم. © قصور وحدائق ولاية بادن ڤيرتمبيرغ.



الصورة 14. حديقة الدوقة زيبلّ بعد ترميمها الأخير. © الصورة: كرِستوف روبلاك.

3

عامُ الساحرات

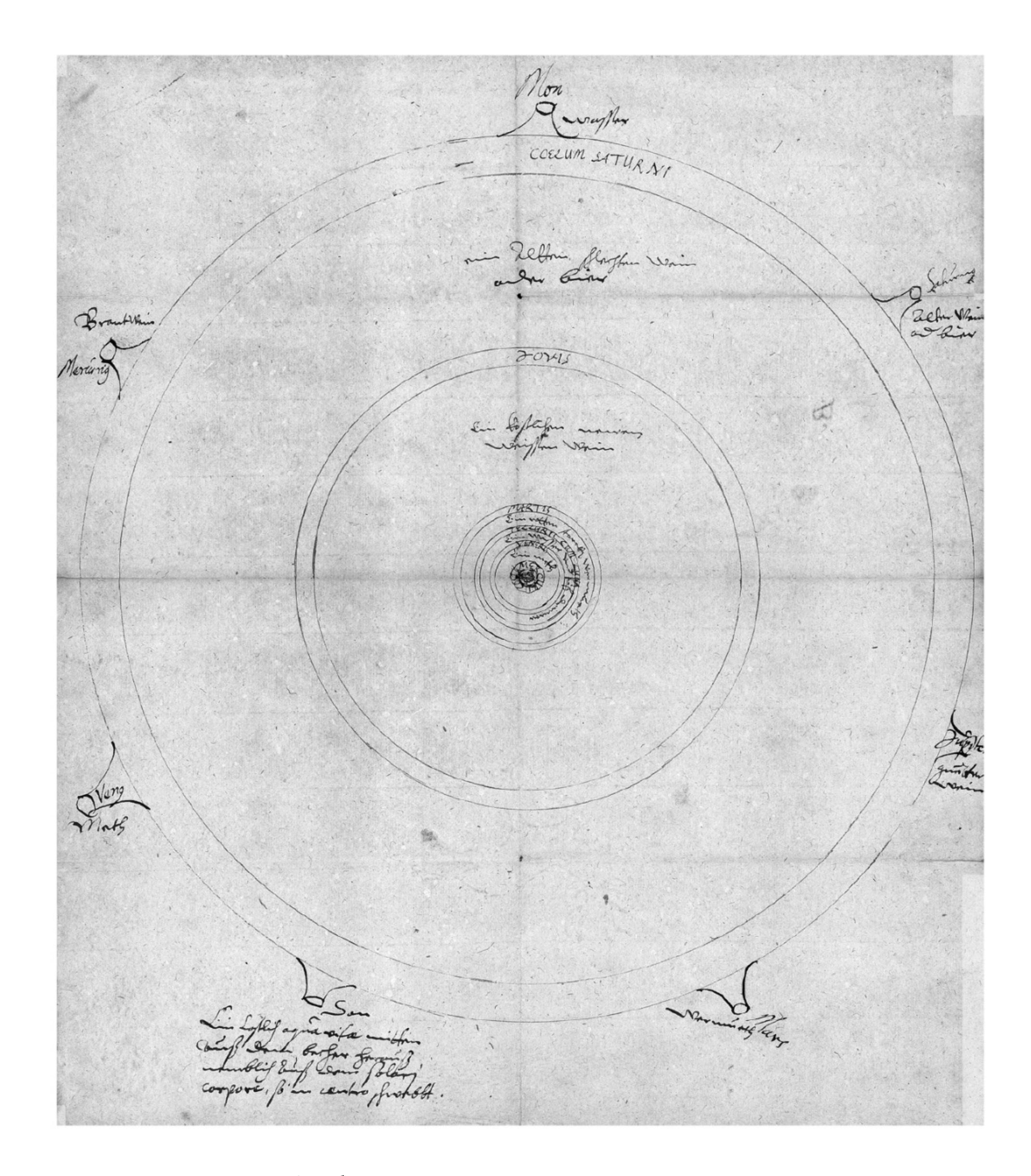

Schwarzer Adler



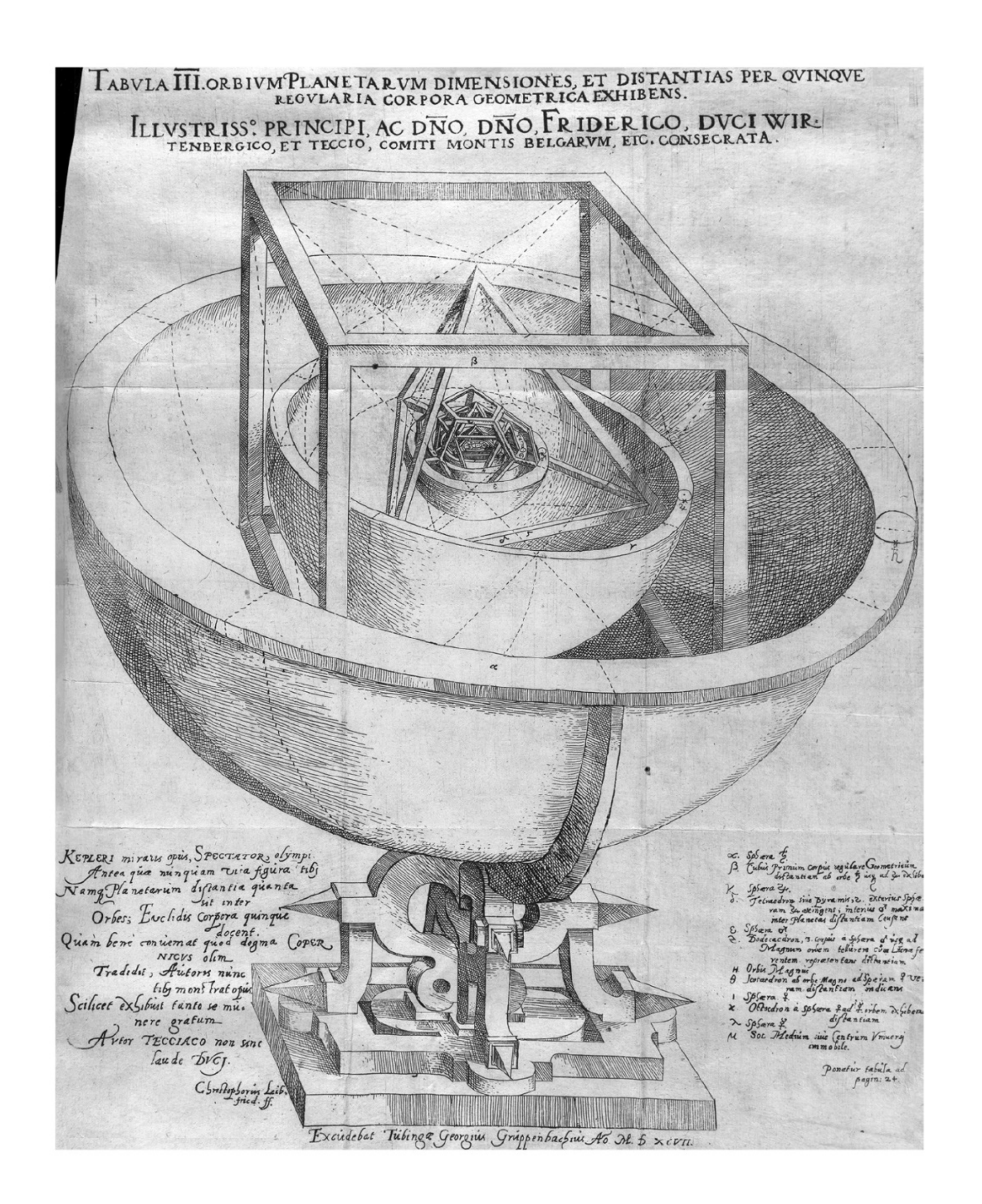
الصورة 16. شعار النبالة الخاص بالحاكم آينهورن؛ آينهورن تعني وحيد القرن. © الصورة: أولِنكا روبلاك.

4

إستراتيجيات كپلر



الصورة 17. أرسل يوهانس كبلر إلى فردرك دوق ڤيرتمبيرغ نموذجاً لكأس الشرب مع صنابير مرتبطة بالشمس في المنتصف («ماء الحياة اللذيذ»، وهو سائل قوي مقطر لإنعاش الأرواح) والقمر (الماء) والكواكب المرتبطة بأنواع مختلفة من الكحول. مخطوطات رياضية. 28، Bl. 2a. © شتوتغارت ، مكتبة ولاية ڤيرتمبيرغ.


TABVLA III. ORBIVM PLANETARVM DIMENSIONES, ET DISTANTIAS PER QVINQVE REGVLARIA CORPORA GEOMETRICA EXHIBENS.
ILLVSTRISS°. PRINCIPI, AC DÑO, DÑO, FRIDERICO, DVCI WIRTENBERGICO, ET TECCIO, COMITI MONTIS BELGARVM, ETC. CONSECRATA.
KEPLERI miraris opus, SPECTATOR, olympi.
Antea quæ nunquam visa figura tibi
Namque Planetarum distantia quanta sit inter
Orbes; Euclidis corpora quinque docent.
Quam bene conveniat quod dogma COPERNICVS olim
Tradidit, Autoris nunc tibi monstrat opus
Scilicet exhibuit tanto se munere gratum
Autor TECCIACO non sine laude DVCI.
Christophorus Leibfried. ff.
α. Sphæra ♄
γ. Sphæra ♃.
ε. Sphæra ♂
H. Orbis Magnus
ι Sphæra ♀
λ Sphæra ☿
μ Sol Medium sive Centrum Universi immobile.
Ponatur tabula ad pagin: 24.
Excudebat Tubingæ Georgius Gruppenbachius Ao M. D XCVII.



الصورة 19. صورة لأستاذ كپلر في علم الفلك في توبنغن وأهم رعاته الأوائل ميخائيل مِستلين في عام 1596، بعمر الخامسة والأربعين. كان مِستلين معاصراً لوالدة كپلر، وحاول يوهانس خلال سنواته الأولى أن تكون علاقته معه علاقة الابن بأبيه. © مكتبة جامعة كيمبردج، M 5.49.

تحمل سمات الانتظام والتصريف الإلهي للكون ذاتها. بينما يؤدي الانتظام إلى شروح واضحة وتفسيرات تحليلية مُعَلَّلة، يدعو تصريف الله للكون إلى التعجب والاستقراء وحل الأسرار والمزيد من التفسير التأملي[161].

ومع ذلك، لا يتطلب نجاحُ فلكيٍّ شاب في البلاط ذكاء ورؤية قويين فحسب، وإنما أيضاً كتباً وحبراً وتقوى وأخلاقاً مثالية. لإيصال أفكاره، لَزِم أن يكون حرفياً ذا مهارة يدوية وبراعة بصرية وتقنية، بالإضافة إلى القدرة على التحدث إلى صانعي الآلات المبتكرة وأن يستلهم معرفتهم المفاهيمية العملية والتطبيقية. لقد احتاج إلى مساعدتهم لتحويل أفكاره إلى أشياء ملموسة: وكان هذا أنجع كثيراً في إقناع الأدواق من الكتب الفلكية المتخصصة المتقدمة المكتوبة باللاتينية. وهكذا، بعد الانتهاء من التأليف، لم يصنع كپلر نموذجاً ورقياً لاختراعه الماهر فحسب، وإنما استخدم أيضاً مخرطة لبناء النموذج، وفي الوقت نفسه يحاول إقناع الدوق فردرك ليدفع تكاليف نموذج معدني، ثم يدخل في مفاوضات تمتد لسنوات من أجل تحديد صائغي الذهب أو صانعي الساعات المناسبين في جنوبي ألمانيا.

تميز عصر كپلر بحماس كبير للفنون الميكانيكية الجديدة، إذ عُدَّت أنها تحفز على المنهج الديني في فك رموز النظام الكوني المثالي الذي صممه الله بعنايته. ليس غريباً أن يطمح كپلر في أن يكون أكثر من عالم رياضيات. إذ ارتبط هدفه في الكشف عن عالم الله وتقديم النصح للحكام بتحول أوسع في السياق الاجتماعي والسياسي لمهنته[162]. وقد شارك علماء الرياضيات والحرفيون في تجارب ميكانيكية وبصرية وصوتية في صنع النماذج المعقدة. وازدهرت هذه الفنون في آوغزبورغ ونورمبيرغ، المدينتين الإمبراطوريتين في جنوبي ألمانيا، اللتين أصبحتا مركزين عالميين للاختراع والموثوقية التقنية خلال حياة كپلر.

رأى كپلر أن السماوات آلة متقنة الصنع تسودها الروح نفسها التي تسود «آلة العالم» بأكملها. فالسماوات تعمل بوساطة «قوةٍ مغناطيسيةٍ واحدةٍ يسيرةٍ جداً، تماماً كما يُشَغِّل وزنٌ يسيرٌ كل الحركات في آلة الساعة». يمكن إظهار جمال مثل هذه العمليات الفيزيائية هندسياً ورياضياً[163]. إذا كان الله ميكانيكياً رائعاً في جزء منه، فقد تُقَرِّب مهارات الحرفيين الاستثنائيين المرءَ من فهم مبادئ الفيزياء. راقب كپلر بدوره ما يُعَدُّ أكثر المشاريع تقدماً، وبحلول عام 1598 أخبر فردرك عن الكرات السماوية وآلية الساعة. كان الجميع يعرف عن الساعات التي صنعها فرانسيسكو توريانو لچارلز الخامس. امتلك لاندغريف ڤِلْهَلم فُن هِسن أيضاً ساعة سماوية، وكان لدى أغسطس، دوق ساكسونيا، ساعة أجمل. أشار كپلر أيضاً إلى الساعة الثانية في كاتدرائية ستراسبورغ التي اكتملت عام 1574 وكانت تشير إلى دورات الشمس والقمر، وتحسب مواعيد الكسوف والخسوف، وكان لها ديك آلي في أعلى البرج يصيح ثلاث مرات يومياً إحياءً لذكرى إغراء القديس بطرس[164]. كان كپلر يعرف أن الحرفيين في آوغزبورغ ونورمبرغ يُكْمِلون يومياً «أكواماً» من هذه الساعات الآلية.

لكن، من وجهة نظر يوهانس كپلر، كانت هذه المهارة الفائقة في التصنيع على وشك التحول إلى سخافات. فقد أصبحت الأشياء باهظة الثمن ومبهرجة وخالية من أي أثر لتعاليم المسيحية. فما الذي سيخطر ببال المرء حين يسمع أن الإمبراطور رودولف أمر بأن تُصنَع له ساعة فاخرة في آوغزبورغ تُقدَّر قيمتها بثلاثين ألف فلورن؟ ثم هناك الإمبراطور فيرديناند الذي أرسل للسلطان العثماني سليمان [القانوني] نموذجاً ثقيلاً إلى درجة أنه احتاج إلى اثني عشر رجلاً لحمله. والأسوأ من ذلك كله اختراع آخر في آوغزبورغ سيُهدى إلى ملك پولندي شاب بمناسبة العام الجديد. وهذا الاختراع يعرض موكباً للإله الروماني السمين المخمور باخوس ورفيقه سيلينوس على أنغام موسيقى صاخبة وفوضوية من آلات مختلفة[165].

كانت هذه رعاية أخطأت مسارها. فعلى الرغم من كل الجهود التي بُذلت في هندسة أفخر ألعاب الرفاهية هذه، شعر كپلر بالإحباط لأنه لم يصنع أحد بعد آلة تُظْهِر حركة جميع الكواكب بشكل صحيح. كان يأمل أن يسعى فردرك، الأمير اللوثري، إلى الشهرة من خلال تمثيل الظواهر الحقيقية. سيكون صانع الساعة الدوقي ذا قيمة كبيرة لإظهار الطبيعة نفسها بالوسائل الميكانيكية. ولهذا أراد كپلر، من خلال كتاباته ونماذجه، أن يجعل طبيعة القوانين النظامية والعِلل الجلية في العالم فوق القمري مفهومة. ساعدت مراقبة الطبيعة، مثل الحيوانات التي تولَد تلقائياً، في فهم التغير السماوي والمستجدات المفاجئة على أنها إبطال لتحلل المادة. حاجَّ كپلر بأن الروح لا تني تُحَوِّل المادة الكونية الزائدة إلى أشكال جديدة ومفيدة تنظف الأثير. في الواقع، تتكون هذه الروح من مادة سماوية تدب فيها الحياة من شعاع من نور من وجه الله[166]. وهكذا ظل كپلر يربط تكهناته بلغة الأسباب التي يمكن فهمها - فقد ظلت اهتماماته في تناقض ملحوظ مع التقاليد المنغلقة المبهورة بالسحر والسرية والإيمان بمذهب الألفية السعيدة - وهذا عالم غامض يتجاوز التفسير العقلاني.

لما كان كپلر عازماً على توفير المعرفة المفيدة، فقد سعى لإظهار كيف يمكن للرياضيات التطبيقية أن تنير بصيرة القصور البروتستانتية بطرائق لا غبار عليها أخلاقياً من خلال الهندسة الذكية. مرة أخرى، وجد الإنجازات الأخيرة ملهمة. ففي عامي 1599 و1602، انتهى آدريان دي فريس من صناعة نافورتي عُطارد وهِرَقل المعقدتين والأنيقتين في ساحات سوق آوغزبورغ. ألهم هذان الابتكاران كپلر لقضاء سنوات في وضع خطط لمضخة مياه تعمل بنابض، وقد ناقشها مع أغسطس، دوق آنهالت، ورودولف الثاني، قبل أن يقدم، في نهاية الأمر، تصميمه النهائي الأنيق لهذه المضخة إلى الدوق فردرك عام 1604[167]. كان لمثل هذه التقنيات المبتكرة تأثير فوري على الجميع (وهو تأثير تفتقر إليه الكتب العلمية عادةً، بالرغم مما يُبذَل فيها من جهد). فمنذ بداية حياته المهنية،

فهم كپلر هذا الأمر: من أجل إبهار الآخرين وتعزيز مسيرته المهنية، أدرك أن مهاراته في الإقناع، بصفته أحد أفراد الحاشية، ومعرفته العملية لا تقل أهمية عن سمعته العلمية وقدرته على اكتشاف عالم الله[168].

***

كان هذا مهماً لسبب ليس أقلَّ من أنه في عام 1598، أدرك كپلر أنه لا جدوى من مطالبة صانع ساعات لوثري في غراتس ببدء أي مشروع طويل الأجل بعد إلغاء مشيخة الكنيسة اللوثرية في المدينة[169]. ولما بلغ فيرديناند سن الرشد وتولى حكم النمسا، تأثر تأثراً شديداً بالأرشيدوقة ماري، والدته الكاثوليكية المتشددة من سلالة ڤِتِلشباخ الباڤارية، بالإضافة إلى مستشاريه من الكهنة. فقد كانوا مصممين على تأكيد سلطة فيرديناند السياسية واستعادة الكاثوليكية في أراضيه.

كانت هذه أخباراً كارثية بالنسبة إلى كپلر والمدارس اللوثرية والبلديات البروتستانتية. ففي عام 1599، على سبيل المثال، اجتاح جيشٌ كاملٌ يتألف من قوات دوقية وفلاحين وجنود سلوڤينيين وألمان جُنِّدوا من الحراس في غراتس عمالَ المناجم والعمال والحطابين في بلدة نمساوية صغيرة تدعى آيزِنيرتس لأنهم هاجموا السفير البابوي وأخضعوا المفوض الدوقي لمحاكمة وهمية. فما لبثت أن تحولت البلدة إلى مجرد قرية. أُحرِقت الكتابات البروتستانتية البِدعية تحت مشنقة نُصِبَت أمام دار البلدية ونُسِفت الكنيسة اللوثرية. بدأ رجال فيرديناند حملة منظمة لتدمير المقابر والكنائس اللوثرية في أنحاء شتيريا[170]. في العام نفسه، حثت الأرشيدوقة ماري ابنها الشاب في رسالة، «بُنيَّ فيرديناند، ما عليك إلا أن تسأل عن الوُعّاظ البروتستانت، وإذا وجدت واحداً منهم فَمُرْ بشنقه»[171]!

في غراتس نفسها، شاهد كپلر عمليات مدهشة لطرد الأرواح الشريرة من نساء بهن مس من الشيطان، كما قيل. رأى كاهنُ الأرشيدوقية شياطين

عديدة صغيرة وطويلة ذات ألوان «خضراء وصفراء ونارية» تندفع من جسد ماريا آيخهورن مع الرعد والبرق. بينما استغرق طرد الأرواح أشهراً من شابة تُدعى كاتِرله. وقد ظهر أحد الشياطين في فمها على هيئة خنافس سوداء بَرّاقة، بينما طلب شيطان آخر ذكي الإذن بامتلاك جسد الواعظ اللوثري المتمرد في آيزنِيرتس[172]. كان كل هذا دعاية علنية معادية للإصلاح. وقد دبر هذه المشاهدَ الدرامية اليسوعيون والفرانسيسكان، وكذلك فيرديناند وأمه التي ظلت تعيش في قلعة غراتس، في وسط المدينة، بعد أن ترمَّلت.

منذ عام 1598، صمم كپلر على مغادرة غراتس. ولكن أين سيجد عملاً وماذا سيحدث لأرض زوجته؟ حملت باربرا مرتين خلال السنوات التالية، لكن في كل مرة يموت الطفل. بحلول عام 1599، بدأ كپلر يخشى من انتشار «وباء عالمي» من هنغاريا، وزعم أنه كان أول شخص في غراتس يكتشف «صليباً صغيراً على قدمي اليسرى». تراوحت ألوان هذا الصليب ما بين الأحمر والأصفر، وموضعه في جسده يماثل الموضع الذي عُذِّب فيه المسيح بالمسامير. يشير هذا إلى قلقه من أنه قد يستشهد بالطريقة ذاتها بسبب معتقداته. وعثر مواطنون آخرون على قطرات دم على باطن أيديهم. كان كپلر ما زال مديناً بمبلغ 200 فلورن في توبنغن، فكتب إلى كاترينا مراراً يطلب منها ترك أي أموال مستحقة له من تركة أبيه مع أستاذه السابق، مِستلين، الذي يوقره[173]. في شهر أغسطس 1600، طُلب من كپلر أن يغادر غراتس في غضون خمسة وأربعين يوماً، فكتب يائساً إلى مِستلين يطلب منه الحصول على درجة أستاذ «صغيرة» قليلة الأجر في أي مادة. كان يوهانس في طريقه إلى پراغ عندما كتب مِستلين أخيراً رده السلبي. أظلمت الدنيا في عينيه، وعلى الرغم من كل جهوده، لم يتلق أي دعوة من دوق ڤيرتمبيرغ. أخيراً، عندما تحسن حظ كپلر، قاده إلى بلاط كاثوليكي. فقد دعاه عالم الفلك الدنماركي المهيب چيخو برا، ذو الأنف الصناعي النحاسي الشهير (بعد أن جُدِع أنفه في مبارزة طلابية)، إلى پراغ وأكد له صداقته في أوقات الحاجة. في 19

أكتوبر 1600، وصل كپلر مع زوجته باربرا ورِغينا، ابنتها من زوجها السابق، إلى پراغ، منهكين تماماً. كان هذا بعد شهرين من حرق آلاف الكتب اللوثرية في غراتس للاحتفال بتحول المدينة الكامل إلى الكاثوليكية، وبينما شرعت الأرشيدوقة ماري في تحويل مدرسة كپلر إلى دير. بعد مرور عام تقريباً على وصول كپلر إلى پراغ، في 24 أكتوبر 1601، مات چيخو فجأةً - لا بسبب التسمم، كما قيل في الآونة الأخيرة، بل على الأرجح بسبب الفشل الكلوي أو انفجار المثانة. صار كپلر خلفاً لچيخو بأمر من الإمبراطور رودولف. جاء المنصب مع لقب عظيم لا يمكن تصوره، فصار كپلر يضعه أسفل كل توقيعاته من الآن فصاعداً: عالم الرياضيات الإمبراطوري.

ومع ذلك، لم تكن لدى يوهانس كپلر أوهام بشأن وضعه غير المستقر، وهو الپروتستانتي الموظف لدى أباطرة هابسبورغ الكاثوليك. حاول أن يظل على علاقة مع أساتذته في توبنغن، وفي فبراير 1601 طلب من مِستلين أن يُحوِّل أي رسائل له من أساتذته إلى والدته في ليونبيرغ لأنه ينوي أن يزورها في عيد الفصح. كما حافظ على علاقته ببلاط ڤيرتمبيرغ. عندما خَلَف يوهَن فردرك والده في الدوقية عام 1608، حرص كپلر على إهداء كُتيب له يروي فيه نتائج مراقبته لكوكب عطارد مقترناً مع الشمس، ويحكي فيه عن تجربة جعلته يركض صعوداً وهبوطاً إلى قلعة هْرَچَني لِيُشهِد شهوداً من ذوي السمعة الحسنة على ما شاهد. تحدث في المقدمة ببلاغة عن حزنه على فردرك، دوق ڤيرتمبيرغ، وكذلك عن امتنانه لحب العلم الذي زرعه في بلاده. في عام 1609، عبَّر يوهَن فردرك لكپلر عن شكره لخدماته بإرسال كأس مطلية بالذهب والفضة قيمتها خمسة عشر فلورناً إلى پراغ (مع أن عالم الفلك، كما كشفت المناظير البعيدة بعد عامين، قد عاين في الحقيقة بقعة شمسية كبيرة وليس كوكب عطارد)[174].

في پراغ، تدهورت سياسة البلاط، ورأى كپلر مستقبله معلقاً بخيط رفيع. فقد بات رودولف الثاني منعزلاً شيئاً فشيئاً، تزعجه القرارات السياسية،

ويخشى السحر، وتتنازعه الصراعات مع أخيه ماتياس. فمنذ عام 1601، اشتد الضغط الدبلوماسي على رودولف للاستقالة، لكنه ظل يشعر بغيرة شديدة من محاولات ماتياس للوصول إلى السلطة. في هذا الجو الخانق، فكر كپلر بحلول عام 1603 في العودة إلى ڤيرتمبيرغ. لم يستجب رودولف لكتاباته الأخيرة، ولم يتقاض رواتبه لمدة تسعة أشهر. في ڤيرتمبيرغ، كتب إلى صديق، «لدي القليل من الممتلكات، حيث تقيم والدتي وكذلك الدوق الذي منحني تعليمي»[175]. نُصِّب ماتياس ملكاً على بوهيميا في مايو 1611. على الفور، أرسل كپلر التماساً آخر إلى يوهن فردرك، لكن هذه المرة ليطلب مساعدته العاجلة في تأمين مبلغ 2000 فلورن كان رودولف قد منحه إياه قبل عام، وليعلن أيضاً أنه مستعد لخدمة دوق ڤيرتمبيرغ أو عائلته الأوسع بصفة فيلسوف أو باحث أو حتى بصفة سياسية. كما ناشد أيضاً الأرملة الدوقة زيبلّ، ولا سيما أنها الآن في ليونبيرغ حيث ما زال مواطناً وحيث تعيش والدته العزيزة، متسائلاً أيكون بإمكانه خدمة ابنة زيبلّ، شريطة أن يكون لديه وقت «للتأمل وكتابة الكتب»[176]؟

دعم المستشارون في دوقية شتوتغارت كلا الالتماسين، فأُحيلا أولاً إلى جامعة توبنغن، فنال كپلر، بلا تردد، تأييد اللجنة المعنية التي قالت إنه سيشغل منصباً تدريسياً مع أرفع ثناء. بعد ذلك، نظر المجلس الكنسي في ڤيرتمبيرغ في صلاحية كپلر الدينية. هنا تذكروا أن كپلر، حين كان تلميذاً وطالباً، كانت له وجهة نظر كالڤينية عن القربان المقدس (أي أنها، وجبة رمزية وليست لقاء مع جسد المسيح ودمه، وهو ما لم يعتقد أنه يمكن أن يكون في كل مكان). في عام 1609، أعلن رسمياً للدوق أنه، وبلا تأنيب من ضمير، لا يستطيع التوقيع على صيغة المعتقد اللوثري، وهو أمر إلزامي لكل من يدرِّس في ڤيرتمبيرغ. أيقنوا أن كپلر رجل عنيد، وكالڤيني فيما يبدو، وقد يسمم أفكار طلابه الشباب شيئاً فشيئاً. لذلك لن يُمنَح أي منصب[177].

***

خلال هذه المدة، احتاج كپلر إلى إيجاد الدعم بوصفه فيلسوفاً طبيعياً، وليس مجرد صاحب تنبؤات وحسابات. فقد تلقى تعليماً صارماً في الخطابة وعدد من الأساليب الأدبية يمكِّنه من ولوج عالم يثمِّن سعة المعرفة، وسرعة الفطنة، والقدرة على التأول الدقيق، والفصاحة المنمقة، والتأمل الشعري - بالإضافة إلى الحِكَم الجلفة البارعة - وهذه كلها أركان المعرفة. يدل هذا الإبداع بالكلمات، برأي أي عالم، على الإنجاز والفضيلة. أما من الناحية المثالية، فهي تُترجَم إلى حظوة عند الراعي ولي النعمة. قد يزود الراعي بقصيدة لتأييد منشور مستقبلي، أو حتى المال.[178]

وهكذا، ساعدت عبارات الإهداء الأنيقة التي صدَّر بها كپلر تكهناته وكتبه على استمالة كبار القادة البروتستانت، مثل كرستيان الثاني، ملك ساكسونيا، وجيمز الأول، ملك أسرة ستيوَرت في إنجلترا، وكذلك المدن البروتستانتية الإمبراطورية المهمة[179]. كانت هذه الهدايا تُرفق عادةً برسائل لَبِقة يعرض فيها العلماء خدماتهم لزيادة شهرة رعاتهم بوصفهم رجالاً لامعين يشاركون في التحصيل المعرفي.

ترك كپلر أيضاً عدداً لا يحصى من التدوينات والتوقيعات في ألبومات الصداقة، الرائجة حينذاك، التي تضمنت شعاراً وشعارات نبالة أو صوراً أخرى. وكان شعاره الدائم تقريباً، «يا هموم الإنسان، ما أضيع الكثير من الأشياء!» وهذه إشارة حكيمة منه إلى وعيه بهشاشة وضع الإنسان ومآله إلى الزوال. كان هذا ركناً من أركان التواضع، وهو أمر ضروري لدحض أي ادعاء بأن المرء يسعى وراء مطامح فلسفية طبيعية لتحقيق مصلحة ذاتية أو شهرة دائمة.

حرص كپلر على الترويج لمواهبه لدى الكاثوليك بطريقة مماثلة. فقد أرسل تقويمه لسنة 1597 إلى رجل سيصبح أُسقُفاً في المستقبل مع إهداء منقوش بأحرف مُذهَّبة[180]. وما إن نَشَر كتابه الأول، حتى طُبِعَت الإهداءات المهذبة في عدة نسخ، أو دفع كپلر مبلغاً إضافياً لتجليدها تجليداً جميلاً، وندم

أشد الندم لأنه لم ينفق من الوقت ما يكفي للإشراف شخصياً على أعمال التجليد لضمان جودة المنتَج. ولما صار كپلر كاتباً غزير الإنتاج وصاحب نظريات رائدة، وحاز منصب عالم رياضيات إمبراطوري لدى إمبراطور هابسبورغ، قدم مؤلفاته إلى بعض الرجال الكاثوليك الأقوياء في عصره. وقد عانت حياته الشخصية والمهنية في ظل هؤلاء الرجال أنفسهم - فقد استلم فيرديناند أرشيدوق النمسا، الذي طرده من غراتس، كتابه «علم الفلك البصري» عام 1604. وقد حرص كپلر على ألا يسيء إلى اليسوعيين، وهم أَخَوِيَّةُ التعليم القويّة في طليعة حركة التجديد الكاثوليكي، التي أسسها إغناطيوس دي لويولا، التي تضم العديد من العلماء البارعين. كان هيرڤارت فُن هُوِنبورغ، وهو أحد رعاة كپلر الأساسيين النافذين طوال حياته منذ بداية حياته المهنية، أحدَ المستشارين الباڤاريين وقريباً من العديد من اليسوعيين ذوي المناصب المرموقة وغيرهم من الكاثوليك. ففي عام 1604، على سبيل المثال، أشار هيرڤارت على كپلر أن يرسل بالبريد الخاص أحدث مؤلفاته إلى رئيس أساقفة سالزبورغ وكذلك إلى أحد تجار فوغَر الأثرياء، ولا بد أن تكون رسالته المصاحبة «في أكمل هيئة»[181]. ككل التجار الأثرياء، طور أصحاب هيرڤارت اليسوعيون شبكات اتصالات بعيدة المدى.

باتت المعلومات العالمية مهمة الآن للعلماء، وكان كپلر متشوقاً إلى السفر إلى صقلية، متوقعاً أن يرى «جبال أفريقيا»، وقد دعم مساعداً شاباً يتوق لدراسة الكسوف والنجوم الهندية. نقل إليه مراسلوه الكاثوليك آراء اليسوعيين العاملين من الصين[182]. فما لبث عالم الرياضيات أن ابتكر تقنياته الجريئة لتوليد بيانات شاملة. من أجل دراسة الكسوف و«تجديد علم الفلك»، أرسل كپلر عام 1605 استبانةً مفصلةً إلى الدبلوماسيين ومعارفه اليسوعيين والأطباء والمحامين والعلماء في جميع أنحاء أوروبا. زعم أن تدوينات نظره الخاصة في حديقة رودولف للمسرات قد عاقها حرفيون لم يزودوه بالأدوات المناسبة وبستانيٌّ عجز عن إبعاد حشد من رجال البلاط، فلم يتمكن كپلر من

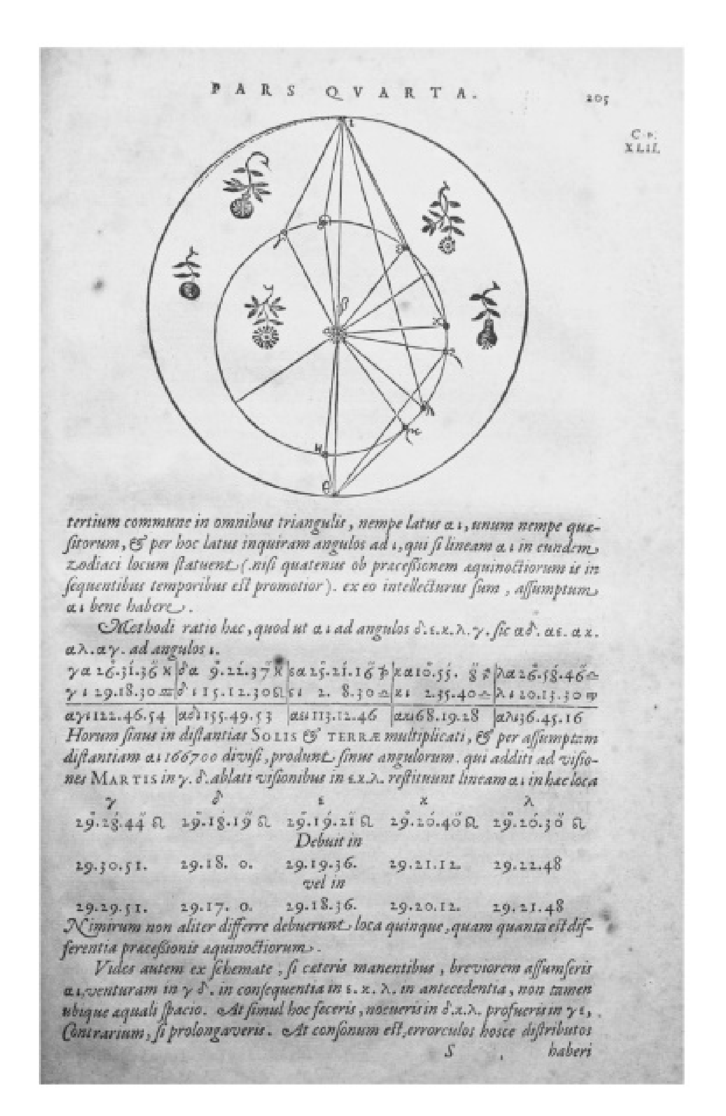
العمل من دون عائق[183]. وقد حاجَّ بأن علم الفلك ليس مجالاً نظرياً مجرداً، بل يعتمد على الحواس وأدوات جيدة لتوليد البيانات - فالعين لا تتفوق على هذه الأجهزة[184]. ساعد كپلر على تحسين المناظير البعيدة مع الأصدقاء مثل صانع الساعات في پراغ هاينرش شْتوله، لكنه لم يجد ظروفاً مثالية لإجراء بحوثه.

باختصار، كانت شبكةُ المعلوماتِ والصداقةِ الواسعةُ ضروريةً في حقبة تنخفض فيها نسبياً المواردُ المخصصة للبحث، وتسود فيها الانقسامات المذهبية المرة وعدم الاستقرار السياسي. كانت الكتابة عن الظواهر الطبيعية في هذه الحقبة تحركها نزاعات شديدة حول الاكتشافات والأفكار النظرية. ما قد نظنه سعياً رياضياً «علمياً» ارتبط ارتباطاً لا فكاك منه بالجهود المستمرة - ولكن المحفوفة بالمخاطر بطبيعتها - لجذب الانتباه، من خلال توليد أنواع جديدة من المعلومات الواقعية وتجميعها وتخزينها على الورق بالحبر. كان لا بد من تحويل البيانات إلى كلمات لإيصال الأفكار والدفاع عنها. وكانت الغاية من هذا هي إثبات أن كل هذه المعرفة مفيدة حقاً، وتسوغ تمويل الأجهزة المتطورة تقنياً أو الطباعة، وتمتلك ميزة مبتكرة تبدو أنها قائمة على أساس متين. أصبح كپلر باحثاً معترفاً به من خلال مواجهة هذه التحديات بدرجة استثنائية (الصورة 20).

***

ساعدت ثلاث إستراتيجيات علماء الفلك الحديث الأوائل على جذب الانتباه. فقد ساعدهم كثيراً قولهم: 1) إن الاكتشافات المهمة على المحك؛ 2) إن آثارها تخص الجميع؛ 3) إنه يمكن إثبات خطأ الأفكار المتنافسة بشكل قاطع. لكن هذا جعل المشككين المعروفين يَحْذرون الادعاءات المُبالَغ فيها من طرف المتحمسين الذين تجرفهم حماسة اكتشافاتهم بعيداً عن الحقيقة. علق أحد رجال الدين الإنجليز في عام 1601 قائلاً بذكاء، «السماء هي كتاب

الله الذي يجب أن نتركه له. فما معنى أن يضعنا الله بعيداً جداً عن النجوم لو كان باستطاعتنا أن نفعل كل الأشياء كما لو أننا أقرب بوساطة


PARS QVARTA. 205

Cap. XLII.

tertium commune in omnibus triangulis, nempe latus αι, unum nempe quæsitorum, & per hoc latus inquiram angulos ad ι, qui si lineam αι in eundem zodiaci locum statuent (nisi quatenus ob præcessionem æquinoctiorum is in sequentibus temporibus est promotior). ex eo intellecturus sum, assumptum αι bene habere.

Methodi ratio hæc, quod ut αι ad angulos δ.ε.κ.λ.γ. sic αδ. αε. ακ. αλ. αγ. ad angulos ι.

γ	δ	ε	κ	λ
γα 26.31.36 ♓	δα 9.22.37 [illegible]	εα 25.21.16 ♑	κα 10.55. 8 ♐	λα 26.58.46 ♎
γι 29.18.30 ♒	δι 15.12.30 ♌	ει 2. 8.30 ♎	κι 2.55.40 ♎	λι 20.15.30 ♍
αγι 122.46.54	αδι 155.49.53	αει 113.12.46	ακι 68.19.28	αλι 36.45.16

Horum sinus in distantias SOLIS & TERRÆ *multiplicati, & per assumptam distantiam αι 166700 divisi, produnt sinus angulorum. qui additi ad visiones* MARTIS *in γ. δ. ablati visionibus in ε.κ.λ. restituunt lineam αι in hæc loca*

γ	δ	ε	κ	λ
29.28.44 ♌	29.18.19 ♌	29.19.21 ♌	29.20.40 ♌	29.20.30 ♌

Debuit in

29.30.51.	29.18. 0.	29.19.36.	29.21.12.	29.22.48

vel in

29.29.51.	29.17. 0.	29.18.36.	29.20.12.	29.21.48

Nimirum non aliter differre debuerunt loca quinque, quam quanta est differentia præcessionis æquinoctiorum.

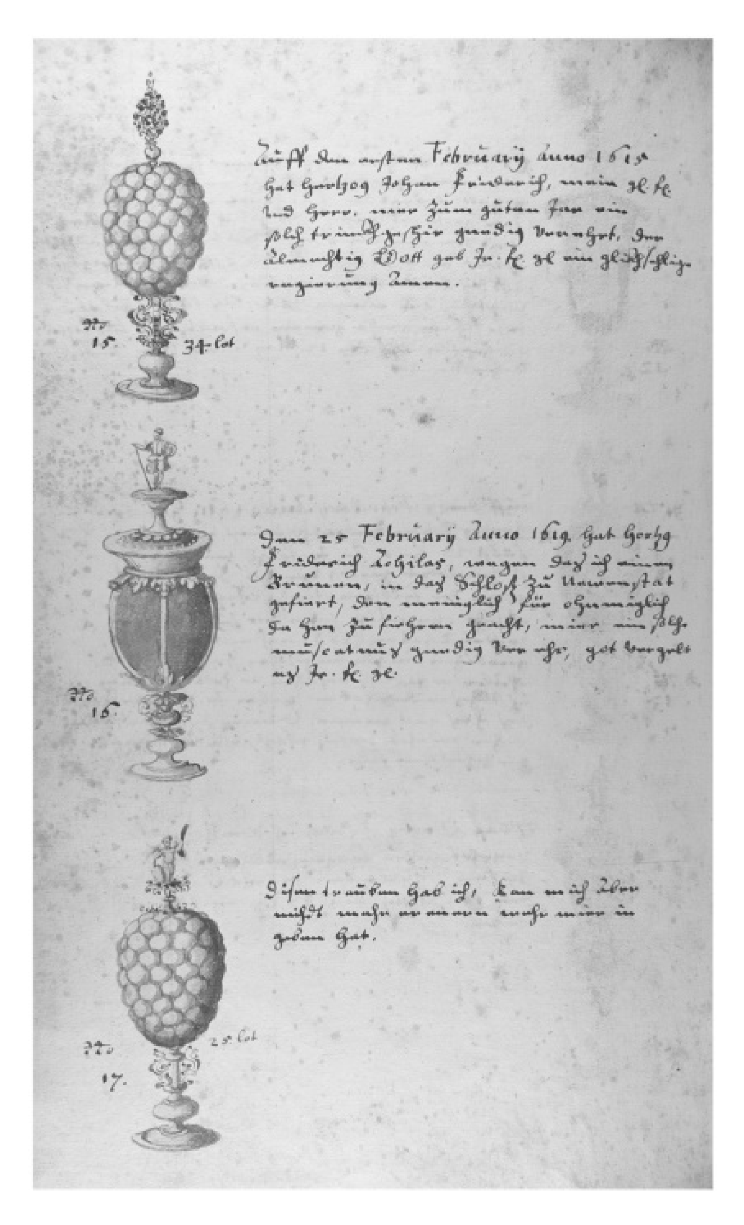
Vides autem ex schemate, si ceteris manentibus, breviorem assumseris αι, venturam in γ δ. in consequentia in ε. κ. λ. in antecedentia, non tamen ubique æquali spacio. At simul hoc feceris, nocueris in δ.κ.λ. profueris in γε. Contrarium, si prolongaveris. At consonum est, errorculos hosce distributos

S haberi

الصورة 20. يوهانس كپلر، نقش خشبي من كتاب «علم الفلك الجديد» الذي يحسب المسافات، ويتضمن عناصر عضوية «أرضية» وزهوراً وفاكهة عادية، تتكامل كلها في تمثيل رياضي أنيق. © بإذن من عميد كلية سينت جون وأساتذتها، كيمبردج.

5

أُسْرةٌ تتنادى



الصورة 21. صفحة من دفتر مقتنيات هاينرش شِكارد الذي يضم قائمة بكؤوس الشرب التي في حوزته ومن أين أخذها ومقابل أي خدمة. ومن الطريف أنه لم يتذكر من قدم له الكأس الأخيرة. المخطوطات التاريخية، الحافظة 562، المجلد 152. © شتوتغارت، مكتبة ولاية ڤيرتمبيرغ.

عشرين صفحة من مخزونه الخاص، مع ذكر الوقت الذي تلقى فيه الهدايا (من كؤوس وأباريق وبراميل صغيرة ذهبية وفضية) لأعمال البناء التي نفذها وأي الهدايا باعها أو أهداها إلى غيره (الصورة 21)[192].

كانت الأحجار والنباتات تُتداوَل عبر مسافات طويلة مقابل مشغولات رائجة من الفضة. في عام 1631، تركت أرملة من أسرة بيسيرر الميسورة عملات معدنية مطلية بالذهب وسِنَّ وَشَقٍ مطلية بالفضة - يقال إنه يكافح الصرع - بالإضافة إلى نبتة هَدال مطلية بالذهب، ومرجاناً، وعلبة فضية لنوى التمر مستوردة من منطقة البحر الأبيض المتوسط. كان هناك اعتقاد بأن نوى التمر تحمي من الصواعق، وتمكن أحد الحرفيين من جمع خمسة وخمسين حجراً للشفاء بالإضافة إلى أسنان ذئب مطلية بالفضة (لدرء الشر والسير في أثناء النوم)[193]. مع انخفاض سعر الفضة بسبب إمدادات العالم الجديد، تمكن الناس حتى حرفيو ليونبيرغ من الحصول على بعض السلع الفضية. على سبيل المثال، عندما انتقلت باربرا شِفَر إلى منزل للمرضى وكبار السن في عام 1577، تركت لأختها وزوجها، الخباز، كوباً فضياً وقطعة أرض صغيرة[194]. ضم مخزون الخزّاف شتوفِل بولِنغ أشياء مطلية بالفضة: سِنَّي ذئب ونواة تمر وأربع ملاعق. لعله حصل على هذه الممتلكات الثمينة من العرابين الذين تمكن من تجنيدهم لأطفاله - أسرة مارغريف فُن بادن ولاندغريف مورتس فُن هِسن. دأب الأثرياء على أن يكونوا عرابين للأطفال من الرتب الدنيا، وقدموا أموالاً وهدايا ثمينة لتعزيز الولاء الذي يتجاوز الانقسامات الاجتماعية[195]. في عام 1610، كانت تركة حذَّاء بقرة وخنزيرين «وكأسين فضيتين طويلتين مطليتين بالذهب من الأعلى». ترى، هل لهاتين الكأسين علاقة بمنصبه حين كان قاضياً عادياً في المحكمة الجنائية لأكثر من عقدين؟[196]

بطبيعة الحال، كانت ممتلكات ماتِس پلودرهاوزن الفضية، الحاكم الدوقي في ليونبيرغ قبل آينهورن، متعددة. ففي عام 1621، كان في منزله

المطل على ساحة السوق صناديق تحتوي على عنقود عنب مُذهَّب، وأسد مُذهَّب مع درع، وكأس وقدح مذهّبين، وكأسين فضيتين، وأربعة عشر كوباً فضياً، وقِدر فضي، وسفينة فضية، ومملحة فضية، وتسع ملاعق فضية، وسكينين[197]. تُرى، كيف يرد مسؤول حكومي كهذا حين يُتَّهم أحد أبنائه بالمعمودية أو أقاربه في المحكمة؟ هل رُشِيَ ببعض هذه الكؤوس الفضية الأربع عشرة، وربما بغيرها كان قد أهداها إلى غيره؟

حين قدمت كاترينا لآينهورن كأساً فضيةً كانت قد خزنتها لوقت الشدة، لعلها فعلت ما يفعله الناس دوماً حين يقعون في ورطة للتأثير في الحكام. كانت قد ضربت موعداً لرؤية آينهورن، فخبأت الكأس تحت مئزرها الصوفي، بدلاً من إظهارها له على الفور. زعم آينهورن أن ابنها كرستوف وابنتها مارغريتا قدما له هدايا مماثلة في زيارات منفصلة[198]. أصبحت الآنَ الهديةُ التي قد يقبلها المسؤول عادةً تُصنَّف رشوةً للدلالة على ذنب كاترينا.

كذلك تشهد الكأس على ثرائها النسبي. وهذا ما يفسر سبب ثقة العامل مياومةً هالر الذي دفع لكاتب عرائض لكي يقدم التماساً لأجل أن تُستخدَم بعض ممتلكات كاترينا لدعم أسرته التي «تأثر أطفالها بشدة بسبب السحر الذي تمارسه»[199]. عند استلام هذا الالتماس، في أوائل ديسمبر 1616، أخبر أعضاء المجلس الدوقي هالر بالاعتماد على صندوق إعانة الفقراء. ومع ذلك، فقد طلبوا قائمة كاملة بممتلكات كاترينا ومنعوها من بيع أي شيء. عند هذه النقطة، كانت كاترينا في عِداد الهاربين، وينبغي القبض عليها عند عودتها من أجل إثبات هل كانت ساحرة أم لا[200]؟

***

لكن إلى أين ذهبت؟ صارت كاترينا تعيش في أغلب الأحيان في منزل ابنتها، في أبرشية هُوْيمادِن، وقد أجَّرت أرضها لابنها الأصغر[201]. كان هذا ترتيباً شائعاً بين الأرامل وأبنائهن، قبل حصول هؤلاء على حصتهم من جميع

الممتلكات بعد وفاة الوالدين. كانت إعادة توزيع الحقول والمروج وكروم العنب وحواكير الخضروات تجري ببطء، لكي يحتفظ الآباء في ڤيرتمبيرغ بأكبر قدر ممكن من السلطة على أبنائهم المستقلين. وهذا يعني رهن الأبناء بأموال آبائهم وآمالهم، لفرض نظام صارم من الكَدِّ والاقتصاد لصون ما سَيَؤول إليهم مُلْكُه في نهاية المطاف. يزرع الأبناء الأرض المؤجرة مقابل أجر أو جزء من المحصول، وتحصل الأم الأرملة العجوز على مال وتُرسَل إليها الحبوب بعد درسها وطحنها، والعشب المحصود، والتبن من المخزن، وبراميل من النبيذ المعصور[202].

بعد جلب الحصاد، جاء كرستوف لأخذ والدته من منزل أخته ليسافر معها شرقاً، عبر حدود ڤيرتمبيرغ، إلى يوهانس كپلر، الذي يدرِّس الآن في مدرسة صغيرة في مقاطعة لِنس اللوثرية. تقع هذه العاصمة الإقليمية في النمسا العليا على طريق تجارية على مسافة 240 كيلاً جنوب پراغ على نهر الدانوب، لكن لا تتوفر فيها خدمة البريد إلى پراغ أو غراتس أو ڤيينا. لذلك كان لا بد من دفع تكاليف خدمات السُّعاة المكلفة التي تُحْسَب على أساس وزن الرسالة[203]. بالإضافة إلى التدريس، كان كپلر يُجري مسحاً للجبال والقرى على مضض لرسم خريطة النمسا العليا. وهذا يسوغ حصوله على لقب «عالم رياضيات المنطقة».

من المرجح أن امرأة مثل كاترينا كپلر قد اضطرت إلى السير إلى لِنس، لأنها لا تستطيع ركوب الخيل، ولا تقوى على تحمل تكلفة استئجار حصان (كما أن أصحاب العربات يتجنبون نقل الركاب). لا بد أنها بدأت رحلتها على طريق التجارة المزدحمة، والآمنة نسبياً، من جنوب شتوتغارت إلى مدينة أولم. ومن أولم، سافرت كاترينا بالقارب على نهر الدانوب عبر المناطق الكاثوليكية في الجنوب الشرقي، ومن ثم إلى پاساو. غادر القارب باڤاريا، ووصل إلى النمسا العليا. كان كپلر نفسه قد أكمل ذات مرة هذه الرحلة البطيئة المزدحمة، فأُصيب بالقمل في الطريق[204].

صحيحٌ أن كاتَرينا كانت برفقة ابنها الأصغر، لكن لا بد أن الرحلة كانت صعبة للغاية بالنسبة إلى امرأة في سنها وهي تسافر في الشتاء المتجمد. وكالعادة، تمكنت من إتمام الرحلة بعزيمة وإصرار. لكنها ما لبثت أن مرضت عند وصولها إلى لِنس. بعد أن ابتعدت كاترينا عن بيتها، وحُرِمَت من السيطرة على أي شيء تملكه، باتت تعتمد الآن على أقاربها لإرسال التماساتهم إلى يوهَن فردرك، دوق ڤيرتمبيرغ.

***

حكم الأمراء الألمان بصفتهم حكاماً شخصيين بقدر ما كانوا رؤساء لممالك سائرة في دروب البيروقراطية. كان السكان المتعلمون إما أن يرسلوا التماسات مكتوبة بالبريد، وإما أن يسلموها مباشرةً إلى الحاكم، وهو الأفضل. لكن ينبغي أن تكون الالتماسات دوماً مكتوبةً، كي يرد عليها المسؤولون ثم يُحتفَظ بها في ملفات المملكة. عُرِف عن مَكسيمِليان الأول ملك باڤاريا (حكم من 1598 إلى 1651)، القائد القوي والمثقف جداً في حركة التجديد الكاثوليكي في الأراضي الألمانية، أنه يقبل التماسات «رعاياه الفقراء» كل صباح وهو في طريقه إلى الكنيسة في ميونيخ. كان الفلاحون يسافرون أياماً للفت انتباهه، وكانت النساء من أبرز أصحاب الالتماسات، وفي مقابل عفوٍ يمكن أن يتعهدن بدفع نفقات قداس سنوي عند أحد الأضرحة، تماماً كما اعتدن على طلب المساعدة من مريم العذراء والقديسين وشكرهن لهم[205]. كانت فكرة الاستنجاد بالسلطات الروحية والدنيوية راسخةً رسوخاً عميقاً في أذهان الناس تماماً مثلما أن التبادل هو أساس هذه المقايضات.

ما الذي يمكن أن تقدمه امرأة لوثرية مقابل الاستماع إليها؟ أرسلت أورزُلا راينبولد، زوجة الزجّاج، التماساتها إلى الدوق يوهَن فردرك. وقد وعدته في جملة طويلة ألا «تنسى أبداً سعادة السيدة زوجة صاحب النعمة الأميرية وأطفاله في هذه الدنيا والآخرة وأن أدعو العلي القدير في أصدق صلواتي وصلاة الرب أن يجعل عهدك عهداً ميموناً». ثم وقعت: «بانتظار قراركم الكريم

بكل تواضع. أَمَتُك الفقيرة المريضة. أورزُلا، زوجة ياكُب راينبولد في ليونبيرغ»[206]. في مقابل صلواتها الضارعـة، أرادت أن تُسجَن كاترينا.

***

حين أزمة عائلته، كان كرستوف كپلر شاباً في أواخر العشرينيات من عمره. وقد أدى اتهام والدته إلى تعطيل حياته المستقرة المنتظمة، وهي حالة لا بد أنه كان يتشوَّف إليها، وذلك بسبب ما شاب طفولته من اضطراب غير عادي. ففي عام 1612، حين بلغ الخامسة والعشرين من عمره، تزوج ابنة عمدة إلتنغن، أي أنه تزوج امرأة من مقام أمه بالضبط حين تزوجت والده. استفاد كرستوف من ازدهار حرفته خلال السنوات التالية (بحلول عام 1626، كان هناك خمسة وخمسون من صناع القصدير الذين يمارسون تجارتهم في إحدى وثلاثين من بلدات ڤيرتمبيرغ الصغيرة)[207]. جنى كرستوف مالاً وفيراً من عمله لصالح الدوقة زيبلّ التي دفعت له 173 فلورناً من أجل حوض استحمام صنعه لها[208]. في صيف 1613، عندما كانت زوجته حبلى بطفلهما الأول، اشترى كرستوف الجزء الخلفي من منزل مقابل دار البلدية في ساحة السوق. كان هذا المكان الرائع مقابل المنزل الذي انتقل إليه والداه أول مرة عندما أتيا إلى ليونبيرغ. أكدت هذه الخطوة من جديد مكانة الأسرة في السلَّم الاجتماعي للبلدة.

احتاج شراء المنزل إلى دفع 150 فلورناً مقدماً، والباقي - 275 فلورناً - على أقساط سنوية. اشترك كرستوف في المبنى مع دبّاغ شاب يعمل في دباغة الجلود البيضاء المصقولة لصناعة القفازات والأحذية. كان كلا الحرفيين الشابين يدير ورشته الخاصة بالسلع الفاخرة في الطابق الأرضي. كانت هناك غرفة استقبال في الطابق الأول في الخلف وغرفتا نوم صغيرتان مع إطلالة على مخزن الحبوب في الخلف وحظيرتي خنازير ومزبلة كپلر. أبقى الدبّاغ كومة الروث الثمين التي تخصه في ساحة السوق[209]. ومع ذلك، لم تُنَفِّر هذه

العملاء الباحثين عن الجلود الناعمة اللامعة ولا عن أدوات كرستوف المصنوعة من القصدير. ظل كرستوف كپلر وزوجته وابنتهما الوحيدة، مدة خمس سنوات، في منزلهما، يصنعان الأطباق وحوامل الشموع والخزانات وأحواض الاستحمام وتمائم أسنان الذئب وربما حتى الألعاب.

بينما قاتل كرستوف من أجل كرامة والدته، أعرب أيضاً عن رغبته في حياة مستقرة مستحقة. وفي يناير 1617، تلقت مستشارية شتوتغارت رسالة طويلة موقعة من غيورغ بِنْدر، القس في هُوْيمادِن، وكرستوف كپلر، المواطن وصانع القصدير في ليونبيرغ، موجهة إلى «أميرهم وسيدهم الكريم» الدوق يوهن فردرك. أشارت الرسالة إلى بداية القضية الحزينة التي جُرّا إليها مع «أمهما العزيزة التي تجاوزت السبعين من العمر». قدما في الالتماس رواية مفصلة للتهمة وحاولا إفهام الدوق أن أسرة كپلر تحسب نفسها أعلى مقاماً من عائلة راينبولد.

أوضحت العائلة أنها لم ترغب في المغامرة بإقامة دعوى قضائية انتقامية لتسوية خصومة محلية. بل لجأ القس وصانع القصدير إلى القانون لأنه ملاذهم الأخير. أنكرت كاترينا في البداية تهمة أورزُلا بأنها ساحرة وحسبتها أنها «مجرد كلام وحديث نساء». فقررت هي وعائلتها ألا ينظفوا أنفسهم «على إناء كله سُخام» - أي، إثبات شرفهم ضد أشخاص سيّئي السمعة - ولهذا لم يرفعوا في البداية دعوى تشهير. لكن في النهاية، لم يكن لديهم خيار سوى الدفاع عن شرف اسمهم.

شكك كرستوف كپلر وصهره على الفور في شخصية أورزُلا راينبولد. فزعما أن زوجة الزجَّاج مكروهة من قبل الجميع ومعروفة بأنها عاهرة؛ بل إنها سُجنت بتهمة الزنا. وقد شوهدت أورزُلا بصحة جيدة من قبل الجميع في العديد من المناسبات مثل حفلات الزفاف والمعارض التي تقيمها الكنيسة. حاجَّت أسرة كپلر بأنه حتى لو كانت مريضة حقاً، فإن حالتها ناتجة بلا شك عن حياتها الجنسية المنفلتة والنصائح الطبية الخاطئة. فقد استخدمت أورزُلا راينبولد من

قبل أشياء «شيطانية» محظورة بدلاً من الأدوية المناسبة، وعلاوةً على ذلك، حصلت عليها من أشخاص سيئي السمعة مثل ضباط شتوتغارت المسؤولين عن المتشردين ومن الدجالين الذين يزورون الأسواق المحلية.

لجعل هذه الادعاءات مقنعة، اعتمدت أسرة كپلر على معلومات مفصلة. قالوا إنه قبل ثلاثة أيام فقط، طلبت أورزُلا من أحد «شُذّاذ الآفاق» (كما يسمى الدجالون الجوّالون) أن يأتي إلى منزلها وأخذت دواءه. سُجِنَ الرجل بعد ذلك بسبب «فنونه المحرمة». وكذلك استشارت رجلاً زعم (في شتوتغارت وأماكن أخرى) أنه يعرف كيفية التخلص من الحَدَب وتضخم الغدة الدرقية، وقد قتل الرجل العديد من مرضاه. شعرت أورزُلا أن قلبها يكاد يُنتزع من جسدها بعد أن تناولت دواءه، ولم ينقذها من الموت سوى مهارات أخيها. ولما كانت أسرة كپلر تدرك كل هذه الظروف، لم تأخذ الاتهامات على محمل الجد، لكنها طلبت من الحاكم الدوقي التدخل وأمر أورزُلا بالكَفِّ عن التشهير بهم.

وأوضحوا لجوءهم إلى القانون بتأكيد نقطة تحول في القصة: الحادثة في منزل الحاكم. كانت أورزُلا وزوجها وشقيقها، إلى جانب الحاكم آينهورن، قد شربوا كثيراً وطلبوا من كاترينا المثول أمامهم من دون أي ممثل قانوني من الذكور. أخضع شقيقُ أورزُلا كاترينا لضغط لا يُحتَمل. بعد أن قررت عائلة كپلر أخيراً اتهام آل راينبولد رسمياً بالتشهير، تجنب آل راينبولد، مثل آينهورن، جلسات الاستماع القانونية بتأجيل التواريخ.

قُبيل التاريخ الذي اتُّفِق عليه أخيراً لجلسة الاستماع، دخل ابن جزّار الخيول الهزيلة هالر وزوجته إلى الحلبة. كان كلاهما لصاً معروفاً عوقب بتهمة السرقة قبل بضع سنوات. كانت زوجة الجزار معروفة أيضاً بممارسة السحر والطب. ادعى صاحبا السمعة السيئة هذان أن كاتَرينا قد آذت أطفالهما. كان آينهورن قد التقط التهمة واستأذن مستشاري الدوقية باعتقال كاترينا فوراً لأنه يخشى أن تدينه جلسة استماع قانونية بالتصرف بتهور وانحياز لراينبولد. أُغلِق منزل كاترينا ودُوِّنت جميع ممتلكاتها. تسبب هذا في الكثير من «العار

والسخرية». تابعت الرسالة قائلة إن أكثر الأشياء قيمة في المنزل تعود ملكيته إلى يوهانس كپلر الذي عُيِّن عالم رياضيات إمبراطورياً في لِنس.

لذلك، لم يترك الكاتبان أي شك في أن آل راينبولد وآل هالَر لا يمكن تصديقهم بسبب سمعتهم السيئة، كما لا يمكن الوثوق بالحاكم الدوقي. لقد حاجَّا بقوة أن آينهورن يفضل الأشخاص الذين يريدون «ملء جيوبهم بالباطل». وقد عرّض الحاكم حياةَ عجوزٍ للخطر من دون أي دليل.

كما أشار آل كپلر ضمناً أن المجتمع بأكمله يقف إلى جانبهم، فكتبوا أن «الجميع» في ليونبيرغ يشكك في أن ابنة العامل مياومةً لديها مشكلة في ذراعها. كما أن «الجميع» يعلم أن والدي الفتاة فقدا كل ممتلكاتهما بسبب التبذير، فبدآ بالسرقة، والآن باتا يخالطان آل راينبولد سراً.

بعد الهجوم على مصداقية الشهود جاءت النقطة الأخيرة في قضية الدفاع: لم تهرب كاترينا لشعورها بالذنب، بل بناء على نصيحة «عالم الرياضيات الإمبراطوري» الذي تعيش معه الآن في «مكان مشرِّف وليس في مكان مجهول، نتيجة المعاملة التي تلقتها». ستعود وتكون على استعداد للمثول أمام المحكمة مع ممثل عنها. وكل ما تطلبه الأسرة الآن هو أن يُسمَح لها بمواصلة قضية التشهير أصولاً[210].

قسَّم آل كپلر العالَم في رسالتهم بين شرفاء ذوي رشاد، وهم الجماعة التي ينتمون إليها بلا ريب، وبين أعدائهم. وهذه الجماعة الأخيرة تخالط الكذابين الكسالى المشردين الهائمين على هامش المجتمع. وهؤلاء لا يتورعون عن شيء ولا تهمهم إلا مصلحتهم الخاصة، ولا ينبغي للقانون أن يحميهم. ومع ذلك، لم يقدم آل كپلر في رسالتهم شيئاً مقابل طلب مِنّة الدوق، ولا حتى الامتنان. خطَّ بِنْدَر الرسالةَ، التي بلغت صفحات وصفحات من السرد، بخطه الأنيق. ومع ذلك، جرت العادة أن يكون الالتماس الفعال موجزاً ونبرته

أكثر تهذيباً وخضوعاً. فقد حددت كتب المشورة الخاصة بكتابة الرسائل بالتفصيل مدى حاجة المرء إلى الاهتمام بالمراسلات من هذا النوع.

أشار أعضاء المجلس الدوقي بسهولة إلى «الطريقة القبيحة» التي تحدث بها آل كپلر عن الحاكم وآل راينبولد[211]. ومن غير المرجح أنهم نقلوا مثل هذه الرسالة إلى الدوق. ولعل الالتماس أضر بقضيتهم فعلاً بسبب نبرته الوقحة غير اللبقة.

***

ومع ذلك، تلقت المستشارية الدوقية التماساً آخر في الوقت نفسه في يناير 1617، التماساً سديداً، مكتوباً بشكل أقل ترتيباً، بخط سميك، ولكنه يستهلُّ بخطاب أطول بكثير: «سيدي وأميري اللامع نسل الكرام. بمقدور سموكم الأميري أن تتأكدوا من خدمتي المتواضعة الخاضعة لكم في جميع الأوقات. سيدي وأميري الكريم».

شرح يوهانس كپلر ببراعة كيف مكنه الدعم الأميري من تحقيق مكانته، وأنه لن ينسى أبداً واجبه ودَيْنَه لوطنه الأم، وأنه لا يرغب في شيء سوى خدمة هذا الوطن بمهاراته في الرياضيات. وأكد ولاءه الكامل لأدواق ڤيرتمبيرغ بالكتابة أنه لم يفوت فرصة قط لمدحهم. وتابع عالم الفلك قائلاً إن أي تقدير يناله عمله لن ينعكس فقط على من وظفوه، بل على سلالة ڤيرتمبيرغ نفسها.

حَسَبَ كپلر كلماته هذه بعناية، إذ كانت القصور جميعاً تحرص على أن يُشاد برعايتها للفنون والعلوم. لكن هل يمكن أن تكون هذه الكلمات مجرد مجاملة؟ لكي يثبت كپلر أن قوله لم يكن مجرد كلمات فارغة، فقد كان فَطِناً حاذقاً في إرفاقه ورقةً من تقرير مطبوع حديثاً عن الأزياج الرودولفية المنتظَرة بفارغ الصبر، ويعبر مقطع فيه عن طاعته وشكره لأدواق ڤيرتمبيرغ.

عرف كپلر كيف يوازن بمهارة بين الحاجة إلى إظهار نفسه بمظهر الخادم المتواضع، مع إظهار الثقة أيضاً بقدراته ونفوذه.

راح كپلر يضغط الآن بقوة أكبر لأنه يعلم أن بإمكانه دوماً الاعتماد على دعم العديد من الحكام الألمان والأجانب نظراً لخبرته في الرياضيات وسلوكه الذي لا تشوبه شائبة، وكان يأمل أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى علاقته مع يوهن فرردرك. لم يُشر كپلر بإيجاز إلى قضية والدته إلا بعد هذا العرض الدقيق لإنجازاته: فقد تعرضت أمه للتشهير الشديد، وأصدرت المستشارية الدوقية سلسلة من الأوامر الخطرة قُبيل سماع الشهود. لم يطلب كپلر أن يتدخل الدوق في المقام الأول من أجل والدته. بل يحتاج هو نفسه إلى الدعم بوصفه أحد علماء الدوقية الناجحين دولياً: «لإنقاذ اسمي المعروف جيداً وحمايته من خطر الاستهزاء والإساءة العظيمة». وأضاف عالم الرياضيات أنه أُجبِر على البقاء في لِنس في الوقت الحالي، لكنه عين محامياً لتمثيله. وأكد أن «والدته العزيزة» بريئة وقد استُجرَّت إلى هذه الدعوى للدفاع عن شرفها وحياتها وممتلكاتها[212].

كانت الحجة واضحة بما فيه الكفاية: رأى كپلر أن سمعته وعلاقته الجيدة مع أدواق ڤيرتمبيرغ على المحك. فسمعته من سمعتهم، ويمكنه تحويل ولاءاته بالكامل إلى الرعاة الأجانب، مع أن الأزياج الرودولفية (أهم أعماله) لم تُنشر بالكامل بعد. والدعوى المرفوعة ضد والدته أساسها التشهير وهي بالتأكيد بريئة.

***

بالإضافة إلى هذا الالتماس الرسمي، أرسل كپلر أيضاً بالبريد رسالة شخصية طويلة إلى زباستيَن فابر، نائب مستشار الدوقية. لعل كپلر التقى به في بلاط شتوتغارت أو پراغ، عندما مثّل فابر مصالح الاتحاد الپروتستانتي لدى رودولف الثاني في عام 1609. كان فابر محامياً بالمهنة، وقد ظل في منصبه

نائباً للمستشار حتى وفاته عام 1624 وكان واحداً من أكفأ المسؤولين الكبار في ڤيرتمبيرغ. أدرك كپلر أن فابر سيشارك من كثب في القرارات المتعلقة بقضية والدته، حيث يترأس اجتماعات مجلس القضاء في القسم العلوي من مبنى مستشارية شتوتغارت. تضخم المجلس الأعلى من تسعة إلى عشرين رجلاً، معظمهم من المحامين المكلفين فض النزاعات القانونية الكبرى في الدوقية. قد يراجع فابر القضايا الصعبة مع الدوق ومستشارين كبار آخرين في جلسات متفرقة للمجلس الخاص. كان فابر قد صاغ قرارات سياسية مهمة في الدوقية لمدة تسعة عشر عاماً. وأيقن كپلر أن الوقت قد حان لاستخدام هذه الصلة، على الأقل لضمان أن يُقرأ التماسه إلى الدوق بالفعل[213].

كتب كپلر بصراحة إلى فابر عن شعوره باليأس العميق. فحتى الآن تمتع دوماً بسمعة طيبة. تابع كپلر قائلاً، بتعبير مدروس ودرامي إلى حد ما، أما الآن فإن هذه «العاصفة الرعدية» قد دفعت سفينة حياته نحو «منحدرات خطرة». فوالدته ليست سوى عجوز ثرثارة ومذنبة بعادات أخرى «شائعة جداً» في ليونبيرغ، مثل الفضول والحقد. لكنها لا تستحق أن تعامَل بهذه الطريقة القاسية الظالمة غير المستحقة. وأوضح أن «كل الأضرار» التي لحقت بأمه لحقت به. يتضح من رسالة كپلر مدى القلق الذي استبد بجميع الرجال في الأسرة من جراء القضية. وذكر أن شقيقه الأصغر كرستوف قد أخبره كيف بدأ النزاع. تورط كرستوف أول مرة في نزاع حول شأن ما مع أورزُلا راينبولد فاتهمها بالفسوق، وانضمت كاترينا إلى ابنها. والآن يخشى كرستوف من الحاكم آينهورن ومن إزعاج المجلس المحلي، ولا سيما أنه قد اشترى جنسيته للتو. كما يخشى صهره بِندَر أن يفقد منصبه في الأبرشية. وقلل كپلر من تشهير أخيه الأكبر هاينرِش علناً بوالدته باعتباره تشهيرَ جندي «متمرس في المشاكسة». تسببت ثرثرة النساء المستمرة في مزيد من الضرر. واتهم آينهورن بسوء التصرف. وأخيراً، أبلغ كپلر فابر أنه عيّن محامين قانونيين له ولوالدته في توبنغن وشتوتغارت وليونبيرغ[214].

في نهاية شهر يناير، تلقت المستشارية التماساً آخر، هذه المرة من الزجَّاج راينبولد زعم فيه أن كرستوف كپلر ساعد والدته على الهروب، ونقل أغلى ممتلكاتها، وهدد راينبولد بملاحقة قضائية ستجعله يتسول. تحسَّر الزجَّاج لأن هذا سيكون مصيره على أي حال بعد أن اشتد المرض على زوجته الآن حتى باتت لا تستطيع مساعدته في أي عمل[215].

***

في 29 يناير 1617، استجاب ثلاثة من أعضاء مجلس الدوقية لهذه القضية التي تزداد تعقيداً. ها قد نجحت مرافعة كپلر. لم تعد كاترينا قيد الاعتقال ومُنِحت الأمان لتعود إلى ليونبيرغ. لا يحق لآينهورن أن يسجنها، بل أن يستجوبها فحسب إن كانت قد لمست ابنة هالر ولماذا، ولماذا وعدت آينهورن بكأس فضية، ولماذا غادرت البلاد. لَزِم آينهورن بعد ذلك أن يرسل أجوبتها إلى المستشارية وينتظر المزيد من التعليمات. في هذه الأثناء، ينبغي لكرستوف، نجل كاترينا، وصهرها أن يُبْقيا جميع ممتلكاتها تحت رعايتهما[216].

بعد خمسة أسابيع، اشتكى كرستوف كپلر وغيورغ بِنْدر من عدم تحديد موعد لجلسة استماع قانونية[217]. بدورها، أمرت المستشارية الحاكم آينهورن أن يباشر الإجراءات حتى في غياب كاترينا[218]. كان كيرن، كاتب البلدة، مفوضاً في القضية، وبحسب الأصول أخبر أوصياء كاترينا القانونيين بموعد سماع الشهود. بدا أن المحاكمة على وشك أن تبدأ.

احتاجت النساء إلى وصي من الذكور للنيابة عنهن في المحاكم المدنية أو الجنائية. يقرأ الرجال كل الوثائق ويشرحون معناها ويحصلون على موافقة المرأة قبل الترافع. كان أول وصي عُيِّن لكاترينا هو بيرتلِن أوبرلِن، جارها الملاصق لمنزلها الصغير الذي تملكه في زقاق الكنيسة وأغلقه آينهورن. أما الوصي الثاني، الأكثر نفوذاً بكثير، فهو ڤايت شوماخر، وهو سَرّاج في الخامسة والسبعين من عمره. كان شوماخر رجلاً محترماً شغل للتو منصب رئيس

البلدية في 1615-1616 وهو قاضٍ في المحكمة الجنائية منذ عام 1585. كان شوماخر، الذي نمت ثروته طوال حياته، يكبر كاترينا بقليل، وكانا يعرفان بعضهما بعضاً منذ عقود. راح يشعر أيضاً بتقدم سنه إلى درجة أنه في عام 1619 طلب إذناً بالتقاعد من جميع التزاماته بسبب «كبر سنه وصعوبات أخرى»[219]. أما الآن فصارت للسرَّاج صفة مستشار لكاترينا كپلر.

في هذه الأثناء، واصل بِنْدر وكرستوف كپلر الضغط على آينهورن. فقد أبلغا المستشارية أنه لا يزال يرفض بدء الإجراءات في غياب كاترينا وهو «السبب في كل هذا الالتباس»[220]. في اليوم التالي، في 28 مارس 1617، كتب عشرة من أعضاء مجلس الدوقية بنفاد صبرٍ إلى آينهورن يأمرونه بالبدء في القضية، حتى لو لَزِم أن يمثل كاترينا أوصياؤها الذكور إلى أن تعود[221]. ومع ذلك، لم يحدث شيء.

***

في أبريل 1617 وجد يوهانس كپلر نفسه في پراغ. أرسل رسالة طويلة إلى رِغينا، ربيبته من زوجته الأولى، التي نشأت في المدينة، لكنها الآن صارت امرأة في أواخر العشرينيات من عمرها وتعيش في مكان آخر. في بداية حياتهم في پراغ، ظل يطلب من زوجته الأولى باربرا أن تُبقي «رِغيرل [رِغينا] مشغولة بالخياطة» وفي الداخل. وهما يبحثان لها عن زوج پروتستانتي، فضَّلا أن يكون رجلاً هادئاً ذا سمات سارّة ومظهر نبيل، وأن يكون مَرِحاً و«عسكري» القسمات وليس كئيباً[222]. في عام 1608، تزوجت رِغينا من ممثل فردرك الرابع، دوق البلاطينية. وهي الآن حامل للمرة الأولى. لم يكن كپلر ذلك العالِم البليد المنعزل كما يُشاع عنه، فأخبر رِغينا في رسالة عمن مات في پراغ، وعمن يريد أن يتزوج من جديد وممن، أو ما ينوي بعض أقرانها فعله. كان كپلر رجلاً متعاطفاً ومقدَّراً في الدوائر الاجتماعية. ولهذا ذكر أن فراو پولتسِن، وهي امرأة نبيلة ذات «كياسة نمساوية»، تزوجت من عضو في المجلس

الإمبراطوري أقام كپلر في منزله، أرسلت لها تحياتِها وأخباراً حزينة. كانت مريضة للغاية وفقدت ابنها الأصغر وابنتها قبل ثلاثة أشهر. كان كپلر منهمكاً في شؤونه الشخصية الحميمة في هذا الوقت، إذ كان يلتقي بأصدقائه من پراغ ويُدعى إلى عدد من حفلات الزفاف من قبل معارفه من الذكور والإناث.

كان للأصدقاء والعائلة دور محوري في حياة كپلر. ففي عيد الميلاد السابق فقط، طلب من شقيقه الأصغر كرستوف نقل طرد كبير إلى رِغينا، لما عاد إلى ڤيرتمبيرغ بعد أن أخذ كاترينا إلى لِنس. هل امتعض كرستوف يوماً من تكليفه من قبل أخيه الأكبر الشهير مهام من هذا القبيل؟ أشار يوهانس على رِغينا بكتاب جيد عن القِبالة وأمرها أن تتجنب شرب البيرة وأن تداوم على شرب النبيذ. أخبرها أن أخته مارغريتا مريضة جداً وقد أصيبت بالصمم في إحدى أذنيها. ومع ذلك، تعتني بأكبر بنت تركها شقيقها السيئ السمعة هاينرِش. ومع أنها لم تنجب قط، لا بد أن مارغريتا تعرضت لضغوط كبيرة في أبرشية هُوْيمادِن، وبالكاد تستطيع التعامل مع والدتها أيضاً.

بدأ الضغط يلقي بظلاله على آل كپلر، ليس أقله على يوهانس. عندما اضطر لرؤية الإمبراطور في پراغ، ترك كاترينا في المنزل، وكانت مريضة جداً. كانت سوزانا، زوجته الثانية، حبلى من جديد، وقد فقدت ثلاثة أطفال بُعيد ولادتهم. كانت طفلتهما الوحيدة الباقية على قيد الحياة مارغريتا تبلغ من العمر عامين، ولها لقب محبب هو ماروشل. لكن ماروشل الآن مريضة مرضاً قاتلاً وقد أصيبت بالعمى خلال الأشهر الستة الماضية. أبدى كپلر في رسالته إلى ابنة زوجته أنه يخشى أن تكون ماروشل قد ماتت. ومع ذلك فقد عزم على العودة إلى ڤيرتمبيرغ مع والدته عند عودته من پراغ. في هذه الحالة، وعد أنه سيمر بالتأكيد عبر ريغنزبورغ لزيارة رِغينا ويترك لها بعض «الأشياء القديمة» التي ما زال يحتفظ بها لها[223].

عاد يوهانس كپلر إلى لِنس في 26 مايو، ووصل مساعده من جنيف، غرِنغاليه، بُعَيد ذلك، وانهمكا في العمل من جديد بينما كانت كاترينا في البيت

وسوزانا في الشهر الأخير من حملها. في 31 يوليو، احتفلوا بميلاد طفلة جديدة، وكانت الأولى في الأسرة التي سُمِّيت على اسم جدتها، حيث نقرأ في السجل المؤثر عاطفياً «اسم المولود: كاترينا». أراد يوهانس وسوزانا إرضاء كاترينا. كانت أرملةٌ من أهل المدينة وشخص يدعى فراين فُن هيربرشتاين هما العرَّابان للطفلة. بعد أسابيع، توفيت ماروشل، التي عانت من سعال شديد طوال الصيف، بسبب السل والصرع. أما الطفلة كاترينا فستعيش أكثر من ستة أشهر بقليل[224].

مع وَقْعِ هذه الولادات والوفيات المؤلمة ظل يوهانس ينجز عملاً أكاديمياً عظيماً. وفي أواخر أغسطس، عزم على السفر إلى ڤيرتمبيرغ لإعادة والدته إلى أخته مارغريتا. لكن كاترينا غادرت بمفردها في سبتمبر، بينما وجه يوهانس التماساً آخر إلى الدوق يوهَن فردرك، مؤكداً مرة أخرى أن والدته لم تهرب من العدالة. بل جاءت على أمل أن تقنع ابنها الأكبر بالعودة معها إلى ليونبيرغ والترافع نيابةً عنها. لتجنب إعطاء أي انطباع بالانحياز، أكد كپلر أنه على اطلاع جيد على القضية. فقد تحدث إلى أخته وأخيه وعلم منهما وكذلك من «شرفاء غير منحازين» أن كاترينا بريئة وقد تصرفت دائماً تصرف «امرأة مسيحية محبة للشرف». في خطابه إلى الدوق، ظل كپلر يدافع بقوة عن حياة والدته وسمعتها.

***

في هذه الأثناء، راح كپلر يتأمل فيما جعل تهمة السحر ممكنة، ودوَّن استنتاجاته في رسالته إلى الدوق. لم تكن معرفة كپلر مبنية فقط على الرياضيات البحتة والنظر العقلي، بل على استخدام الكلمات لدحض الفرضيات المنافسة، ولتحليل الدوافع والأسباب، والاهتمام بإعادة صياغة التاريخ. ساعدت هذه الإستراتيجيات الحازمة نفسها على صياغة رسائله والتماساته لإنقاذ حياة والدته.

وبما أن كپلر متدرب على الأساليب الكلاسيكية في البلاغة واستخلاص الأدلة، فقد تعامل مع جملة من الحقائق المعقدة، وقدم بكل ثقة ثلاثة أسباب مترابطة لشرح تهمتها. كيف يمكن لأرملة عجوز أن تجد نفسها متهمة بارتكاب جريمة في منتهى الهرطقة والأذى؟ أولاً، «ليس هناك سبب آخر» سوى:

أنها اضطرت للدفاع عن نفسها بين عامة الرعاع خلال ثمانية وعشرين عاماً عاشت خلالها من دون مساعدة، ومع العديد من أطفالها غير البالغين وهي أرملة، ولم تطعم نفسها إلا قليلاً، وحسَّنت أرضها، ودافعت عن مصالحها، وأحياناً تورطت في مشاجرات مختلفة وتعاسة وعداوات.

شرح كپلر بالتفصيل وضع كاترينا الاجتماعي، أي ما تعانيه أرملة مع طفلين صغيرين وهي تكافح للاحتفاظ بأرضها. وصفها بأنها امرأة عانت من العواقب العاطفية الناجمة عن اضطرارها للدفاع عن نفسها في المجتمع.

أشارت رسالة كپلر إلى السبب الثاني للاتهامات، وكان أول شخص يربط ضعف والدته باستعداد الحاكم الدوقي الجديد لتقبل اتهامات السحر، فقال:

ولهذا السبب، قبل بضع سنوات في عهد الحاكم الحالي لسموكم الأميري في ليونبيرغ، حين أُخذت العديد من الساحرات من المنطقة وقُدِّمن إلى العدالة، قيل كلام كثير ونشأ تذمر وفضول بين المؤمنين بالخرافات ولا سيما النساء عن احتمال وجود ساحرات أيضاً في البلدة.

كانت النقطة الثالثة في رسالة كپلر هي أن من يخشون الساحرات في مجتمعهم استهدفوا النساء اللاتي «في نظر عالم الشباب الأشرار عشن طويلاً جداً، وأصبحن في سن الشيخوخة كئيبات، كما يقول المَثَل الشائع المنافي للمسيحية: هيّا بالعجائز سريعاً إلى العمود».

«هيّا بالعجائز سريعاً إلى العمود»، تردد صدى تهمة كپلر في الالتماس! كانت هذه حجة ناجعة ضد البحث المحموم عن الساحرات. ولم تكن حجةً

واهيةً: إذ نقرأ ترويسة تقول «نصائح جديدة بشأن الكشف عن الساحرات العجائز» في رأي قانوني شارك في كتابته محامي جامعة توبنغن يوهانس هالبرِتر للحكومة النمساوية عام 1594[225]. لم تذكر كل محاكمات السحر سن المتهم (أو المتهمة)، وفي كثير من الأحيان ظلت الاتهامات تتراكم لسنوات عديدة. لذلك يستحيل أن نجزم بعدد النساء «العجائز» ممن خضعن للمحاكمة، ولكن يبدو أن ما يصل إلى 85 بالمئة من النساء المتهمات رسمياً بالسحر ربما تجاوزن الأربعين. كانت المرأة إذا بلغت الأربعين تُعَدُّ عموماً متقدمة في العمر، تماماً مثل الرجل. ثم اختلفت التصورات، إذ ساد اعتقاد بأن الرجال يبلغون ذروة الحياة بعد عقد من الزمن، وفي السبعين، يبلغون سن الشيخوخة؛ بينما نجد أن الشعر الشعبي يصف التدهور السريع لمراحل حياة المرأة: «جَدَّة في الخمسين/ وفي الستين أبلتْها السنون». بدأت الصور والمطبوعات الرخيصة المثيرة في القرن السادس عشر تروِّج للشكل المخيف للساحرة: فهي عجوز حسود، شمطاء مهرطقة، لا همَّ لها سوى أن تهذي في سبت الساحرات[226]. اعتقد كثيرٌ من المعاصرين أن هؤلاء النسوة يجلبن الكراهية. وقد رُبِطت التغيرات التي تطرأ على أجسادهن بمشاعر النكد التي تعتمل في داخلهن. كان يُخشى أن المسنات يحسدن الآخرين على جمالهم أو ذريتهم أو غناهم، ولذلك يرغبن في إيذائهم. أدى الاهتمام بالأدب الكلاسيكي إلى الترويج للرأي القائل إن كبار السن حقراء لأنهم فقراء، عاجزون، قبيحون، ضعفاء - لكن لا أحد يجلب النحس سوى النساء المسنات. كان هناك حرص في الصور التي تمثل مراحل حياة المرأة على جعلها «مشوهة» تماماً من بعد السبعين. تعايشت هذه التصورات مع الفكرة القائلة إن المسنات يمكن أن يكن «حكيمات» بسبب تجربتهن، لكن لا بد أنه تعذَّر على النساء الناضجات قبول الشيخوخة بالدعابة والرضا. ولما كان لا يعيش من الناس حتى سن الشيخوخة إلا القلة، فهذا جعل النساء يبدون غريبات[227].

رأى يوهانس كپلر أن هذه العناصر الثلاثة - العداء لوالدته بسبب وضعها الاجتماعي لكونها أرملة، والحاكم الجديد المتشوق إلى التصرف، ومخاوف المجتمع المنتشرة من النساء المسنات - جعلت محنة والدته منطقية تماماً. هذا الاجتماع القاتل من الأسباب العامة الكامنة قد يفعل مفعوله في وضع آخر. ولأنه مفكر بارز، فقد حدد كيفية عمل الاضطهاد الألماني للساحرات.

أشار كپلر إلى أن والدته تجاوزت السبعين من عمرها وتكاد تكون أكبر امرأة في ليونبيرغ. وكانت كاتَرينا قبل خصومتها الأخيرة مع آل راينبولد تتمتع بسمعة طيبة، ولكن خصومها الآن غضبوا منها لأنها ذكّرت أورزُلا ذات مرة بسلوكها الفاجر وعقوبتها العلنية. حذا كپلر حذو بقية عائلته، فزعم ضمناً أن عائلة راينبولد قد تعاونت مع العامل مياومةً وزوجته للانتقام من والدته[228].

في ظل هذه الظروف، أوضح كپلر أنه «مأمورٌ من الله» بالعناية بوالدته، لكنه لم يتمكن من مغادرة لِنس لإعادتها إلى ليونبيرغ. فقد تجمد نهر الدانوب في ذلك الشتاء، وبعد ذلك استدعاه الإمبراطور إلى پراغ في فبراير. وفي غيابه اشتد مرض والدته إلى درجة أن الجميع ظن أنها قد تموت. ولأن موعد جلسة الاستماع القانونية قد أُجِّل عدة مرات، لم يعتقد كپلر أنه من المناسب أن تعود والدته بعد أن استعادت صحتها. وقد حاول جاهداً ليؤكد أن هذا لم يكن بسبب أي شكوك تتعلق بالدوق أو مستشاريه في شتوتغارت. فحسن نيتهم ليست موضع شك. بل خاف بكل بساطة من إعادة كاترينا قبل أن يشهد على براءتها شهود «شرفاء». ووالدته امرأة غير حصيفة ومُسنة، ولا ينبغي أن تواجه أعداءها، ولا أن تُجْبَر على تحمل نفقات لا طائل منها، ولا سيما بعد أن مُنِعت من السحب من رأس مالها. كان كپلر، كعادته دوماً، حريصاً على حماية موارده المالية.

صحيح أن كپلر شدد على ضعف قوى والدته العقلية، إلا أنه أصر على أن سلوكها كان طبيعياً تماماً. وقد أبلغت أوصياءها ورئيس البلدية والحاكم أنها بدأت تعيش، بشكل متقطع، في منزل ابنتها في أبرشية هُوْيمادِن، بالإضافة

إلى رحلتها إلى لِنس. كانت قد سافرت إلى ابنها الأكبر الذي أقامت معه عدة مرات من قبل. كان اهتمامها الأكبر هو تلقي نصائحه حول كيفية الرد على ذوي السمعة السيئة «الذين يعيشون على صدقات ليونبيرغ».

ختم كپلر التماسه بطلب السماح له ولأوصياء كاترينا القانونيين بإدارة أرضها لمنع أي تدهور في قيمتها وكذلك استخدام رأس مالها لدفع النفقات القانونية ونفقات المعيشة. وتعهد كپلر بأنه سيرهن كل ما هو ضروري من ممتلكاته الخاصة بالإضافة إلى حصته من تركة جده وأبيه وأخيه هاينرش، إذا نجح آل راينبولد وآل هالر في طلب تعويض. كانت حصته من تركة أبيه ما تزال جزءاً من ممتلكات كاترينا، ولكنها مفصلة تفصيلاً دقيقاً في سجلات البلدة لعام 1609[229]. وهو الآن يتمنى استمرار دعوى التشهير ضد آل راينبولد بغية الوصول إلى نتيجة سريعة.

***

عطفاً على رسالة كپلر، أمر يوهن فردرك حاكمه الدوقي آينهورن بالسماح لأبناء كاترينا وأولياء أمرها أن يعتنوا بأرضها واستخدامها لتغطية نفقات معيشتها ونفقاتها القانونية، لكن ينبغي له أيضاً إعلام المستشارية على الفور إذا اشتبه شهود بإيذاء كاترينا لهم[230]. في 8 نوفمبر 1617، تقرر أن يبيع أوصياء كاترينا كپلر القانونيون منزلها ليوفروا لها مورداً مالياً. واصلت الوثيقة قائلةً، «سيعرف الأشقاء كيف يصفُّون فيما بينهم ما أقرضه هير كپلر لأمه أو ما تدين له به لتغطية نفقات معيشتها»[231]. لم تُستخدَم كلمة «هير» [السيد] إلا لعالم الفلك، إذ إنها من ألقاب الامتياز الرفيعة جداً[232].

بحلول نوفمبر، أفاد كپلر أنه تبع أمه إلى ڤيرتمبيرغ في أكتوبر، بينما كان يقرأ كتابات والد غاليليو حول النظرية الموسيقية. كان في موطنه الأصلي خلال الاحتفالات السعيدة بالمئوية الأولى لبداية الإصلاح. كان صديقه هِينشترايت، في أولم، قد أعاد للتو هيكلة المدرسة التي تتسع لستمئة فتى

لتكون أصعب من الناحية الأكاديمية، وأعلن عن عقد أسبوع كامل للخطابة باللاتينية لإحياء ذكرى لوثر بحسبانه الرجل الذي جلب النور إلى ألمانيا[233].

لم يكن لدى كپلر ما يدعوه للانضمام إلى الاحتفالات. فقد توفيت ابنة زوجته، رِغينا، بعد أن أنجبت طفلها في أكتوبر. وفي الوقت نفسه، ظل موعد جلسة الاستماع القانونية في قضية والدته يؤجّل بتلاعبٍ من آل راينبولد. كانت كاترينا قد أمضت ثلاثة أشهر كاملة في موطنها في ڤيرتمبيرغ، لكن لم يحدث شيء. مثل ابن مطيع، أكد كپلر أن والدته لا تملك في الواقع القوة العقلية أو العاطفية - ولا المال - للاستمرار في هذا الوضع. وألح قائلاً إن هناك خطراً حقيقياً أن تفقد «لا حواسها فحسب بل حياتها أيضاً قبل الأوان». يمكن لعائلة راينبولد أن تتلاعب بها بسهولة لدفعها للتفوه «بكلمات متهورة أخرى أو إغضابها وإنفاد صبرها»، لأنهم عرفوا كيف يستغلون «بلاهة كاترينا وتقدمها في السن». تصور كپلر أن راينبولد سيكون سعيداً إذا علم أنه قَدِمَ على نفقته الخاصة إلى ڤيرتمبيرغ بلا طائل. حتى مطالب محكمة الاستئناف العليا في توبنغن للمضي قدماً في دعوى التشهير المدنية التي تقدم بها كپلر ضد آل راينبولد قد مُنِعت حتى الآن.

نظراً لهذا الموقف الذي لا يطاق، عزم كپلر على إعادة كاترينا إلى لِنس بحلول الشتاء. ختم استرحامه بالتماس مألوف وعاجل إلى يوهن فردرك بصفته «والد الأرامل»، لدعم والدته «المنكوبة الحيرى جداً» والبالغة من العمر سبعين عاماً. ثم وقع رسالته بتواضع، عسى أن تكافأ بالتعاطف والمِنّة: «خادمكم ابن البلد الخاضع المطيع الفقير، يوهانس كپلر، أستاذ الرياضيات حالياً لدى الإمبراطور الروماني ومقاطعات النمسا السَّنِية على نهر إنْس»[234].

لن تعود والدته إلا إذا طلب الدوق ذلك.

***

مرة أخرى، لاقت كتابة عالم الرياضيات الإمبراطوري الماهرة النجاح. ففي نوفمبر 1617، أبلغت المستشاريةُ الحاكمَ آينهورن أن لكپلر الحق في اصطحاب والدته معه إلى لِنس. وستُفرَض على راينبولد غرامة قدرها عشرة فلورنات إن لم يحضر الجلسة التالية أو حاول تأجيل موعدها. كما ستراجع المستشارية أي وثائق قانونية قبل التوصل إلى أي حكم[235].

اختُتِمت جلسة الاستماع الأولية في مايو 1618. أبلغ آينهورن المستشارية أن كاترينا، على غير المتوقع، لم تسافر إلى لِنس مع يوهانس، على الرغم من حصولها على إذن. في هذه الأثناء، زعمت أورزُلا راينبولد أنه يتوفر الآن ما يكفي من الشهادات القانونية التي تبين بالدليل الساطع كالنهار أن كاترينا ساحرة. فقد ألمحت إلى أن كاترينا قد سألت أورزُلا بوقاحة لماذا «أثارت كل هذه الضجة حول المشروب» حين تناولت، كاترينا، «بكل بساطةٍ الإناء الخطأ». حتى هاينرش، نجل كاترينا، قال إن والدته «ركبت عجلاً حتى أزهقت روحه وأعدت له طبقاً مشوياً منه، وأراد هو نفسه أن يتهمها أمام السلطات». زعمت أن الشهود قالوا لها ذلك. أضافت أورزُلا أن كاترينا موجودة الآن في أبرشية هُوْيمادِن، لكنها تستعد للهروب مرة أخرى إلى لِنس. كانت المادتان 44 و206 من القانون الجنائي الذي أقره الإمبراطور چارلز للأراضي الألمانية واضحتين بما فيه الكفاية فيما يتعلق بالهاربين وممتلكاتهم. لذلك طلبت أورزُلا أن تُنقَل كاترينا إلى ليونبيرغ وسجنها إلى حين اكتمال الإجراءات القانونية ومعاقبتها أصولاً[236].

لكن المستشارية اكتفت بأمر المحكمة المحلية بضرورة التوصل إلى قرارها ثم، كالعادة، عرضه على الخبراء القانونيين في كلية الحقوق في توبنغن وكذلك في محكمة شتوتغارت قبل إعلانه بأي شكل من الأشكال. في صيف عام 1618، عينت المستشارية رجلاً يدعى مِلكيور نوردلِنغَر من بلدة ميركلِنغِن لرئاسة اللجنة المحلية. لم تُرتَّب جلسة استماع كاملة للشهود إلا

في أكتوبر 1619. وهذه ستنجم عنها وثيقة من 280 صفحة تجعل سمعة كاترينا موضع شك شديد.

6

تقلبات النفس

بينما كان يوهانس كپلر يعيش مع والدته في لِنس وينتظر إجراء الاستجوابات في ليونبيرغ، واجه مخاوفه ومشاعره العميقة تجاه كاترينا وكيف يمكن رؤية علاقته بها. كانت والدته أرملة عجوزاً، لكن هل كانت أيضاً مسؤولة جزئياً عن التهمة الموجهة ضدها؟ واصل كپلر في هذه الأثناء مراجعة أعظم أعماله، «تناغم الكون». مع انتقال الاتهام ضد والدته إلى مرحلته الحاسمة، أصبح كپلر من أوائل العلماء الذين أدخلوا موضوع علم النفس في صفحة محتويات الكتاب. قُبيل استجواب الشهود، كتب في «تناغم الكون» أنه لا يوجد سوى القليل من القواسم المشتركة بينه وبين والدته. حاجَّ كپلر بأنه لا النجوم ولا العوامل الوراثية تحدد الشخصيات بشكل كامل. فالعوامل الاجتماعية والجنس البيولوجي والخيارات الأخلاقية الفردية هي المفتاح لشرح اتهام والدته. لقد فعل ذلك للدفاع عن سمعته، وإن كان ذلك على حساب سمعة كاترينا التي خاطر بتشويهها. أثرت فيه القضية عاطفياً وفكرياً، وكرّست رأيه أن لا قيمة لعلم التنجيم في شرح السلوك وأجبرته على البحث عن إجابات جديدة للأسئلة عما يجعل الأفراد يختلفون عن بعضهم بعضاً أو يؤثر في أفعالهم.

***

في أواخر القرن السادس عشر، اعتاد الناس على تفسير الشخصيات من خلال التنجيم. كما شكل علم التنجيم جزءاً روتينياً من تعليم النخبة، وكان جزءاً من مناهج العديد من الجامعات. ومما تعلمه كپلر في دراسة الرياضيات أيضاً إعداد خرائط الأبراج والتنبؤ بالطقس في توبنغن، وكانت الرياضيات بدورها جزءاً لا يتجزأ من دراسة اللاهوت والآداب. خلال مسيرته المهنية، جمع مجموعة ضخمة تضم أكثر من 1170 من خرائط الأبراج لما يزيد على 850 فرداً. مع أن طلبات الزبائن القريبين والبعيدين زودت كپلر بدخل إضافي مرغوب فيه، فقد جمع أيضاً خرائط الأبراج والبيانات من مجموعة واسعة من الممارسين الآخرين من أجل دراستها. كان عندما تصله أخبار عن مرض شخص أو وفاته يُحدِّث سجلاته من أجل التحقق من توقعاته، كما يفحص بدقة خرائط الأبراج الخاصة بأشخاص مشهورين أو عاديين، مثل امرأة أُعْدِمت في توبنغن بتهمة قتل الأطفال، بحثاً عن الأنماط والأسباب[237]. وهذا جعله ينغمس في تأمل سِيَر الآخرين، كما جعله يشعر بالفضول تجاههم. لم يكن كپلر ذلك الأكاديمي البعيد المنفصل عن الحياة العادية، لذلك كان ينقب في هذه المعلومات بوصفها أداة للمراقبة التجريبية، وذلك لفهم الطبيعة البشرية من خلال مراقبة حركة النجوم.

يبدو أن عالم الرياضيات أكمل أولاً وضع ملحوظات عابرة عن أبراج ميلاد أسرته، ثم جمعها بعد عودته إلى غراتس من بلاط ڤيرتمبيرغ عام 1597. كان يوهانس لا يزال عَزَباً في ذلك الوقت. في هذه الملحوظات الخاصة نجد أنه يصف جدته في ڤايل دير شتات بأنها حسود لا تكف عن خلق حالة من الإرباك، وأن جده لأبيه (زيبالد) متعطش للسلطة والثروة. وكشف برج والده عن سمات شخصيته الفظة وغير الأخلاقية. وصف كپلر والدته بأنها مدمنة شجار، حادة الذكاء، نَكَدية، مع أنه أبدى شيئاً من التعاطف معها لصمودها في وجه حَمَوَيْها وزوجها المسيء[238]. لم يضف كپلر أي معلومات أخرى عن حياة والدته بعد عام 1589، عندما انتهى زواجها العسير. وإن بدت ملحوظات كپلر

عن شخصيات أهله لاذعة، فإن نصيب غيرهم لم يكن أفضل. فعلى سبيل المثال، وصف كپلر زميلاً له بأنه رجل «مرتاب، عَيّاب، مندفع، ساخر، سيِّئ المزاج والأخلاق»، مع أنه موهوبٌ وكَفِيءٌ، برأيه[239].

لذلك، لم تُعَدَّ الصور التقريبية السلبية التي رسمها كپلر لكل من والديه تقويماً شاملاً، كما أنها لا تكشف عن علاقته بوالدته طوال حياته[240]. بل تسلط الضوء على اختلاط مشاعر الابن تجاه والديه، وكان هذا أمراً شائعاً. فقد كتب كاردانو في سيرته الذاتية، وهو منجِّم من القرن السادس عشر ومن أسرة ثرية عاش جزءاً من حياته على يد المرضعات، أن والدته كانت حاضرة الذاكرة والفطنة، وهي «امرأة صغيرة سمينة متدينة» نَزِقة وأقل حُبّاً لأولادها من والده. تسلط مثل هذه التعليقات الضوء على تحليل الشخصيات الصارم الذي يشجعه علم التنجيم عند أبرع ممارسيه. كان الهدف الأساسي من تفكير المنجمين، بالنسبة إلى رجال مثل كپلر، هو تحديد نقاط الضعف والتوتر عند الشخص. وينطبق الشيء نفسه على المعاصرين حين يذهبون إلى المواعظ الأسبوعية وهم يتوقعون توبيخاً. كان العرف في هذه المواعظ، كما في الأبراج، أن يكون التركيز على الإخفاقات. في المقابل، يمكن أن يكون العالم الفكري للرجال الذين يؤمنون بعلم التنجيم عالماً من المراقبة النفسية الآسرة، عالماً يؤدي بهم في أحسن الأحوال إلى قبول النقص والهوة الدائمة بين المُثُل والسلوك الفعلي. وهذا العالم شجع النظرة إلى الحياة بوصفها نضالاً دائماً لإحراز قدر معين من ضبط النفس[241].

إن تحليل كپلر الرائع والمطوّل لشخصيته هو، الذي أكمله في عام 1597، يثبت ذلك. الغريب أنه يتحدث عن نفسه بضمير الغائب من أول التحليل إلى آخره: «قُدِّر لهذا الشخص» (هكذا قدم كپلر نفسه) «أن يشق طريقه من خلال مشكلات فكرية ضخمة، تتراوح من التاريخ والتسلسل الزمني إلى اللاهوت والشعر والرياضيات». وهذه برأيه، «من الصعوبة بمنزلة تكاد تردع أي شخص سواه».

رأى المدرس الشاب في مدرسة غراتس أنه مفكر عملاق، ولمّا يبلغ السادسة والعشرين من عمره، ولم يصبح بعد ذلك الفلكي الإمبراطوري. وقد عانى ما عانى تبعاً لذلك. واشتكى من أن هذا المصير يكمن فيما لا يُحمَد من شمائله. فقد أدرك إدراكاً مؤلماً ذلك التنافر بين توقعاته الاجتماعية والسلوك الفعلي. لو أن أحداً غيّر وصفه إلى سرد بصيغة المتكلم، فهذه هي السمة الشخصية التي كشف عنها كپلر المستاء: «إنني مع رغبتي العارمة في معاشرة البشر، أحجم عنها». كان الميل إلى اكتناز الأشياء يقلقه أيضاً: «أحتفظ بكل تافه من جُذاذات الأوراق التي كتبتها وأتمسك بشتى أنواع الكتب التي تُعطى لي، كما لو أنني سأستخدمها في المستقبل». مع رضا كپلر عن قدرته على الانخراط في التفكير العميق، كان يخشى أنه ينقل وجهات نظره بطريقة يتعذر على الآخرين استيعابها.

وسرعان ما أدت هذه الأفكار إلى نقد ذاتي أكثر حدة: «أنا عنيد للغاية في مسائل المال، متشدد في اقتصادي». تناول كپلر هذا الأمر بشيء من التعمق في مقطع مقلق. تُرى، هل كان انشغاله بالمال مدفوعاً أساساً بخوفه من الفاقة؟ أم بإحساس شديد بضرورته وفائدته لكسب الاحترام؟ تابع قائلاً إن عطارد في المنزلة الفلكية السابعة تسبب في مقاومته للعمل الشاق. لكن لحسن حظه أن موقع الشمس وازن هذا الأمر. ومع ذلك، ظل كپلر يؤكد كراهيته العميقة للعمل المنضبط. ثم هناك ميله لبدء مشروعات جديدة قبل الفراغ من القديمة. يُضاف إلى موقفه النقدي المفرط اعترافه بالميل إلى الكذب والخداع.

وقد زادت الطين بِلَّة قلة لباقته وتعطشه للشهرة. سأل كپلر وهو يمعن النظر في نفسه لماذا: «1. لا أعتز إلا بالشهرة الحقيقية؟ 2. ولماذا إلى هذا الحد؟» وكان أكثر ما يخشاه في الحياة هو «العار حقاً وصدقاً». أدت هذه التأملات إلى مزيد من التمعن في السبب والكيفية اللتين تتجلى فيهما هذه

السمات الرهيبة. وقد وجد بشيء من اليأس أن بعض صفاته الإيجابية، مثل ملاطفته للناس عموماً أو سعادته، دوماً يسيء تفسيرها الآخرون.

كانت هذه، باختصار، محاسبة شاب ملتوية لذاته، وهي تُفصِح عن اضطراباته الداخلية لا عن ذات متماسكة. تابع كپلر يسرد أسماء أعدائه من أيام المدرسة فصاعداً، كما يتأمل أيضاً سبب تفكيره كثيراً في نفسه قياساً بهم. وتذكَّر علاقة «حب رقيق» مع زميل له من الطلاب، علاقة ظلت «نظيفة» عملياً، واتسمت أيضاً بالتشاجر المر المستمر. خلص كپلر إلى أنه مثل كلب مدلل مُدَجَّن، يتحرَّق لكسب حظوة عند السلطات، لكنه غير راضٍ عن نفسه إطلاقاً، ويحرص على نباح وعض كل من يأخذ منه شيئاً أو يُغضِبه بطرائق أخرى.

اعترف كپلر بأن لديه بعض الفضائل التي حظي باحترام الناس لأجلها. لم تكن لديه إخفاقات كبرى في علاقاته مع الآخرين، وكان دائماً يراعي كبار السن. انتهت الفقرة الأخيرة من نصه اللاتيني في متوالية غير مكتملة من الأسئلة: «كيف أفسر هذا؟ من أين يأتي هذا؟» ومع ذلك، من حسن حظ المؤرخ أن كپلر احتفظ بهذا التحليل الذاتي المذهل في هذا الكنز من الأوراق الذي لم يطاوعه قلبه على التخلص منه[242].

***

إذن، في بداية إقامته في غراتس، نجد أن كپلر عالم طموح شديد الوعي بذاته يشرح سلوكه بلغة علم التنجيم. ولكن بعد مدّة وجيزة، عندما أخذت حياته منعطفاً مذهلاً، غير كپلر رأيه في تنبؤات التنجيم[243].

استخدمت أكثر تنبؤات التنجيم تفصيلاً منازل الأبراج الاثني عشر للتنبؤ بعدد كبير من النتائج، بدءاً من النجاح المادي إلى المرض، ومن الزواج إلى عدد الأطفال الذين قد ينجبهم شخص ما. دَرَج الآباء على دفع مبلغ مالي مقابل قراءة برج مولودهم، وتقديم قائمة من الأسئلة للمنجِّم عن كل جوانب حياة

طفلهم المستقبلية. كان المنجِّمون يتنبؤون بأمراض معينة لسنوات محددة، وبدت مهنة زوج المستقبل محتومة. تضمنت مجموعة كپلر، على سبيل المثال، برج ولادة تنبأ به منجِّم مجهول لفتاة تدعى إليونارا، ولعل هذا البرج موجود في مجموعة كپلر لأن الفتاة ولدت في العام نفسه الذي ولد فيه هو. جاءت تعليقات المنجِّم المجهول العابرة على النحو الآتي: «أعتقد أن زوجها لن يموت موتاً طبيعياً، لكنه سيكون جندياً. علاوةً على ذلك، لن يكون وجهها مليحاً وستُصاب بأذىً في عينيها»[244].

في پراغ، بدأت كتابات كپلر ترفض بشدة هذه الممارسة الشعبية وتصفها بأنها أداة تنبؤ غبية، وأن من الحماقة أن يبني المرء حياته عليها[245]. وكذلك رفض أن السماء تدفع الإنسان بشكل قاطع للعيش بطريقة معينة.

على النقيض من ذلك، أصبح كپلر مهتماً بتحديد كيفية تأثير النجوم في الشخص من دون استبعاد العوامل الأخرى، مثل الاختيار البشري واختلاف الشخصية والفردية. ومستودع هذه الأبعاد الأخرى هو النفس البشرية، وهي تتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، فضلاً عن الحوادث العشوائية. كما رأى كپلر أن بنية الناس الجسدية هبة طبيعية وفي الوقت نفسه تتأثر بالسلوك البشري، مثل عادات الأكل أو الشرب[246].

في عام 1611، على سبيل المثال، كتب إلى رودولف الثاني، الذي فشل لسنوات في اتخاذ قرارات سياسية حاسمة، ما دفع شقيقه ماتياس إلى منافسته حتى لم يعد يملك أي سلطة على أي أرض: «لقد أبلغتُ صاحب الجلالة، مِراراً، مع كل الاحترام الواجب أن السماوات نفسها لا تستطيع فعل أي شيء»[247]. وبدلاً من أن يطلب الإمبراطور من كپلر أن يتنبأ إن كانت الحرب الهنغارية ستنجح بسبب تغير كوني، ينبغي لرودولف اتخاذ تدابير سياسية نافعة للبلاد بلا ريب[248]. وأوضح أن الإمبراطور «تشرَّب» - أي، امتص - النَفَثات القاتلة لبعض الكواكب السيئة الحديثة حتى إنّ كل جهد يبذله الآن لإصلاح ذات

البين مع أخيه يزيد الأمور سوءاً. وهذا يجعل رودولف نفسه أتعس. اعتقد كپلر أن السماء قدمت نُذُراً استجاب لها بعض الناس أكثر من غيرهم. كانت نصيحة كپلر الحازمة هي أن ينأى الإمبراطور تماماً عن هذه المخاوف الموجعة بشأن الشقاق مع أخيه، وأنه بحاجة إلى اتخاذ إجراء سياسي بدلاً من انتظار كوكب سماوي مُواتٍ أكثر.

أصر كپلر أيضاً أن قراءة الأبراج الصحيحة تعتمد على البيانات الصحيحة. قال لرودولف إنه لا يستطيع أن يقدم تنبؤات دقيقة عن السلطان العثماني - عدو الإمبراطور - لأنه لا يعرف، على سبيل المثال، حتى تاريخ ميلاد السلطان وساعته. وبات كپلر يعتقد أن علم التنجيم ينبغي له أن يكون دقيقاً وشاملاً ومقارناً. والسبيل الوحيد أمام المنجِّم هو مراقبة أنماط السلوك التي تسببت فيها بالفعل الأبراج السماوية في شتى البلدان وعبر التاريخ[249]. قال كپلر إن التنجيم، كالممارسة الطبية الجيدة، مَطْمَح مشروع فقط إذا قام على أسس من الخبرة والوقت والتفسير المعقول. أدرك أن التشخيص السريع مهنة الدجالين، ولهذا السبب هاجم بعضهم علم التنجيم باعتباره سحراً خرافياً بل شعوذة. يمكن أن يتطور علم التنجيم الصحيح ببطء ليصبح علماً مهنياً فقط إذا تأمل في الأخطاء والشكوك، وكذلك في العلاقة بين الأنماط العامة والاختلافات الفردية[250].

كان هذا النهج العلمي الجديد شفافاً بشكل ملحوظ بالإضافة إلى كونه مفتوح النهاية. إذ شبّه كپلر التباين العظيم في السلوك البشري بالفواكه والزهور التي تحتوي على عدد متباين من خمس أوراق أو تسع أو إحدى عشرة ورقة. كان شعاره عبارة «بصورة فردية» - إذ أراد تحديد الاختلافات المحددة والمثيرة للاهتمام. وقد قال كپلر في شرحه لهذه الاختلافات إن الله ترك بعض جوانب الخلق ليكملها الحظُّ والظروف[251].

مع ذلك أيقن كپلر بعد عام 1610 أن الشخصية أو النفس تتأثر بشدة بالأبراج السماوية خلال الأشهر الأربعة الأولى من الحياة. مثل كثير من معاصريه، اعتقد أن الأشعة النجمية تبث «انطباعات» روحية في العالم الأرضي (بما في ذلك البشر)[252]. وبما أن كل شيء خلقه الله طيب، فقد كان كپلر واثقاً أن هذه العملية برمتها لا تزرع إلا الصفات الإيجابية، مثل الحس الإنساني المشترك بالتناغم الموسيقي والهندسة.

وبالنتيجة، يمكن تحفيز نفس الشخص بوساطة أبراج سماوية معينة. لكن كل سلوك سيئ ناتج عن إثم الإنسان، وهذا ما يشوه خطة الله لخير الخليقة. يكمن أُسُّ المشكلة في ضعف البشرية عموماً بعد هبوط آدم وحواء من الجنة. لكن هذا أيضاً يتعلق بخيارات الإنسان في حياته وظروفها، بمساعدة الله في جعل البشر يميزون بين الخير والشر[253]. إذن، الشر ليس محتوماً سلفاً. في ملخص متفائل للغاية، خلص كپلر إلى أن الشخصية التي تزرعها الفطرة هي ما يُمسك بزمام الحياة.

اعتقد كپلر في عام 1610 أن الأمور إجمالاً تسير بالطريقة التي يراها الله خيراً لخلقه[254]. لكنه ما لبث أن اعترف أن التفاعل بين الفعل الإنساني والظروف مسألة معقدة يصعب التحكم بها، حتى بالنسبة إلى الله[255]. علاوةً على ذلك، لم تُخْلَق النجوم للسيطرة على البشر والتحكم بهم ليلاً ونهاراً. فكلما كافح الإنسان ليكون خَيِّراً، ازداد نجاحه[256]. هنا نجد، من جديد، وعياً أن الناس هم من يصنعون مصيرهم، إلى حد ما.

اعتقد كپلر في الوقت نفسه أن الآباء يشكلون شخصية أبنائهم بشكل أساسي. ففي كتابه «تناغم الكون» علّق على الطريقة التي «يصنع بها الأب ابناً، والابن ابناً آخر، كلاً على شاكلته»[257]. بالإضافة إلى ذلك، دأب الفلكي على الإشارة إلى الفكرة الشائعة القائلة إن خيال المرأة يستطيع أن يطبع نفسه على الجنين «خلال مدّة الحمل بأكملها»، لتشكيل مظهر الوليد وشخصيته. كان

العامة يعتقدون أن خيال الأم توقظه، خاصةً، إما الرغبة المفرطة وإما الخوف. فإذا كانت الأم تحب الفراولة حباً شديداً، على سبيل المثال، فقد تظهر نقطة حمراء زاهية على وجه طفلها/ طفلتها، أو قد يصاب طفل بالشلل إذا فزعت والدته من الأشخاص المشوهين. وسَّع هذا المفهومَ پاراسيلسوس (نحو 1493-1541)، وهو من أوائل الكيميائيين الطبيين الذين ألهمتهم الإصلاحات البروتستانتية، إذ رأى أن الأمهات الحوامل لديهن قدرة كبيرة على الخلق، إذ يطبعن كثيراً مما يرين على الجنين[258]. يبدو أن كپلر تبنى أفكار پاراسيلسوس بعد أن استعادت مكانتها البارزة بعد عام 1600، ومن المؤكَّد أنه اعتقد أن علم الفراسة يحمل بصمة الأم عموماً. ففي عام 1602، قال إن الطفل لا يزال «يحتفظ بالكثير من مفاهيم الأم ومشاعرها ويمزجها مع مولده (أي، برجه)». كما أن الأبراج لا تحدد ما سيكون عليه الشخص «خيِّراً أو شِرّيراً من الناحية الأخلاقية››[259]. فمنذ 1610 فصاعداً، على الأقل، اعتقد كپلر أن تربية الطفل مهمة عموماً، مع أنه لم يناقش بالتفصيل قط النتائج التي يمكن أن تنجم عن أشكال معينة من التربية وتجارب الطفولة. لكن القول إن التعليم والاختيار من العوامل المهمة لفهم حياة الشخص وخياراته الأخلاقية جعل علم التنجيم عند كپلر يمهد لعلم النفس الاجتماعي والفردي بطرائق رائدة.

***

لعل التحدي الأكبر لفكرة أن الأبراج السماوية قد تؤثر تماماً في الشخصية البشرية مَرَدُّه وجهة النظر القائلة إن الذكورة والأنوثة تخلقان اختلافات جوهرية. ما نسميه «الجنس» لم يؤد أي دور على الإطلاق في نظام علم التنجيم. لكنه كان محورياً لنظام الرموز الذي فهم من خلاله المعاصرون معظم جوانب عالمهم، بما في ذلك العلوم. فكثيرٌ من الكيانات في مجال كپلر الفكري للرياضيات والموسيقى والمعرفة بالطبيعة كانت تُصنَّف إما «ذكراً» وإما «أنثى». لم يكن هذا عالماً محايدًا للتواصل الواقعي. على سبيل المثال، تأمل كپلر في كتابه «تناغم الكون» في الألحان والتأثيرات المنسوبة إلى

النغمات. فقد اعتقد كپلر، بالاعتماد على كتابات والد غاليليو غاليلي، ڤِنْچِنسو، أن الفاصل الموسيقي مهم للغاية. وقد علّق عليه بإعجاب مشيداً «بجرأته وحيويته وشجاعته؛ إنه مثل جندي، رجولي وجذاب».

أصر كپلر أن العلامات الموسيقية لا يمكن أن تُنسب إلا إلى واحد من الجنسين. فالثالث سيكون غير طبيعي. فهناك علامات كبرى وصغرى تخلق تأثيرات موازية: «فكما أن الزوجة خُلقت بالدرجة الأولى للمعاناة والرجل للفعل، ولا سيما في الإنجاب، فإن العلامة الصغرى تعبر عن الخصائص الأنثوية السلبية أما العلامة الكبرى فتعبّر عن الخصائص الذكورية الفاعلة»[260]. واحدة قاسية، والأخرى لينة. هذا الاختلاف بين العلامة الثالثة الكبرى والصغرى يتوافق لا مع الاختلاف بين الرجل والمرأة في طول جسديهما فحسب، بل أيضاً مع «قوة النفْس في الجنسين». في الواقع، أكد كپلر كثيراً أن الأنوثة مكتفية ذاتياً، وغير قادرة على الخلق، ومخلوقة للمعاناة حتى إنّه جعل للعلامة الثالثة الصغرى صورة الأنثى: «فهي دوماً تنحني على الأرض مثل الدجاجة وتستعد ليقفز عليها الديك. هذه هي أسباب التأثيرات في العلامات والسلم الموسيقي للنظام الأساسي بدءاً من صول»[261].

مثل فيثاغورث، رأى كپلر أن الأعداد الزوجية أنثوية، والأرقام الفردية ذكورية. في أحسن الأحوال، تصلح الصفات الهادئة والثابتة والأنثوية في جوهرها للحالة السلمية والودية. لكنها، في الواقع، دوماً متقلبة، وهكذا يمكنها أن تنحدر بسهولة إلى ضعف وقلق ونَدْب. وكما يحتاج الديك إلى الدجاجة، كذلك اعتقد كپلر أنه في الحياة الواقعية يحتاج الرجال والنساء إلى الاختلاط بشكل متناسب لتجنب الملل، إذ سيستمتع الرجال بجمال النساء وستنقاد النساء لسلطة الرجال[262]. وافق كپلر مع الفيلسوف الفرنسي بودان أن الشجاعة والجسارة فضيلتان أساسيتان، تتجسدان في الرجال بلا ريب.

بهذه العقلية الأبوية، كان وصف كپلر للجندية يدل على إعجاب كبير عموماً. فالجنود مثال للرجال الجسورين أهل الأفعال. لا نجد تعليقاً مباشراً على علاقة كپلر المؤلمة بأبيه الذي ظل يهرب من العائلة ليكون جندياً حقيقياً، ما خلا إجلاله للجندية. مع أن كپلر تحمس لتعزيز السلام الديني، إلا أن هذه التقويمات الإيجابية للجندية تشي بعقيدة مركزية في عصره، عقيدة استمرت في إحياء المثل العليا للفروسية الرومانية والعصور الوسطى. في إهداءاته إلى رودولف الثاني، دأب كپلر على استخدام الاستعارات العسكرية لوصف مشروعه، من أجل توضيح أهمية عمله وإشعار رودولف بالحاجة الملحة إلى دفع راتبه من أجل الصمود في قلعة محاصرة، أو تجنيد الجنود الجدد، وإنهاء الحملة بنجاح. في عام 1604، أدت هذه المناشدة بطبيعة الحال إلى أن يتمنى كپلر لرودولف انتصاراً في معركته الطويلة ضد طغيان العثمانيين «الهمج»[263]. بعد مدة طويلة من حلول جيش المشاة محل الفرسان، ظل الجندي موضع تقدير بوصفه شخصية اجتماعية مميزة. وحين تأمل كپلر في نفسه، وجد أن عقله الجسور يشبه جسارة الجنود. ففي وصفه لنفسه، تخيل كيف كان يمكن أن يكون جندياً شجاعاً، فما لبث أن شطح به الخيال إلى نبل العنف: «الجندي الصالح لا يُدفَع إلى مهنته لأنه يستقتل للالتحاق بالجيش حين يستهلك ممتلكاته. بل يجيش في نفسه غضب وبحث دائم عن المكر والرشاقة والهجوم المندفع المباغت، وقد لا ينقصه الحظ أيضاً».

ومع ذلك، عرف كپلر منذ صغره أنه لن يستطيع أن يخرج في درع لامع للتنفيس عن غضبه ولا أن ينصاع للأوامر. في الواقع، حتى جسده شكَّل تناقضاً مع أفكاره عن الرجال والنساء. فمثل كاترينا، كان صغير الحجم ونحيلاً حتى إنّه وصف جسده الشاب بأنه غير مناسب للرياضة والعمل اليدوي[264]. في عمل مسرحي أقامه الطلاب عام 1591، اختير الشاب البالغ من العمر عشرين عاماً لأداء دور مريم المجدلية بسبب قوامه النحيف الرشيق، فما لبث أن أصيب بنزلة برد بعد أدائه في ساحة سوق توبنغن. وحتى بعد ثلاث سنوات، أقر هو

وعائلته بأن من الأسهل تخيله مدرساً لا واعظاً على منبر - إذ ارتبطت الرجولة القوية الملتحية بالسلطة في مخيلة رواد الكنيسة.

لا بل إن هذه السمات الجسدية برزت أكثر مع تقدم العمر. فقد شابَ حياةَ كپلر المرضُ وضعفُ البصر، وهو ما اتخذه بعضهم مطيّة لتكذيب ملحوظاته الفلكية[265]. حتى في عام 1604، قال إنه لا يستطيع تمييز وجوه الرجال حين يقتربون منه وهم يلبسون قَبّات مموجة، متعددة الطبقات، مُنشّاة للتو، مع أنه استخدم هذا القصور لشرح كيف تتشكل الصور في العين من خلال حركات الضوء. دفعه قراره للزواج من جديد عام 1612، بعد وفاة زوجته الأولى وتركه مع طفلين صغيرين، إلى تأمل جسده وعمره ورجولته. قال كپلر إنه فكر في البداية في اختيار مربية أرملة. وهو في الثالثة والأربعين، رأى أنه «فيلسوف تجاوزت رجولته ذروتَها سلفاً وهي آيلة إلى الانحدار، وقد هدأت مفاعيلها، وجسده بطبيعته ذاوٍ ورقيق»[266]. خشي هو وناصحون آخرون، على سبيل المثال، من طول امرأة من لِنس وقوامها الرياضي، وكانت أصغر منه سناً، لكنها تناسبه من نواحٍ أخرى[267]. ولما فكر كپلر المنهَك في مرشحة الزواج العاشرة أُجبِر من جديد على تأمل جسده النحيف الذاوي الرقيق الذي يتناقض مع سمات المرشحة الصغيرة المفرطة في السمنة[268]. في النهاية، اختار امرأة فكر فيها سابقاً، الخامسة في تسلسل المرشحات المحتملات، وهي فتاة تسمى سوزانا، وكان والداها يعملان بالنجارة. وبعد وفاتهما المبكرة، تلقت تعليماً صارماً في مدرسة دينية تستقبل الأيتام الفقراء. لم يكن هذا تحالفاً إستراتيجياً لزيادة ثروته وشرفه ومكانته (أو حتى مضاهاتها)، ومع ذلك كتب كپلر بارتياح: «سماتها وأخلاقها وجسدها تناسبني»[269]. حدد كپلر موعد الزفاف ليتزامن مع خسوف القمر، «الذي تختفي فيه روح علم الفلك» - إذ يمكن أن تؤثر السماوات في حياة أولئك الذين يتقبلونها، لكنها لا تقرر هذه الحياة.

***

بسبب جسده الرقيق، ظل كپلر يعتقد دوماً أنه مُقَدَّرٌ له أن يكون عالماً. في تأملاته أيقن أنه يختلف عن النساء، وذلك، بالدرجة الأولى، بسبب عقله المتزن المثقف جيداً. كما أنه نمّى إحساساً بجفاف طبيعته الاستثنائي (بينما ارتبطت النساء بالرطوبة والبرودة)، حتى إنّه اعترف بإعجابه بالخبز الجاف والعظام، وظن أن حبه لاحقاً «لنبيذ الراين الاستثنائي» جعله مريضاً لأنه يدر الكثير من السوائل. منذ صغره، كان كره كپلر للماء على جسده شاذاً حتى بمقاييس زمانه. وأصبحت هذه مشكلة في زواجه الأول، فقد كتب في عام 1605 من پراغ: «في 29 مايو أجبرتني زوجتي بلا رحمة على غسل جسدي أخيراً ولمرة واحدة». حاول كپلر أن يظل جافاً للغاية. كان قلقه بشأن رجولته يعني أن يحرص على إبعاد النساء عن أي مشاركة في عمله، لأن تبادل الأفكار بينه وبين أي أنثى، ناهيك من مساعدتها له في مسألة ميكانيكية أو تجريبية، سيهدد سمعته بوصفه رجلاً عقلانياً وصاحب إنجاز فريد. بخلاف الفلاسفة الطبيعيين الآخرين، لم يتراسل كپلر مع النساء ذوات الحسب والنسب بشأن الموضوعات العلمية، كما أنه لم يُرَبِّ كبار بناته ليكن من بنات معجزة المذهب الإنساني [أي، يتعلمن الإغريقية واللاتينية على يد والدهن]، كما فعل تومَس مور، على سبيل المثال. وعلى النقيض من ذلك، تعاون معه ابنه لودڤِغ على ترجمة تاسيتوس، وانتابه القلق بشأن أفضل مكان يمكن أن يدرس فيه الصبي. لم يتزحزح كپلر عن اعتقاده الواضح بأن طبيعة المرأة تمنعها من فهم ترتيب الله للكون فهماً كاملاً من خلال العقل. وقد قال بحزم في عام 1612: «للزوجة شرف تحافظ عليه وفقاً لمولدها وسلوكها، ولا ينبغي لها مساعدة زوجها في التحديق في النجوم». وحين شطح الخيال بكپلر لتأمل شهرته المستقبلية، أوضح على الفور ما يعنيه هذا: ليس لأي زوجة نصيب في شهرته، «التي (سأستمتع بها) في بلدان بعيدة أو بعد مماتي»[270].

لكن كپلر أجرى كثيراً من بحوثه في المنزل. وقد روى بوضوح نفاد صبره مع زوجته الأولى باربرا حين كانت تدخل مكتبه في أوقات غير مناسبة لسؤاله عن شؤون منزلية. وقد شكل باب مكتبه الحد الفاصل بين عالميهما المختلفين، حيث كان كپلر يحرص دوماً على التحدث باللغة اللاتينية للضيوف حول مسائل اللاهوت والفلسفة، حتى لا يشوش زوجته ويخيفها بالأفكار المزعجة، ولا سيما أنها باتت تميل إلى الاكتئاب. كما أنه لم يُرِها أي كتب أجنبية[271]. وعندما استقر الزوجان للمعيشة في پراغ، تعرفت باربرا إلى عالم الفلك چيخو بْرا (الذي كانت تسميه ديهو پراي، على الطريقة النمساوية)، وعرفت الرجال الذين في خدمته، وتحدثت معهم عن الراتب، واصطحبت صديقةً للتنزه إلى حديقة الإمبراطور والاستماع إلى زئير الأسود في حديقة حيواناته. لحظت أدوات چيخو في الحدائق، وفي رسالة نادرة باقية إلى يومنا هذا أخبرت يوهانس عن كل هذه الأخبار[272]. أراد منها زوجها أن تحد من هذا الفضول لا أن تتابعه. ولما كان رودولف عَزَباً فهذا يعني أنها لم تدخل قصره ولم تتمكن من رؤية مجموعاته. فبلاطه بلاط خاص بالرجال - لم تكن هناك إمبراطورة واثقة لتصوغ تبادلات البلاط مع النبلاء والمدينة، بل هناك عشيقة ولوحات شهوانية فحسب. لم يلتق كپلر بدوره نساء مثقفات في البلاط. وتكشف تأملاته الواسعة حول الزواج الثاني أنه يقدّر تواضع المرأة وعدم تكلّفها ومثابرتها على إدارة منزلها واقتصادها وصبرها وشمائلها السارّة وصحتها ومحبتها لأطفاله. أصبح لهذه الصفات قيمة أكبر من المال أو اسم العائلة. كما أنها لا تسبب إلا أقل قدر من المتاعب لطموحاته المهنية وإحساسه بالتفوق الذكوري.

بما أن كپلر كان باحثاً متزوجاً، فقد اقتضى مذهبه اللوثري أن يكون لديه التزام تجاه عائلته الشرعية، وأن يحبها حباً عميقاً، وأن يعاشر زوجته بانتظام[273]. ومن المفترض أن تكون الزوجة اللوثرية الصالحة ودودة ومطيعة ورفيقة لا تتوانى عن دعم زوجها. وهذا ما كانته سوزانا. إذ لم تكن باردة ولا

خانعة في فراش الزوجية، ولهذا اقتبس كپلر لاحقاً في عمله تشبيهاً مشهوراً لڤيرجِل: «عندما تستقبل رحم الأرض المطر فهي مثل رحم زوجة سعيدة تشعر بالمتعة وتساعد زوجها بحركات ملائمة»[274]. والمطر مثل ماء الرجل، لكنه يحتاج إلى أن يسقط على أرض خصبة. عززت هذه الملحوظة اعتراض كپلر على الرأي القائل إن الأرض جماد يتلقى المادة من غير أن يكون له أي دور في الخلق أو حوار معه. تأطرت الممارسات الفكرية وحياة زوجات الأكاديميين بهذه الأفكار والتجارب الثقافية المحددة زمنياً التي جعلت الأفكار عن الذكورة والأنوثة مهمة لتفسير الإبداع.

بخلاف غاليليو الكاثوليكي غير المتزوج (الذي كانت له عشيقة)، لم ينجب كپلر قط أطفالاً غير شرعيين، ولم يعش بمفرده طوال حياته. فقد انتقل من بيت أسرته إلى مدارس داخلية للبنين ثم إلى الحياة الجامعية مع زملائه الطلاب وأساتذة توبنغن وزوجاتهم - ثم أسس عائلته في أسرع وقت ممكن. كان لديه في أغلب الأحيان مساعد من الرجال يساعده في إجراء بحوثه، حين يوشك أطفاله على الولادة أو على الموت، إما وهم يلعبون أمام المنزل وإما وهم مرضى في الفراش. تولى كپلر تعليم أبنائه الدين، وقد عانى من أمراض زوجته الأولى واعتنى بالأمور المالية المعقدة المتعلقة بربيبته رِغينا. استقبل ضيوفه في منزله. وإلى جانب المؤسسات المهنية التي عمل لصالحها، كانت العائلة في قلب حياة كپلر.

مع أن كپلر بدأ يعيش في عالم بعيد كل البعد عن ليونبيرغ، لم يتخل قط عن روابطه الأسرية. إذ سمّى ابنه البكر هاينرِش، وكان أبوه قد مات، فلم تكن هناك حاجة مباشرة إلى إرضائه. كان بإمكانه اختيار اسم جده لأمه الذي منح كاترينا قرضاً لدعم دراسة يوهانس. توثق الأبراج التي رسمها كپلر لأقربائه افتتانه خاصةً بالنسب الأبوي وليس الأمومي. لم تشمل مجموعته أجداد كپلر من ناحية الأب فحسب، وإنما شملت أيضاً أعمامه وعماته وكذلك جميع إخوته[275].

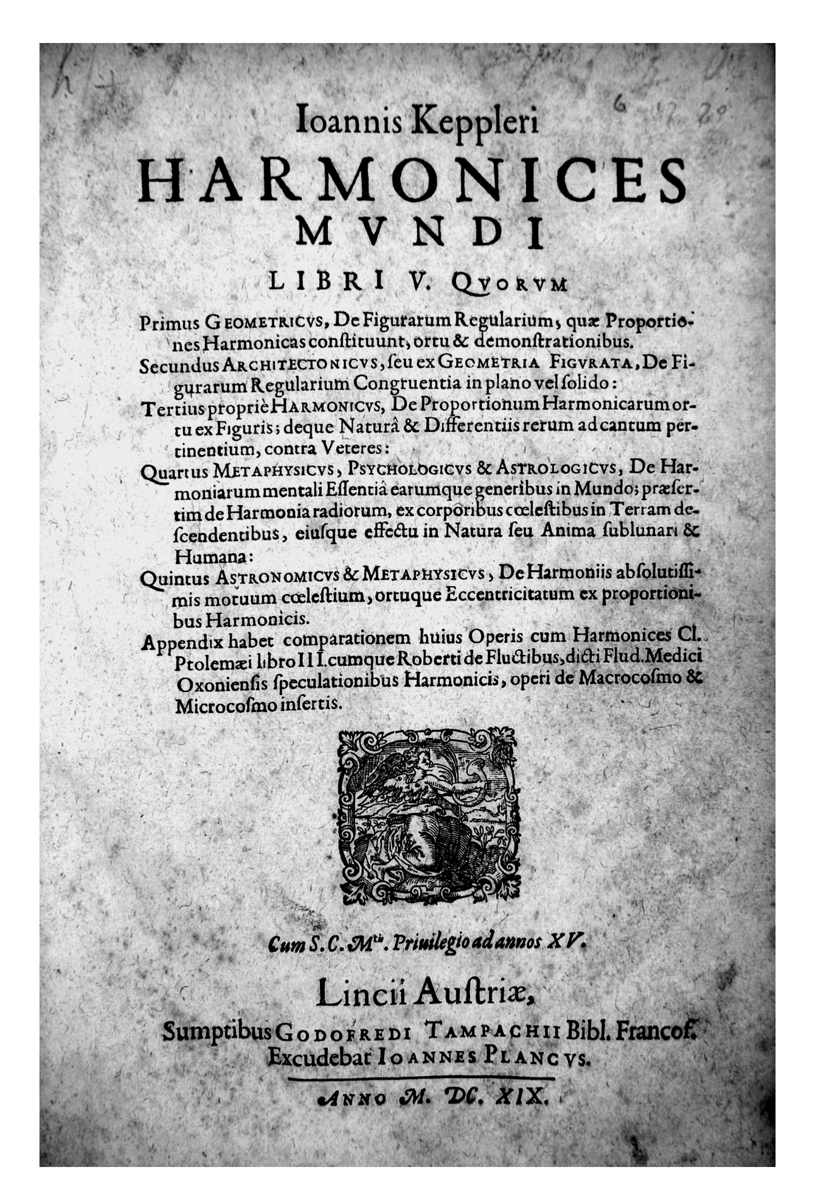
كانت علاقته بكاترينا أيضاً قوية بما يكفي لتوجب سفرها من ليونبيرغ إلى پراغ لزيارة عائلة يوهانس الجديدة في عام 1602. من المؤكد أنها فرحت بعد أن أصبحت جدة ورأت ابنها بقوامه النحيف وهو يصعد التلة الشديدة الانحدار إلى القلعة الإمبراطورية في قَبَّته المُنَشّاة وردائه الأسود. وكما رأينا، فكر عدة مرات في العودة إلى ڤيرتمبيرغ، ليكون قريباً من «والدته العزيزة». ظل لسنوات يكتب إلى كاترينا الرسائل فتقرؤها أخته مارغريتا أو مدير المدرسة المحلية. أما هي فكانت تملي الرسائل إملاءً. كانت مارغريتا تعلم أن بإمكانها أن تعَوِّل على مساعدة أخيها الأكبر عندما كتبت إليه عن مزاعم السحر ضد والدتهما.

***

أثبت كپلر أنه رجل يُعَوَّل عليه، بالرغم من انشغاله المحموم بالبحث. فقد آوى أمه كاترينا بشكل متقطع في لِنس، وبينما كانت الثورة البوهيمية تهز أوروبا، واصل كپلر العمل بجد على أهم خمسة كتب من أعماله حتى الآن. وقد أهدى كتاب «تناغم الكون» لجيمز الأول لأنه رجل وحَّد ثلاثة تيجان، «وأخمد» أي ذكرى للحروب والتنافر بين ممالكه، وبدا أنه متجه إلى «أعمال أعظم». ارتأى كپلر أنه يجب عقد مجلس لإعادة توحيد الكنيسة واستعادة سهولتها المسيحية المبكرة إلى جانب السلام في أوروبا. وظل يقاتل ضد حرمانه الكنسي في لِنس بشبهة أنه «كالڤيني». تضمن كتاب «تناغم الكون» ما صرنا اليوم نعرفه باسم قانون كپلر الثالث والأخير لحركة الكواكب. أكمل كپلر أبواب «تناغم الكون» الخمسة المنفصلة على مدار سنوات عديدة، لكنه أضاف أجزاء وأمثلة وملحوظات جديدة. في ديسمبر 1618، طُبعت الأوراق الأولى من الباب الخامس عن علم الفلك والميتافيزيقا و«أكملِ تناغمٍ لحركة الكواكب» محلياً للإعلان عن العمل من خلال مجال خبرة كپلر الأشهر (الصورة 22).[276]

طُبعت الأبواب الأربعة الأخرى في الأشهر الستة التالية حتى يوليو 1619، وقد حددت ما بات النطاق الأكبر بكثير لطموحاته في الفلسفة الطبيعية. عَدَّ كپلر، كغيره في عصره، أن المعرفة كشف عن عالم موحد مقدس لا عن نظام دنيوي منفصل. فقد استهل الباب الثالث باقتباس من پروكلوس، الفيلسوف اليوناني الذي اعتقد أن الرياضيات تخلق النظام والانسجام في سلوك كل واحد وشخصيته. كانت الرياضيات منهجاً أخلاقياً وتحويلياً، كما أنها تُوجِّه الفرد نحو الفهم الصحيح لأفضل مبادئ الحكم والممارسة السياسية. انتهى كپلر بخطاب سياسي يحدد أي شكل من أشكال الحكم مُقَدَّر له أن يكون متناغماً وأكثر فائدة. واختتم خطابه ببيان تنبؤي غير عادي: «إن قدَّر الله لي أن أعيش لا أن أموت، فإنني سأعلن في الأبواب التالية أعمال الرب»[277].

استمر الباب الرابع مع الجزء الأكثر تأملاً في فلسفة كپلر الدينية الطبيعية. كما توضح صفحة عنوان الطبعة المكتملة، كان هذا كتاباً «ميتافيزيقياً ونفسياً وتنجيمياً». ويتناول «الجوهر العقلي للتناغمات وأنواعها في العالم، ولا سيما الأشعة التي تنزل من الأجرام السماوية إلى الأرض، وتأثيرها في الطبيعة أو النفس البشرية على هذه الأرض»[278].



Ioannis Keppleri

HARMONICES MVNDI

LIBRI V. QVORVM

Primus GEOMETRICVS, De Figurarum Regularium, quæ Proportiones Harmonicas constituunt, ortu & demonstrationibus.

Secundus ARCHITECTONICVS, seu ex GEOMETRIA FIGVRATA, De Figurarum Regularium Congruentia in plano vel solido:

Tertius propriè HARMONICVS, De Proportionum Harmonicarum ortu ex Figuris; deque Naturâ & Differentiis rerum ad cantum pertinentium, contra Veteres:

Quartus METAPHYSICVS, PSYCHOLOGICVS & ASTROLOGICVS, De Harmoniarum mentali Essentiâ earumque generibus in Mundo; præsertim de Harmonia radiorum, ex corporibus cœlestibus in Terram descendentibus, eiusque effectu in Natura seu Anima sublunari & Humana:

Quintus ASTRONOMICVS & METAPHYSICVS, De Harmoniis absolutissimis motuum cœlestium, ortuque Eccentricitatum ex proportionibus Harmonicis.

Appendix habet comparationem huius Operis cum Harmonices Cl. Ptolemæi libro III. cumque Roberti de Fluctibus, dicti Flud. Medici Oxoniensis speculationibus Harmonicis, operi de Macrocosmo & Microcosmo insertis.

Cum S. C. Mtis. Priuilegio ad annos XV.

Lincii Austriæ,

Sumptibus GODOFREDI TAMPACHII Bibl. Francof.

Excudebat IOANNES PLANCVS.

ANNO M. DC. XIX.

الصورة 22. يوهانس كپلر، صفحة عنوان كتابه «تناغم الكون» الذي يعالج بابه الرابع قضايا نفسية. © بإذن من عميد كلية سينت جون وأساتذتها، كيمبردج.

CAP. VII.

averat trinum Saturni, Sol & Venus juncti defluebant ab iſto, applicabant ad illum, utrobiq; Sextilibus, defluebant & à quadrato Martis, ad quem Mercurius proximè applicabat; Luna ad ejuſdem trinum ibat, oculo Tauri proxima, etiam in latitudine: oriebatur autem 25. Geminorum, culminabat 22. Aquarij. Triplicem configurationem ejus diei partilem, Sextilem Saturni & Solis, Sextilem Jovis & Veneris, Quadratum Mercurij & Martis prodebat auræ mutatio; nam poſt gelu dierum aliquot, eo ipſo die tepor ortus, glaciem ſolvit, pluvias dedit.

Exceptio contra Aſtrologiam.

Neque tamen hoc uno exemplo omnes Aſtrologorũ aphoriſmos defenſos & confirmatos volo; neq; cœlo tranſcribo rerũ humanarum gubernacula, im̃ane quantum adhuc abeſt philoſophica hæc obſervatio ab illa ſtultitia, ſeu malis inſaniam dicere. Nam ut hujus exempli veſtigia premam; novi fœminam ijſdem penè natam aſpectibus, inquietiſſimo ſanè ingenio, ſed quo non tantum nihil proficit in literis (non mirum hoc eſt in fœmina); ſed etiam totum turbat municipium ſuum, ſibique author eſt miſeriæ deplorandæ. Primùm itaque acceſſit aſpectibꝰ Planetarũ, imaginatio diuturna matris prægnantis, cui ſocrus, avia mea medicinæ popularis, à patre etiam excercitæ, ſtudioſa, erat admirationi; acceſſit ſecundò quòd vir natus ſum non fœmina; quod ſexꝰ diſcrimen fruſtrà quærunt Aſtrologi in cœlo: Tertiò corporis temperaturam à matre traho, ſtudijs magis aptam, quàm alijs vitæ generibus: Quartò res erat parentibus non ampla, gleba ſc. aberat, cui adnaſcerer, adhæreſceremque: Quintò aderant Scholæ, aderant exempla liberalitatis Magiſtratuum in pueros ſtudijs aptos.

Quæ efficiuntur à circumſtantijs rerum ſublunariũ, non ſunt adſcribenda ſideribus

Animi qualitates cum planetarum qualitatibꝰ conſentiũt plurimùm.

Hic interſere, rurſum ex Geneſi, Planetarum diſcrimina in qualitatibꝰ. Nam ſi Anima lux quædam eſt; diſcernet etiam Martis ruborẽ à Jovis candore, Saturniq; livore: itaq; fatendum eſt, magnum auxilium ex Marte, non tantùm, ut priùs, ad induſtriam; ſed etiam ad acrimoniã ingenij, quæ conſiſtit in vi ignea; videaſq; præcipuos Philoſophiæ naturalis, & Medicinæ peritos, ſub aſpectus idoneos Martis cum Sole Mercurioque naſci: quia nimirùm majus requiritur acumen, major ſolertia ad eruenda Naturæ arcana, quàm ad reliqua vitæ negocia, ſtudiaq; ijs deſervientia. Largiar etiam amplius aliquid; ex Jove eſſe in cœli Medium elevato, quòd magis delector Geometriâ in Phyſicis rebus expreſſâ, quàm abſtractâ illâ, & Saturni ſiccitatẽ præ ſe ferente; magis inquam Phyſicâ, quàm Geometriâ: et quòd Luna gibba in clarâ frontis Taurinæ conſtellatione, impleat Animæ Phantaſticam facultatem imaginibus: quarum tamen multas Naturæ rerum conſentaneas reipsâ expertꝰ ſum, velut ex Procli * Paradigmatibus delapſas. At ſi jam de eventu ſtudiorum meorum loquar, quid quæſo porrò invenio in cœlo, quod ad illum vel leviter alludat? Philoſophiæ partes non contemnendas à me, vel de novo erutas, vel emendatas, vel planè perfectas eſſe, fatentur periti: ac mea hic ſidera fuere, non Mercurius orientalis in angulo ſeptimæ, in quadrato Martis: ſed Copernicus, ſed Tycho Braheus, ſine cujus Obſervationum libris omnia, quæ nunc à me ſunt in clariſſimâ luce collocata, ſepulta jacerẽt in tenebris: non Saturnus dominꝰ Mercurij, ſed Cæſares Auguſti, Rudolphus & Matthias, Domini mei: non Planetarum hoſpitium, Capricornꝰ Saturni, ſed Auſtria ſuperior Cæſaris domꝰ, ejuſdemq;

* Stipem hic aliq̃ Satyricis noſtris. Nam, ut apparet, egeſtas ipſos premit, qui jocum meum unũ hujus ſimilem ex libro de ſtellâ novâ, jam aliquoties intra XII. annorum curriculum ruminarunt.

الصورة 23. يوهانس كپلر، «تناغم الكون»، جزئية من المقطع الذي يتحدث فيه عن والدته بوصفها مُسببة الارتباك في ليونبيرغ (السطران 15-16). © بإذن من عميد كلية سينت جون وأساتذتها، كيمبردج.

7
المحاكمة تستمر

تحققت مخاوف بِزولد من احتمال أن تكون هناك محاكمة جنائية ضد كاترينا. ففي 9 نوفمبر 1619، اجتمع ستة شهود في قاعة بلدية ليونبيرغ في الساعة الثامنة صباحاً. كان خمسة من الشهود من نساء أهل البلدة: زوجة خياط وزوجة حلاق وزوجة نجار وزوجة بِنِدِكت بايتلشپاخر وابنة رجل يعرف باسم شْتِتسِنباستيان. طُلب من كل واحدة منهن أن تضع يدها اليمنى على قلبها وأن تُقسم بنفسها والله والحياة الأبدية ألا تقول إلا الحق. أما الشاهد الوحيد فلم يكن عليه سوى أن يرفع ثلاث أصابع ويُقْسِم. كان كرستوف كپلر، نظراً لخطورة التهمة، قد طلب أداء هذا اليمين «الجسدي» المُغَلَّظ، بدلاً من القَسَم اللفظي فحسب. وكان قد طلب من الدكتور ماتياس هِلَر، عضو مستشارية شتوتغارت، الإشراف على الإجراءات. لم تعد المسألة المطروحة هي تهمة التشهير التي وجهها آل كپلر ضد زوجة الزجّاج أورزُلا راينبولد، بل دعوى آل راينبولد المضادة التي تطالب بتعويض قدره 1000 فلورن.

من الواضح أن آل راينبولد قد تلقوا مشورة قانونية حول كيفية صياغة قضيتهم. مثَّل الزجّاجُ زوجتَه «العزيزة» بقائمة موسعة من تسع وأربعين تهمةً. تروي هذه القائمة التهمة التي باتت مألوفةً الآن بأن كاترينا قد طلبت من أورزُلا أن تدخل منزلها عام 1613 وأعطتها الشراب الذي دمر صحتها على

الفور. عُزِّز هذا الادعاء الآن بمزيد من المعلومات الصادمة التي تتبع قانون العقوبات الإمبراطوري بشأن ما يشكل دليلاً مقنعاً. زعم الزجّاج أن كاترينا تعلمت السحر من عمة لها في ڤايل دير شتات. يمكن عَدُّ الاتصال بأي شخصٍ مُدانٍ من قبل دليلاً قوياً، ولا سيما إذا كان هذا الشخص من الأقرباء. زعم آل راينبولد أن كاترينا كپلر عاشت مع هذه العمة لبعض الوقت إلى أن أُحْرِقَت المرأة علناً بسبب حرفتها. بالإضافة إلى ذلك، كرر آل راينبولد ادعاءَ أنَّ هاينرش كپلر، ابن كاترينا الثاني، كان مقتنعاً بأن والدته ركبت عجلاً حتى أزهقت روحه لتعد له طبقاً مشوياً منه. والأكثر إثارة للقلق هو أن كاترينا حاولت استدراج امرأة شابة إلى سَبْت السَّحَرة. إذن، حاولت تعليم السحر، وهذا بنظر قانون العقوبات، دليل إضافي على أن الشخص مذنب. كما أن كاترينا قد طردت زوجها مراراً وتكراراً من المنزل، حتى لقي حتفه في الحرب، وآذت رجالاً ونساءً آخرين وحيوانات أيضاً. وزعم آل راينبولد أيضاً أنها حاولت الهروب من ليونبيرغ، وهذه حقيقة أخرى تشكل في نظر قانون العقوبات الإمبراطوري دليلاً إضافياً لإثبات ذنب المتهَم[283].

نظر القاضي الدكتور هِلَر إلى مثل هذه الشهادات بتحفظ الخبير الحصيف. فقد عزم على تكوين معلومات موثوقة، كما أنه أدرك أن كاترينا ربما لم تكتسب سمعة الساحرة إلا في الآونة الأخيرة، بينما يقتضي قانون العقوبات أن تكون هذه السمعة راسخة تماماً منذ سنوات عديدة. وقد اعتمد على أدوات القانون الروماني الست لتحديد الظروف (من فعل ماذا، وأين، ومتى، ولماذا، وبأي وسيلة)، ولذلك أصر على أن يحدد جميع الشهود اليوم والساعة بالضبط حين تصرفت فيهما كاترينا بشكل غير قانوني فيما يبدو، بالإضافة إلى من رآها تفعل ماذا بالضبط. يتطلب قانون العقوبات الإمبراطوري بالحد الأدنى تقريراً من شاهد عيان واحد مقبول لتسويغ التعذيب. والقانون لا يمنح الثقة التامة إلا للرجال (ما لم يُعرَف عنهم سلفاً أنهم خُصوم منحازون أو شخصيون).

زود آل كپلر بدورهم هِلَر بقائمة طويلة من الأسئلة الدقيقة تهدف إلى تقويض مزاعم راينبولد نقطةً بنقطة. ما اسم عمة كاترينا ومتى أُحْرِقت؟ فهم لا يعرفون امرأة كهذه. كما شككت العائلة في سمعة آل راينبولد. أولاً، شككوا في عفة أورزُلا راينبولد. أليس صحيحاً أن نحّاسا يُدعى غِيورغ تسيرن قد عاشر أورزُلا قبل زواجها، وأن الزجّاج راينبولد في الواقع قد تزوجها من أجل مالها، حتى وهي ما زالت في السجن ومعروفة بأنها عاهرة؟ ألا يوجد رابط واضح بين مُجون أورزُلا وعُقمها؟ بعد ذلك، علق آل كپلر على شقيقهما هاينرش. صحيحٌ أنه نعت أمه بالساحرة، لكن أليس من المعتاد أن يتحدث جندي بفظاظة، وأن من المرجح أن هاينرش نفسه هو من ذبح عجلاً ثم اتهم والدته بركوبه حتى الموت؟ أخيراً، اعترض آل كپلر على بعض الشهود مقدماً. فالسرَّاج، على سبيل المثال، كان شخصاً معروفاً بالمبالغة.

***

من بين الواحد والعشرين شاهداً، قد يبدو مدير المدرسة الألماني موثوقاً به بشكل خاص. فقد أفاد أنه قبل بضع سنوات كانت كاترينا كپلر تضايقه باستمرار لقراءة رسائل يوهانس إليها أو لترسل إليه تحياتها. وفي يوم من الأيام، بينما كان هو وزوجته يتناولان العشاء اقتحمت أبواب منزله المغلقة، وطالبته أن يكتب لها رسالة لترسلها إلى لِنس في التو والحال، مع أنه لم يعد يتذكر محتوياتها.

كذلك طلبت كاترينا من مدير المدرسة أن يأتي إلى منزلها قبل عشر سنوات لقراءة عدة رسائل. كان ذلك يوم أحد، ويريد الذهاب إلى الكنيسة. لكن كاترينا احتجزته، وألحت عليه لشرب شيء من النبيذ اللذيذ الذي في قبوها لتشكره. وبما أنه لم يكن عطشان، فقد ارتشف قليلاً منه في كوب من القصدير، لكن كاترينا ظلت تلح عليه لشرب المزيد. انضمت إليهما امرأة أخرى، وشربت معظم نبيذها فمرضت ثم ماتت فيما بعد. ثم بدأ مدير

المدرسة يشعر بألم في فخذيه في اليوم التالي. بعد ذلك، لم يعد بإمكانه المشي إلا على عكازين، وهو الآن شبه كسيح.

بدت امرأة تدعى دوروتيا كليبل شاهدة جديرة بالثقة تماماً. وُلدت كليبل ونشأت في ليونبيرغ، وتزوجت من رامٍ من أهل البلدة. كانت تعلم أن عمرها يقارب الثالثة والثلاثين وأجابت على الأسئلة بعناية. كشفت إجاباتها عن معلومات مدهشة ودامغة من الناحية القانونية. فقبل خمس سنوات، كانت قد وظفت خياطة شابة من أهل البلدة للقيام ببعض أعمال التطريز. قُبيل هذا الوقت، كانت هذه الفتاة تعمل لدى كاترينا كپلر التي دعتها ذات مرة للمبيت عندها. أسرَّت الفتاة لربة عملها الجديدة أنها تَكَدَّرت بشدة من الأحداث التي أعقبت ذلك.

روت السيدة كليبل ما قالته لها الفتاة: «قرب منتصف الليل»، نهضت كاترينا من سريرها «لتتجول» في الغرفة الكبرى في منزلها. ولما استيقظت الخياطة، سألتها: «لماذا تتجولين في الغرفة بدلاً من الاستلقاء في سريرك؟» فردت كاترينا: «ألا يسعدك أن تصبحي ساحرة؟» ثم وعدت الفتاة الصغيرة «بفرحٍ وفُجورٍ بلا حدود»، إذ إن الأرض، بحسب ما صرحت به كاترينا للفتاة، ليس فيها «فرح ولا حيوية».

تابعت كليبل رواية ما دار بين الخياطة وكاترينا في تلك الليلة، حرفياً فيما يبدو. قالت لها الخياطة والقلق ينتابها: «إن نِلْتِ الكثير من الفرح والشهوانية في هذه الدنيا، فستدفعين ثمن ذلك في الحياة الأبدية». استخفت كاترينا على الفور بمخاوف الوَرَع هذه، وقالت بوحشية: «لا توجد حياة أبدية. فحين يموت الإنسان، فهو يهلك مثل البهائم الفاقدة للإدراك». لكن الخياطة أصرّت على مغزى ما سمعته في المواعظ اللوثرية ودروس مبادئ الدين المسيحي والمدرسة لسنوات عديدة، قائلةً: «يعظ القساوسة أن من يؤمن ويتعمَّد يَعِش إلى الأبد». وأما الذين «لا يؤمنون فسيُلعنون». ردت كاترينا

بشيء من الغموض أن السبب الوحيد لوجود القساوسة هو أن الناس حين يتزاورون يمكنهم عبور الشوارع بأمان بدلاً من الخوف من العنف[284].

كيف نتعامل مع هذه الإفادة المذهلة؟ لم يظن أحد أن كليبل غير جديرة بالثقة. فكل ما قالته عُدَّ روايةً معقولةً لكيفية تصرف شخص شرير. وقد شهدت تحت القسم، وقيل لها إن الله سيعاقبها إن كذبت. في رواية كليبل للأحداث، حين تحدثت كاترينا تحدثت بصوت المتعة الليلية المتمرد على الجمود الأخلاقي الذي أنضب حياة النساء من المرح والمفاجآت - أي، من دغدغة الإثارة التي قد تشعر بها امرأة في أي عمر، كما يحلو لنا أن نتخيل، عندما ترى رجلاً وسيماً وتود مغازلته والطيران إليه. وفقاً لهذه الرواية، لم يرتبط منطق كاترينا حتى برؤية إيجابية عن إمكانية تسامح المجتمعات المدنية مع رغبات المرأة وحيويتها. أما أكثر عناصر هذه الرواية قتامةً فهو حقد المواطنين الأفراد بعضهم على بعض وعدم قدرتهم على التعايش السلمي. أدى رجال الدين دوراً وظيفياً لحفظ السلم بحده الأدنى. كان يُنظر إلى المواطنين العاديين على أنهم قتلة مُتَخَفّون، في مجتمع لا مرح فيه ولا توحّده إلا أفكار دينية مصطنعة. إن قوة مثل هذه الرؤى الاجتماعية الواسعة والمدمرة هي التي جعلت صورة المرأة الساحرة مقلقة للغاية. فقد أتاح السحر لعامة الرجال والنساء في المجتمعات المنظمة بإحكام الحديث عن مخاوف مرعبة إلى درجة أنه لم يكن من الممكن التعبير عنها إلا بهذه الوسيلة.

عاش كثير من أهل ڤيرتمبيرغ حياتهم لتكون سبيلهم إلى الأبدية (أو اللعنة لمن لم يلتزموا بالمذهب اللوثري أو ارتكبوا آثاماً ولم يتوبوا). استخدم القساوسة المواعظ لتبيان سبب غضب الله الشديد على عباده وحاجتهم إلى التوبة فوراً. نشأت عن هذه مخاوف انتشرت بين الناس من عقاب الله للأفراد أو الجماعات، وهي تفسر سبب شعور العديد من المجتمعات بالحاجة إلى التحكم الدائم بالسلوك الفردي. ظل السرَّاج يكرر قوله: «كل عقاب وكل وباء يأتي من الرب»[285]. وصلى الناس لاستنزال رحمة الله، ولكنهم اعتقدوا أن

الخطيئة تهدد كل دقيقة من حياتهم، وأسقطوا خوفهم من العقاب على الآخرين. ومن الأمثلة الدالة أن مدير مدرسة ليونبيرغ اعترف أنه لم يتحدث عن شكوكه بكاترينا من قبل لأنه ظن أنها قد تكون وسيلة الله لمعاقبته بالعَرَج على ما أسلف من خطايا. وإن استخدم الشيطانُ الناسَ أدواتٍ تعمل لصالحه على هذه الأرض، فكذلك يفعل الله.

إلى جانب العقاب الإلهي، لا بد أن كراهية الابن لأمه كانت تُعَدُّ من بين أسوأ مخاوف هذه الحقبة، بل لعلها بلغت من الشدة ما يجعلها تقريباً من المحرمات. تحتوي القصص التوراتية، بالطبع، على قدر ملحوظ من كراهية الأشقاء. وتوضح القصة المشهورة للابن الضال خيبات أمل الأسرة. لكن لا توجد قصة مسيحية يُستَأنس بها لو كره ابنٌ أمه بشدة، كما فعل ابن كاترينا الثاني.

كان هاينرش دوماً ابناً وشقيقاً كثير المطالب. كتب يوهانس كپلر بالكامل عن أخيه في خرائط أبراجه الأولى. فمنذ الطفولة، عانى هاينرش من الصرع، وهو من أكثر الأمراض التي أرعبت الناس في ذلك الزمان[286]. كان الصرع يُشخَّص إذا شوهد المريض يفقد السيطرة في نوبات مخيفة من الارتعاش والسقوط. في بعض الأحيان يتجمع الزبد في فمه، ويتجه الإبهامان إلى الداخل نحو اليد. يتصرف الأطفال المصابون بالصرع بطرائق غير متوقعة، كالحيوانات البرية تماماً. وكانوا في كثير من الأحيان يُحْجَبون عن أنظار الحوامل مخافةَ أن يُصبن بالصدمة «ويطبعن» تشنجات مماثلة على أجنتهن. بالإضافة إلى ذلك، عانى العديد من مرضى الصرع من علل في الجهاز التنفسي، تماماً مثل هاينرش، علل تهدد بخنقهم في أسوأ الحالات[287]. كان من الصعب العثور على تدريب مهني وعمل للمراهقين المصابين بالصرع، وكان أسياد هاينرش يضربونه بانتظام.

بحلول سنة 1589، وهي السنة التي ترك فيها والدهم الأسرة نهائياً، كتب يوهانس أن الأب قد طرد ابنه الثاني وهدد ببيعه[288]. بعد طرده من المنزل، سافر هاينرش الأصغر إلى النمسا للشروع في سلسلة من الوظائف القصيرة الأجل العابرة. ثم انتقل إلى هنغاريا ليقاتل الأتراك، ثم عاد ليعمل خبازاً ويغني في شوارع ڤيينا. لمدة أربع سنوات من عام 1590، بينما كان يوهانس ينجح في دراسته، كان شقيقه خادماً وأحياناً مشرداً ومتسولاً وسارقاً وقارعَ طبل لفوج من الجيش. بعد تعرضه للسرقة في كولونيا (من قبل عصابة من اللصوص تسمى ريش الديك)، عاد إلى المنزل. مكث يوهانس كپلر مع والدته في يوليو 1593، على الأرجح لمساعدتها في الحصاد. وحين استمع إلى أخيه، حاول مساعدته قدر استطاعته. كتب يوهانس رسالة موجزة إلى جدهما زيبالد ليخبره أن قس ليونبيرغ قد تحدث إلى الحكام الدوقيين وأنهم على استعداد لإيجاد وظيفة لهاينرش. ولما كانت هذه الخطط تحتاج إلى ثمانية أيام على الأقل للانتهاء منها، حرص يوهانس على إبقاء شقيقه في هذه الأثناء مع جده في ڤايل. وهذا سيضمن ألا يغير الحاكم الأعلى في ليونبيرغ رأيه بسبب سلوك هاينرش، وهو ما جعله عبئاً بلا ريب. أضاف يوهانس أن هاينرش «كان عديم الفائدة لوالدته»[289]. في هذه المرحلة، كان لدى كاترينا طفلان: كرستوف الصغير (البالغ ستة أعوام) ومارغريتا (تسعة أعوام). كان يوهانس طالباً. أن يهبط عليها في الصيف فتى صعب المراس في العشرين من عمره، في أصعب أوقات عملها الزراعي، كان بلا شك أمراً شاقّاً.

في عام 1597، كتب يوهانس كپلر من جديد نيابةً عن هاينرش، لكن من غراتس هذه المرة. كان هاينرش قد زار حانة في بلدة بروك قبل أربعة عشر يوماً لتناول مشروب، ومكث طوال الليل. في الصباح، ترك جواز سفره على طاولةٍ قرب النافذة. ومع أنه سدد الحساب لصاحب الحانة بشكل صحيح وترك البقشيش المعتاد للخادمة، إلا أنهم لم يرسلوا الوثيقة. بعد مناشدة أخيه، سأل

يوهانس أحد معارفه المحليين المرموقين إن كان بإمكانه فعل شيء في هذا الشأن، كي يتمكن هاينرِش من مواصلة سفره[290].

في پراغ، ساعد يوهانس من جديد أخاه هاينرش، هذه المرة ليصبح حارساً إمبراطورياً. كان يوهانس شخصية مهمة ولا يمكن رفض التماسه نيابةً عن أخيه. وهكذا تمكن هاينرش، لأول مرة في حياته فيما يبدو، من الاحتفاظ بوظيفة لمدة ثماني سنوات. وقد تزوج وأنجب ابنتين. ولكن في عام 1613، ما إن غادر يوهانس پراغ، حتى شعر هاينرش بالمرض والعوز حتى إنّه طلب الرعاية من الرهبان في دير آمَّرباخ، وأقنع يوهانس بالكتابة إلى الإمبراطور طالباً منه دفعة من المال. ولما اعتنق هاينرش الكاثوليكية، فُرِز إلى دير ليعتني به مع ازدياد تدهور صحته. يبدو أن زوجته إما ماتت وإما اختفت. لكن عندما حضر هاينرش إلى الدير، رفض الرهبان أن يُدخلوه. ليس من الصعب أن نتخيل مدى إحباطه وغضبه نتيجةً لذلك[291].

بحلول عام 1615، ترك هاينرش ابنتيه مع يوهانس في لِنس ليعود إلى ليونبيرغ بمفرده. ولما بلغ الثانية والأربعين من العمر كان قد أُنهِك وراح يشكو للآخرين من شعوره الدائم بالبرد الذي قاساه في حراسة الإمبراطور[292]. وصل إلى بوابات ليونبيرغ في نهاية أسبوع شتوية صقيعية. كان الجميع قد خبزوا كفايتهم من الخبز طوال الأسبوع، كما كانت العادة. كانت الأبقار الهزيلة تقف في إسطبلاتها الباردة. قالت زوجة الخباز إن كاترينا طرقت بابها مساء يوم السبت لتسأل إن كان لديها قليل من الحليب لأن «ابنها وصل ويريد أن يأكل [كذا] الحليب». ولأن زوجة الخباز لم تكن تحلب كثيراً في ذلك الوقت، فقد أرسلت كاترينا إلى جار آخر تعرف أنه اشترى قطيعاً جديداً. لكن كاترينا أصرت، فأعطتها زوجة الخباز بعض الحليب في النهاية. بحلول صباح الأحد، قالت زوجة الخباز إن عجلهم مريض. شخّص راعي إلتنغن العجوز على الفور أن العجل يعاني من «مرض خبيث»، وقال لزوجة الخباز إنه ينبغي لها أن تطبخ له أعشاباً نافعة وتطعمه إياها وأن تنثر هذه الخلطة أيضاً على ظهره.

بعد أسبوع، كانت زوجة الخباز تعجن العجين في منزل أورزُلا راينبولد عندما اشتكت هذه قائلةً إن شراب كاترينا أمرضها. على الفور، ربطت زوجة الخباز بين الأمرين: «حسناً، حسناً، قد دخلت منزلي أيضاً كثيراً، يوم مرض عجلي، أتساءل إن كانت رَكِبَتْهُ». أُبلِغ الحاكم آينهورن بهذا. ولما سمعت كاترينا بهذه التهمة، تحدت جارتها غاضبةً: «هل تقولين للناس إني ركبت عجلك حتى الموت؟» فردت عليها زوجة الخباز البالغة من العمر خمسين عاماً بعنف: «لا، لكن لو كنت أعلم أنك فعلت ذلك، لضربتك بقطعة من الخشب».

تبين مثل هذه الشهادات مدى تداخل حياة الناس في هذا المجتمع. فهم يساعدون بعضهم بعضاً، ويطرقون الأبواب، ويعتنون بعضهم ببعضٍ إذا أصابهم المرض، ويعملون بعضهم في منازل بعض، ويتقاسمون المشروبات، وفي بعض الأحيان يخشون بعضهم شرَّ بعضٍ. ومن الواضح أن زوجة الخباز اللوثري الشريف لا ترى مشكلة في تخيل نفسها وهي تضرب جارتها العجوز بعنف.

كان هاينرش نفسه قد أخبر زوجة الخباز أن والدته ليست على ما يرام. وسألته زوجة الخباز هل جاءته أمه بلحم مشوي وهدايا؟ (في الواقع، كانت كاترينا قد طلبت أن تشوي اللحم لابنها في فرن زوجة الخباز). عندها انفجر هاينرش، وأصبح عبئاً على الأسرة يخشاه يوهانس دوماً ويحاول احتواءه. صاح قائلاً: «يجب أن يتغذى الشيطان على الشواء». ادعى أن أي شيء تعطيه له والدته، «تأتي به من ڤايل دير شتات» - البلدة المجاورة التي يعيش فيها جده زيبالد، كأن هذا يعني أنها أهملته. راح يطالب أمه برعاية فائقة وظل يُصاب بخيبة أمل لا نهاية لها. ولما مات عجل الخباز أخيراً، أيقن هاينرش أن السبب في هذا هو أن أمه «ليست على ما يُرام»[293]. في 17 فبراير، توفي هاينرش في منزل أخته مارغريتا في أبرشية هُوْيمادِن.

متى اعتقد الناس أن امرأة ما ساحرة، ظن كثير منهم أنها يمكن أن تحول نفسها إلى مخلوقات أخرى. لهذا أشار أحد جيران السرّاج إلى قطة

تربض في حظيرة وقال إنها كاترينا[294]. وقد حمَّل بعض الرجال كاترينا مسؤولية طرد زوجها لأنهم يرون أن «الزوجة الصالحة الصادقة التي تستميت في الحفاظ على زوجها» لن تجعله يتركها[295].

وسرعان ما راحت المخاوف تلتصق بكاترينا بسهولة أكبر. على سبيل المثال، شعر الجزار بألم في إحدى فخذيه وعانى من عدم وضوح الرؤية «كأن ضباباً أمام عينيه» بعد أن مرت كاترينا أمامه ذات يوم. كان يعلم أن أي شخص يؤذي يمكن أن يشفي أيضاً، وأن طريقة الاستنجاد بهؤلاء الناس هي أن تطلب منهم العون ثلاث مرات باسم الله. لذلك تمتم في نفسه، «كاترينا، ساعديني مرةً أخرى». ثم اغتسل ببوله ووضع قطعة قماش مبللة بالبول على فخذه. كان الناس يعتقدون أن البول هو استقطار الطبيعة الثمين من جسم الإنسان. بعد هذه العلاجات، قال إنه شعر بالشفاء التام من هجومها السحري، وحرص في المحكمة أن يؤكد أنه، قبل كل شيء، جاءه العون من الله[296].

وقد عرف أيضاً خياطٌ عمل في منزل كاترينا وغيرها كيف يتقي شرها. كان دوماً يدعو لنفسه حين يستيقظ صباحاً وحين يأوي إلى فراشه ليلاً. وحين مرض اثنان من أطفاله مرضاً شديداً، علَّمت كاترينا زوجته كلماتٍ تقولها عند «اكتمال القمر في ساحة الكنيسة تحت السماء المفتوحة». لكن هذه لم تكن معرفة سرية من معارف النساء، إذ كان يعرف الكلمات بنفسه سلفاً[297]. يمكن أن يغلّف المذهبُ اللوثري الأفكارَ القديمة عن كيفية درء الشر أو الاستعانة بقوة خارقة للطبيعة في الحياة اليومية، وذلك لتجنب المصائب. إذ وفرت الصلوات والطقوس الدينية إحساساً بالقوة ضد الشرور وشكلت جزءاً من تكتيكات البقاء لدى الرجال والنساء.

لهذا السبب كان الأمر صادماً أكثر عندما بدا أن هذه الوسائل الشائعة قد فشلت وأن ساحرة معروفة تبلغ من المكر أنها تستطيع أن تبطل سحرها بنفسها. في هذه المرحلة، تصبح شخصاً يشعر المجتمع أنه مُخَوَّل بالتنديد به.

وتنتقل الشكوك من جيل إلى جيل، حتى إنّ امرأة تبلغ من العمر ثلاثين عاماً روت قصة سمعتها من والديها عن كاترينا منذ خمسة وعشرين عاماً. فقد أخبراها أنه في عام 1590، بعد مغادرة هاينرش مباشرةً، طلبت كاترينا من حارس الأحراج أن يساعدها في تسميد الحقول بالروث، وهو العلاج الأساسي الشامل لتربتها. كان مشغولاً جداً، لكنه بدوره خشي أنها، من باب الانتقام، جعلت أحد خنازيره يهرب ويموت[298].

وبما أن كاترينا كانت أرملة يعيش ابناها الأكبر سناً بعيداً عنها لسنوات عديدة، فقد اعتمدت على مساعدة الآخرين. لم يكن لديها حصان تحمل عليه، وهذا يعني أن تطلب من الأثرياء أن يَمُنُّوا عليها بفضلهم. فقبل ثماني سنوات، رفض كاتب المنطقة، على سبيل المثال، طلب كاترينا أن يأتي لها خادمه بحمل عربة من التبن. لكن السيد أمر خادمَه بتجهيز الحصان ونقل التبن إلى إسطبله هو. وفي منتصف الطريق، عند منزل الراعي، وَهَن عزم الحصان فجأةً وعلى غير العادة. شرب من البئر، وبدأ حلقه ينتفخ. بعد أيام قليلة، تعافى الحصان العزيز «بعون الله». لم يكن هناك سبب واضح لإلقاء اللوم على كاترينا، لكن الكاتب لم ينس تلك الحادثة قط[299].

بحث بعض الآباء الذين فقدوا أطفالهم، ولم ينسوا قط إحساسهم العميق بالألم، عمن يُلقون عليه اللوم. تذكر الخياط أن كاترينا قد زارت منزله قبل عشر سنوات لتقديم المشورة بشأن أطفاله المرضى. قال إنها كانت «تنحني على المهد والأطفال» لكي تقتلهم ليس إلا. لم يتردد في الدعوة إلى استجوابها تحت التعذيب للكشف عن «أفانين الشيطان»[300].

كذلك كان رجل آخر مقتنعاً بجرم كاترينا. فقد أكد دوناتوس غولتلِنْغَر، وهو رجل في الخمسينيات من عمره، أنه لن يكذب حتى لو أُعطي وزن جبل «الملاك» في ليونبيرغ ذهباً. وقال إن الحقيقة هي أن كاترينا أخبرته بنفسها في

ساحة السوق أنها خلطت بالخطأ أباريق النبيذ والأعشاب عندما دعت أورزُلا راينبولد إلى منزلها.

لكن لا يوجد أي منطق في كل هذه الأدلة على أن كاترينا كانت تُعَد معالِجةً متخصصةً يُدْفَع لها مقابل وصفاتها ومشورتها. أُشير إليها مرةً واحدةً بصفة قابلة، لكن السجلات المحلية تبين أنها لم يُوافَق عليها قط لهذا المنصب المجتمعي المهم. مثل معظم الناس، كان بإمكانها الاعتماد على شتى الأعشاب والنباتات الغنية المحلية، بالإضافة إلى عدد من المكونات التي تُباع في الأسواق. مع تقدم العمر، لا بد أنها اكتسبت خبرة متراكمة يُعتقد أنها مهمة للغاية في فهم الآثار المعقدة التي لا نهاية لها للأدوية. كان لبعض البلدات الصغيرة في ڤيرتمبيرغ صيدلية خاصة، بينما قدمت مجموعة من الأطباء المتخصصين نصائح بشأن الأعراض المعقدة والمستمرة[301]. على سبيل المثال، دفعت زوجة العامل مياومةً هالَر ثمن وصفة طبية، واشترت الأعشاب، ثم أعدت الحمامات الساخنة ليأخذها ابنها مدة تسعة أيام لا ينظر إليه غريب خلالها[302].

كان السؤال هو كيف نميز بين الطب النافع والرديء. كما رأينا، أقر يوهانس كپلر أن علم التنجيم الجيد يشبه إلى حد كبير الطب في طبيعته، كلاهما فن استقرائي يتطلب المراقبة والخبرة والتحليل. فقد كتب أن الأطباء بحاجة إلى الاستماع إلى ما ستخبرهم به «النساء المسنات» عن فضائل الأعشاب، ولكن من دون الأخذ بكل خرافاتهن. عرف الخبراء الأعراض والعلاجات، وتعلموا من خلال «العقل والزمن والخبرة» أن يميزوا بين المبادئ العامة والظروف الخاصة التي يمكن أن تؤثر في المرض. بالإضافة إلى ذلك، درس خبراء الطب الحقيقيون العديد من الخصائص المختلفة لأنواع الأعشاب ذاتها فحددوا المعرفة الأساسية. كذلك تعلم المنجِّمون من الفلاحين. ومع ذلك، فإن هذا لم يجعل الفلاح منجماً ولا المرأة العجوز طبيبة، ما لم تكن خبيرة صيدلانية تتميز بالخبرة الكافية[303].

وهكذا سمحت وجهة نظر كپلر بإمكانية وجود خبرة عامة وأيدت أنواعاً معينة من العلوم اللازمة للبناء على المعرفة العامة. بل إن رجالاً آخرين من عصره، مثل الفقيه القانوني الفرنسي رينيه شوپان، اعتقدوا أن «الفلاحات الساذجات تفوقن على علماء الطب، أما روبرت بويل فقد حثَّ قُرّاءَه على أن يكونوا «أكثر فضولاً للانتباه للملحوظات والتجارب التي توحي بها جزئياً ممارسة القابلات والحلاقين والنساء العجائز والمجرِّبين وبقية ذلك الطاقم الأمي»[304].

في الحياة اليومية، ظل شائعاً أن يقدم الرجال والنساء بسهولة نصائحهم وأي شيء يجدونه مفيداً، سواء أكان ذلك من الأعشاب أو الأقوال أو التمائم أو الحجارة أو اللمس. لم تكن كاترينا كپلر استثناءً عندما اتبعت المبادئ الطبية للتعاطف والتناظر، وقدمت «الحجر الناري» لعلاج العلة بمثلها عن طريق سحب الحرارة من جسد امرأة وباستخدام قوى الحجر الجذابة. (في كتابات بازيليوس ڤالَنتينوس المكتشفة حديثاً نجد أنها تؤيد بشكل قاطع، كما فعلت أحدث الأدبيات الطبية، الخصائص الطبية لأحجار النار)[305]. وفي أوقات أخرى، قد تنقع كاترينا الأعشاب، ثم تحولها إلى عريكة لتطلي بها القدمين أو أجزاء أخرى من الجسد لإعادة تدفق الدم أو مواد أخرى خطرة عالقة أو محصورة[306]. حاولت العلاجات الجالينوسية الشائعة استعادة توازن السوائل الأخلاطي. وغالباً ما ارتبطت هذه العلاجات بالعناصر الروحية التي تتطلب العون الإلهي. في أغلب الأحيان، أثبتت العديد من هذه العلاجات فعاليتها[307].

***

لكن كان هناك شيء استثنائي فعلته كاترينا كپلر: لقد طلبت جمجمة والدها. كانت الجماجم تُصنَّف من بين وسائل الشعوذة المعرَّفة في القانون ويمكن أن تضع أي شخص يتعامل بها تحت شُبْهَة السحر. حاول المحقق إثبات ما حدث بالضبط. زُعِم أن كاترينا دخلت منزل الخباز وصرحت لزوجته أن

امتلاك المرء لجمجمة والده «شيء فخم». كانت زوجة الخباز قد سمعت من أرملة حفار القبور أن كاترينا طلبت منه استخراج رأس والدها وإحضاره إليها. أرادت أن تتخذ منها كأساً للشراب، وعرفت رجلاً فعل الشيء نفسه[308]. أفاد شاهد يدعى هانز غولتلِنغَر أن حفار القبور كان يجلس في منزله ويصلح حذاءه حين أخبر ابن أخيه [أو أخته] أن كاترينا تريد إرسال كأس الشراب هذه لابنها في پراغ[309]. تخيلتْ أن الجمجمة ستُطلى بالفضة، لكنها تخلت عن الفكرة بالكامل حين أعلمها حفار القبور أنه سيبلغ السلطات. كان حفار القبور في ليونبيرغ في ذلك الوقت رجلاً يُدعى مارتن هالر. تذكر أنه قبل نحو ثمانية عشر عاماً، عندما كان صبياً في الخامسة عشرة من عمره ويساعد في حفر قبر الحذّاء، أخبره حفار القبور السابق أن كاترينا زارته لهذا الغرض، ووعدته مكافأةً مجزيةً، وقالت إنها تريد إرسال الجمجمة إلى پراغ.

لماذا فكرت كاترينا كپلر في هدية غريبة كهذه؟ كما رأينا، كان الانبهار العميق بكل ما هو غامض مهماً للعالم الذي عاش فيه يوهانس كپلر. وتزامن هذا مع اهتمام ذلك العصر بالقياسات «العقلانية» للأشكال والزمان والمكان. على وعاء فضي في قبر رودولف الثاني نقرأ نقشاً يقول: «هنا يرقد مخ جلالة الملك»، بينما صُنِعَت أثمن ثلاثة خواتم دُفِنَت مع الإمبراطور من أحجار كريمة منتقاة بعناية في حوامل مستطيلة نُقشت عليها علامات الأبراج بين أحجارها[310]. كان الإمبراطور الكئيب منجذباً إلى الأشياء التي لها سمة سحرية أو غامضة أو حكيمة أو بارعة. من الأمثلة المميزة لمجموعته من التحف الغريبة لوحة أَرْچِمْبولدو «الرأس المقلوب مع اللحوم»، وهي لوحة لرأس مركَّب إذا قلبتها تحولت إلى صورة يدين تحملان طبقاً من اللحم، ووعاء صائغ من نورمبيرغ مصنوع من قرن كركدن نادر اشتراه رودولف لأنه «من المفترض أن ينفع للوقاية من السم». ومن بين أغلى ممتلكات رودولف قرن «وحيد قرن»، وقد استخدمه مع غيره من العناصر في خزانة غرائب التحف

الهائلة لدعم مزاعمه بامتلاك معرفة كونية وعظمة إمبراطورية. كان لمعظم هذه الأشياء خصائص وقائية.

لم تكن أذواق رودولف شاذة ولا فريدة، بل شاطره فيها خلق كثير في ذلك العصر. كانت الجماجم بالطبع رموزاً واسعة الانتشار تدل على غرور مطامح الدنيا. تمثل اللوحات المعاصرة للطبيعة الصامتة، مثل لوحة پيتر كلاس الرمزية «ڤانيتاس»، جماجم وعظاماً متنوعة بطريقة واقعية وصادمة توحي كأن هؤلاء الرسامين كانوا يستنسخون من عينات حقيقية[311]. بالنسبة إلى خزائن غرائب التحف، كانت الجماجم تُلحَظ بدقة وتُنحَت من العاج الذي يشبه العظام بطبيعة الحال. اهتم العلماء اهتماماً كبيراً بالمصادر الكلاسيكية التي تصف كيف استخدم الألمان وغيرهم الجماجم أوعيةً للشرب في عبادة الأبطال أو عبادة الأسلاف. في ويلز كان المُصَلّون يذهبون إلى قرية لانديفان الصغيرة لشرب الماء الشافي مما يعتقدون أنها جمجمة القديس تيلو، وهو أسقف من القرن السادس[312]. لذلك فالقول إن الشرب من الجمجمة هو طقس وقائي أو تمكيني يكاد يدخل في عالم الممكن في ذلك العصر.

علاوة على ذلك، كانت الجماجم تُسْتَخدم في صنع الأدوية. فقد احتوت صيدلية قلعة ليونبيرغ، التي أدارتها السيدتان زيبلّ وماريا، على «حقيبة صغيرة بها سبع قطع من جمجمة» في أحد أدراجها. كما امتلكت السيدتان زجاجات من الدهن البشري المأخوذ من جثث أشخاص أُعْدِموا. كان هذا مكوناً آخر يُستخدَم في الأدوية، إذ كان يُعتقد أنه يحافظ على القوى الحيوية للشخص. وفي عام 1609، شرح يوآخيم تانكه (1557-1609)، أستاذ التشريح في لايبزِغ، للدوق مورِتس فُن هِسن كاسل كيف يمكن تحويل جسد رجل سليم مات ميتةً عنيفةً إلى مومياء «ثمينة للغاية». كان تانكه من أتباع پاراسيلسوس، وتراسل مع يوهانس كپلر بشأن التناغمات الموسيقية. أوضح أن المومياء ستمنع المرض من خلال قوة الشفاء الكامنة في الأنسجة السليمة التي تصد التعفن[313].

هذا يفسر جزئياً عادةَ امتهان الجلادين الألمان وزوجاتهم للعلاج لأنهم يوفرون هذه الخصائص السحرية لمن يبتغيها. أشار يوهانس هارتمان (1568-1631)، الذي شغل أول منصب أستاذ في الطب الكيميائي في جامعة ماربورغ عام 1609، أن شانقاً باعه عام 1615 دم راهب متجول. واستخدمه لإنتاج الطاقة الحيوية التي تركز عليها «المستحضرات المتعاطفة لمعظم الأطباء من أتباع پاراسيلسوس» لتجديد جسد الإنسان[314]. يبدو أن البروتستانت يجدون المنافع حتى في الرهبان [الكاثوليك].

في هذه الأثناء، بلغ الشغف بالأباريق والصِّحاف والجِرار والأكواب وأوعية الشرب المصنوعة من شتى المواد ذروته في القصور. كانت هذه هدايا شائعة وهيأت فرصة إضافية لتوظيف أبرع عمال المعادن، واللعب على الإشارات الدالة على اطلاع وتبحُّر، وابتكار أفضل الحوامل للهدايا[315]. لعل كاترينا قد استوحت فكرتها من شيء شاهدته في أثناء إقامتها في پراغ، حيث يعرض العديد من الحرفيين المتخصصين بضاعتهم المبتكرة، وكان سكان منطقة المدينة الجديدة يمتلكون أشياءً مماثلة لتلك الموجودة في خزانات غرائب التحف[316]. في وقت لاحق من المحاكمة، شهدت كاترينا أنها شاهدت اثنتين من جماجم الشرب في منزلِ نائب الأسقف في توبنغن وأخرى في منزل آخر في توبنغن، على الأرجح عندما زارت يوهانس حين كان طالباً. كما سمعت أيضاً موعظة تتحدث عن طقوس الشرب من الجماجم[317].

في بعض الأحيان، وجد حفارو القبور جمجمة كانت تُستخدم لأغراض سحرية في المقبرة: ففي عام 1619، أفاد قس من مدينة ڤيرتمبيرغ أن حفار القبور عثر على جمجمة كتبت عليها بالحبر ثلاث كلمات: بوچ، سارِث، إبليس، وكانت مخططة بخطوط متقاطعة[318]. لا شك أن كاترينا لم تفكر في استحضار الشيطان ولا الأرواح الشريرة، ويبدو أنها ظنت أن يوهانس سيفرح بهديتها. هذا يوحي بأنها كانت تأمل في أن يتماهى ابنها مع طرفها هي من العائلة،

وذلك من خلال ذكرى جده الذي عرفه جيداً، وعاش معه لِماماً، وتلقى منه الدعم المالي. لعل كاترينا أرادت أن تعبر من خلال جمجمة أبيها عن رغبتها في أن ترتبط أصولها المحلية والفلاحية بحياة يوهانس في بلاط پراغ وأن يكون لها حضور فيها. لكن أهل ليونبيرغ ظلوا يتذكرون طلبها لأن الأمر يتعلق بنبش رفات رجل مسيحي شريف من أجل تحويلها إلى شيء مزخرف.

***

ما نجده في الشهادات مجتمعةً مزيج من الأدلة المتناقضة. إذ بدت كاترينا مضيافة وفاعلة خير لبعض الشهود، وانتهازية ومريبة لبعضهم الآخر. ومع أن كثيراً من الشهود دعوا إلى استجواب كاترينا تحت التعذيب ليقينهم بأنها مؤذية جداً، لم تجزم شهادات الآخرين بوجود رابط بين أعراضهم الجسدية وأفعالها. فقد استخدم المشككون عدداً من المعايير البدهية الواضحة لإيجاد روابط سببية. على سبيل المثال، قالت باربرا، زوجة الجزار، إن كاترينا لم تلمس زوجها يوم ظهرت الأعراض عليه، وأضاف هو نفسه أن الأمر برمته كان محيراً ومضلِّلاً، ولذلك «لا يعرف الأمر». كان كلاهما حريصاً على النأي بنفسه عن حملة آل راينبولد لتحويل تجربتهما إلى دليل ضد المتهَمة.

بل إن بعض الشهود أبدوا تضامنهم. فقد شهدت زوجة شقيق كاترينا، وكانت أرملة في الخمسين من عمرها وتعيش في البلدة، أن خادمة كاترينا أحضرت لها ذات مرة بعض الأعشاب التي أطعمتها لحيواناتها. صحيح أن الحيوانات مرضت، لكن ربما بسبب بعض الحشرات في تلك الأعشاب. وقد أيقن من نظروا إلى الحيوانات أن أحدها على الأقل قد أصيب بشر. لكنها عولجت جميعاً بدواء: «الحساء والفاكهة». بخلاف الشهود الآخرين الذين رووا هذه القصة لإلقاء اللوم على كاترينا، لم تر زوجة شقيقها أي دليل على أذى متعمد[319]. كما أن آغنس ڤيرنَر غير متأكدة أن زوج كاترينا هجرها وهو غاضب منها بالضرورة. فقد أكدت قائلة، «لو كان الأمر كذلك لحرص على حماية

أطفاله من معرفة» القصة[320]. إذن، أنى لأحد من المجتمع أن يحكم على دوافعه؟

قال شاهد آخر بحزم إن «الله في عُلاه أعلم»، مردداً ما حذَّر منه القساوسة اللوثريون لسنوات عديدة: بدلاً من إلقاء اللوم على الآخرين، وربما إلقاء اللوم على من لا يستحق اللوم، ينبغي للناس أن يتفكروا في خطاياهم، ويعملوا الصالحات ما استطاعوا، ويفوضوا إلى الله فصل الصالح من الطالح يوم الدين.

وقد روت أپولونيا، زوجة هانز شمِد من قرية هوفِنغِن، أنها كلما زارت ليونبيرغ على مدار سنوات عديدة، كانت كاترينا تدعوها دوماً لتناول الشراب والطعام. لم تشعر بمرض ولو لمرة واحدة. وهي الآن في الخمسين من عمرها، وتعاني من ضيق في التنفس وانتفاخ في جسمها. لكنها في الحقيقة لا تستطيع أن تحمل كاترينا مسؤولية ذلك لأنها تخالطها منذ زمن بعيد قبل ذلك[321]. هكذا استطاع الناس العاديون تماماً أن يضعوا الأدلة في ميزان النقد. وقد أدى تمحيصهم إلى تقليل الاتهامات، كما أنه مهد السبيل لمرافعة كپلر النهائية.

أما بالنسبة إلى سمعة أورزُلا راينبولد، فقد تبين أن رجلين اقتتلا بالفعل عليها، وأن خاطبها الآخر قد ترك ليونبيرغ لاحقاً. كان الجميع يعلم أنها لم تنجب. وكان هذا أكثر ما ألقى بظلال من الشك عليها. إذ كانت السمة المميزة للأنوثة حسب المذهب اللوثري هي المداومة على المعاشرة الجنسية في إطار الزواج، وتجنب وسائل منع الحمل، وتحمل آلام الولادة، وتنشئة الأبناء تنشئة دينية. ونظراً للاعتقاد بأن جميع النساء ملوثات بالخطيئة ويتميزن بقلة عقلهن، فلا يمكنهن أن يرتقين بأنفسهن إلى مراتب الشرف إلا من خلال سلوكهن. لذلك من المهم لهن كيف يتحدثن، وماذا يلبسن، ومدى عنايتهن بالنظافة، وجديتهن في العمل ومدى انشغالهن إلى ما لا نهاية، وكيف يعتنين

بالآخرين بلا أثَرة. أما في حالة أورزُلا راينبولد، فلم يتضح أنها قد اعتنت بأي شخص آخر، باستثناء العمل المشترك مع زوجها.

***

في منتصف يناير 1620، أُرسِل السجل الكامل للاستجوابات غير الحاسمة إلى مستشارية شتوتغارت. فما لبث الزجّاج أن شعر بالقلق من احتمال طلب آل كپلر تأجيل الإجراءات وإبقاء كاترينا في منزل ابنتها حتى تموت الأم «العجوز»[322]. في أواخر مارس، تلقى الدوق استئنافاً مكتوباً باسم كاترينا. تمنت هي أيضاً إنهاء قضيتها، وقد وعدت بالدعاء للدوق يوهَن فردرك في «صلواتها الضارعة إلى الله». وقد اختتمت المستند بهذا القول: «المتواضعة لكم كاترينا، أرملة المبارك هاينرش كپلر في ليونبيرغ»[323].

8
ساحرات أخريات

تصاعدت الاضطرابات الدينية والسياسية في أوروبا منذ بداية محاكمة كاترينا. فقد تُوِّج فردرك الخامس، حاكم البلاطينية الكالڤيني، ملكاً على بوهيميا في خريف عام 1619، ووعد بتحويل البلاد إلى «حصن» عسكري مسيحي ضد الأتراك. لكن الإمبراطور فيرديناند الثاني كان مصمماً على الدفاع عن أراضي هابسبورغ لصالح الكاثوليك. تحدت الحرب إطار التعاون الكامل بين الأقاليم ذات الديانات المختلفة في الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وفي الأراضي اللوثرية، أُثيرت في الحال مخاوف بشأن الخداع اليسوعي والاستبداد الإسباني، كما أثيرت بشأن المؤامرات الكالڤينية. باتت آليات الإمبراطورية المتقنة التي تهدف إلى خلق ثقافة التوافق الديني والازدهار والنزاهة والعدالة مهددة الآن[324].

في هذا المناخ، أُريد لعنوان كتاب «تناغم الكون» ذاته أن يكون بياناً سياسياً. فإذا كان شالر، قس براندنبورغ، من بين المجادلين الطائفيين الذين توقعوا خراب العالم، فقد أصر كپلر بهدوء وثقة على عالم متناغم وسلوك ديني لا صِدامي، حتى في أعقاب الثورة البوهيمية[325].

اجتذب مشروع التصالح هذا عقباتٍ كأنما بقوة مغناطيسية. ففي يونيو 1619، أقنع عضو مجلس البلاطينية المخضرم كرِستيان فُن آنهالت العديد من

زملائه الپروتستانت بخيار المواجهة العسكرية مع أسرة هابسبورغ الحاكمة. انقسم بلاط ڤيرتمبيرغ إلى فصائل مختلفة. ظل أحدهم مخلصاً للإمبراطور في ڤيينا وكان قلقاً بشأن الكالڤينيين في هايدلبيرغ. وطاب لآخر أن يتخيل قيام حملة پروتستانتية لحيازة التاج الإمبراطوري وتأسيس نظام أوروبي جديد قائم على التعاون بين إنجلترا والمقاطعات العامة [للجمهورية الهولندية] وفرنسا والپروتستانت الألمان. وفكَّر فصيل ثالث في كيفية استغلال نقاط ضعف آل هابسبورغ داخل الأراضي الألمانية. كما هي الحال دوماً، ظلت المشكلة تتعلق بكيفية إيجاد وسيلة لتوفير الدفاع المشترك. كتب الدوق يوهَن فردرك إلى مقاطعاته في أبريل أن آل هابسبورغ سينقضُّون الآن على جميع الپروتستانت بعد انتصارهم على المقاطعات البوهيمية[326].

في يوليو، أوصت مقاطعات ڤيرتمبيرغ لأول مرة بتجنيد اثني عشر ألفاً من المرتزقة، وهذا تجنيد عسكري واسع النطاق. فقد خشي كثيرون أن يلغي «العرش الإسباني» اتفاقيات السلام الدينية. وفي تحول جذري في السياسة، أبلغ الدوق يوهن فردرك، الذي لا يملك أي خبرة عسكرية، كرستيان فُن آنهالت أنه متحمس لقيادة القوات إلى المعركة بنفسه. حتى زِباسْتَيَن فابر، مستشار الدوق الأمين، بدأ يتبنى خطاب «الخطر الإسباني» واعتقد أنه لو حاز پروتستانتي التاجَ البوهيمي، فلا بد أن تكون تلك «إرادة الله». كما سنحت إمكانيات جديدة بتوفيق من الله. وقد عُزِّز الحرس في كل أنحاء الدوقية. ولا بد من الدفاع عن موطن فردرك في البلاطينية في حال تعرضه لهجوم من آل هابسبورغ. أوضح يوهن فردرك للدبلوماسي الإنجليزي هنري ووتون أن «أمن الدولة يملي عليه ألا يدع غريباً يكون جاره»[327].

مع اجتياح مخاوف عدم الاستقرار ربوع ألمانيا، شهدت ليونبيرغ مزيداً من محاكمات السحر. فبُعيد إرسال ملف كاترينا إلى شتوتغارت في انتظار القرار، اتُّهمت سيدتان أخريان في قاعة بلدية ليونبيرغ. مرت ثلاث سنوات لم

تشهد المنطقة بأكملها خلالها أي محاكمة للساحرات. أما الآن، فكانت هيئة المحلفين نفسها متأهبة وجاهزة لبدء إجراءاتها بسرعة.

في 21 يناير 1620، شاهد ثلاثة من أعضاء مجلس ليونبيرغ واثنان من المواطنين الجلاد وهو يعذب أرملةً عجوزاً. لم تعترف مارغريتا فرِش، المقيمة ببيت المرضى والمسنين المحلي، بأي تهمة، لكنها بدت جاهلة جهلاً مخيفاً بمسائل الدين. لا تذكر الوثائق كيف عُذِّبت، لكن لا بد أن الجلاد، على الأقل، أرى مارغريتا أدواته لإخافتها. ومن ثم لا بد أنه انتقل إلى التعذيب الحقيقي بدق المسامير في الإبهام أو الساق، أو بربط ذراعي المرأة ورجليها معاً ورفعها عن الأرض بحبل متصل بمَحَالةٍ. كان المتهَمون بالسحر والجرائم الأخرى يُترَكون معلقين على هذا الحبل لمدة تتراوح بين سبع دقائق وخمس عشرة دقيقة، وتُخلَع أجسادهم بوحشية. كانت الإجراءات الإضافية نادرة في ڤيرتمبيرغ، ولكنها قد تتضمن رفع الجاني مراراً وتكراراً، أو تثقيل ساقيه بأوزان ثقيلة، بحيث يُشَد الجسم شدًّ أليماً للأعلى والأسفل[328].

بعد أن فرغ الجلاد من عمله عصراً، اعترفت مارغريتا تماماً أن الشيطان التقاها قبل عشرين عاماً، بينما كانت تجمع الحطب. وقد مارست معه الجنس بخشونة في وسط غابة زِندِلفِنغِن وعدة مرات بعد ذلك، مع أن زوجها كان على قيد الحياة. وبعد انغماسهما في الملذات، كانا غالباً ما يرقصان في الغابة. كان «خطيبها» كاسپال الأسود يرتدي ملابس سوداء وينتصب عالياً على قدمين تشبهان حوافر الماعز. ولما كانت مارغريتا تسرح بالوهم، فلم تَلحظ قدميه إلا بعد مرور بعض الوقت. وقد طلب منها أن تؤذي العديد من الناس وأن تكف عن عبادة الله. في المقابل، وعدها كاسپال بثروة وتجارة «عظيمة» وطعام وشراب لذيذين. ثم أعطاها مرهماً لتطلي به عصاً طويلة لجعلها تطير. احتفلت مارغريتا ورقصت في أيام سبت الساحرات، وهناك تعرفت على أربع نساء أخريات من أهل البلدة، ثلاث منهن من دار الرعاية، بالإضافة إلى زوجة

النحَّاس العجوز التي تعيش في دار الفقراء. انتهت مغامراتها الليلية عندما استهلكت المرهم بالكامل.

كما يقتضي القانون، قرأ الحاكم آينهورن والقس والكاتب المدني هذه الاعترافات على مسامع مارغريتا فرِش في اليوم التالي. نفت الآن بعض التفاصيل وشطبت ثلاث نساء من قائمة شريكاتها. وجدها الرجال عنيدة وشريرة، ثم ماتت بعد ليلة واحدة في السجن. حتى حارستها، المعروفة باسم «آغنِس العَوْجاء»، لم تعرف سبب موتها[329].

دُفِنت مارغريتا تحت المشنقة، على تلة خارج ليونبيرغ، حيث كان رماد الساحرات اللاتي أُحْرِقن عام 1616 قد ذاب في التربة منذ مدة. بعد مطاردة هايمسهايم، أُطلِق سراح أرملة من قرية إلْتِنغِن لأنها لم تعترف بأي شيء في أثناء التعذيب. تعرضت زوجة خزّاف من هايمسهايم للتعذيب عام 1617، لكنها أيضاً لم تعترف[330]. وفي عام 1620، لم يكن لدى آينهورن والمحكمة أدنى شك في أن مارغريتا فرِش كانت تنوي إيذاء الآخرين. لو لم تمت مارغريتا في السجن، لكانت أول مواطنة تُحْرَق في بلدة ليونبيرغ، وأول ساحرة تموت بعد شتاء الأزمة عام 1616.

كان الحاكم آينهورن مسؤولاً عن تسعة أحكام من بين ما لا يقل عن اثني عشر حكماً بالإعدام بتهمة السحر في تاريخ ليونبيرغ بأكمله. لكن سلفه حكم على امرأتين بالإعدام عام 1612، ولم يطارد آينهورن الساحرات بعد عام 1616. ولم يجتح الذعر ليونبيرغ - في الواقع، كانت نساؤها، عموماً، محصَّنات من الاتهامات. فكل قرار في قضايا السحر يتدخل فيه قضاة محليون. ومنذ عام 1620، شارك أيضاً في القرار فقهاء قانونيون محليون والقس والكَتَبة والمستشارون الدوقيون. لم يكن أي من هذا حكراً على آينهورن. صُدم كل هؤلاء الرجال عندما روت امرأة مثل مارغريتا قصتها المرعبة عن تمنيها أن تحيا حياة الشر «الطيبة». وقد صفعت الناس حتى أقعدتهم.

لم يتوسط أي قريب من أجل مارغريتا فرِش، مع أن ابنها وأختها يعيشان في مكان قريب. كان الجميع يعرفها بالاسم الأول لزوجها المتوفى، مارتن. كانت بكل بساطةٍ غريتا مارتن، كأنها ما زالت ملكاً له. كان بعضهم يشك فيها منذ سنوات عديدة، في ليونبيرغ وأماكن أخرى، حتى إنّ الأطفال قد يُحجَزون عنها عندما تزور بيتاً. من الناحية القانونية، يمكن أن تُعَدَّ هذه الشكوك بمثابة «رأي عام»، مع أن العديد من الأشخاص الآخرين كانوا أقل يقيناً بشأن هذه الادعاءات. وكانت مارغريتا نفسها قد اشتكت رسمياً منذ سنوات من تعرضها لاستهداف ظالم - ومن الواضح أنها شعرت بأنها تحت ضغط هائل. أثبتت المحاكمة أنها قد غضبت من خادمة في العشرين من عمرها كانت على دراية بسمعتها فصفعتها مرتين. كما أنها لمست بقرة بعد أن أُعجِبت بجمالها وربتت عليها بيديها بشوق. ثم انتابت البقرة آلام مبرحة. أخيراً، حثَّت مارغريتا حارس سجنها أن يُطعِم خنزيره من بقايا طعامها. وكذلك ظهرت على الخنزير أعراض غريبة. تعافى كلا الحيوانين لاحقاً، بينما ظلت الخادمة عاجزة عن العمل مدةً. في نهاية المطاف، أوصت مارغريتا بوصفة ناجحة لعلاج صداع الخادمة: أن تغلي نَوى كرز منقوعة بالخل على نار هادئة ثم تضعها في خِمار وتضغط رأسها به.

هل ألقت مارغريتا تعويذة وهي الآن مستعدة لنزعها؟ شهد والد الخادمة بحذر أنه لم يكن على علم بسمعة الأرملة السيئة، لكنه لم يكن متأكداً من براءتها أيضاً. وأعلن المحامي هانز نستلر أن أخت مارغريتا متزوجة من شقيقه في زِنْدِلْفِنغِن. كان في الرابعة والسبعين أو الخامسة والسبعين من عمره، وكان قد سمع بالشكوك التي تحوم حول مارغريتا منذ أن أصبحت مواطنة من مواطني ليونبيرغ. ومن الطريف أن هذا المحامي المسن عمل أيضاً طبيباً بيطرياً بين الحين والآخر. فقبل شهرين، طُلب منه علاج بقرة هانز بُوْيتِلشپاخَر المريضة. وعندما تعافت في غضون ساعة، ساورته شكوك إن كان مرضها لأسباب طبيعية أم لا. لكنه كان موقناً أن بعض حيوانات ليونبيرغ تعرضت لنوبة شعوذة. بعد أربعة أشهر من ذلك، تبين أن عجل أوبرقيرت قد أُصيب «بأذى

ليلي». كما رأى خنزيرَ الحرس المدني يرتجف ويحاول أن يغوص في الأرض ويحك أنفه بالجدران. يبدو أن لسان الخنزير قد لُطِّخ بشحم الخنزير. لم يكن هناك شك في أنه تعرض أيضاً لهجوم «شديد»، مع أنه استجاب كذلك للعلاج في غضون أربع وعشرين ساعة.

كل هذا يؤكد أن المعرفة البدهية لدى الناس كانت كثيراً ما تستهدي بالتمييز بين ما هو معروف وما يمكن إثباته. إذ حرص بعض الناس حرصاً فائقاً على ربط الظواهر المرصودة بالعلل الطبيعية أو الخارقة للطبيعة، فضلاً عن كونهم دقيقين في جمع الأدلة. ظل الكثيرون يدونون الأدلة على ميل شخص ما إلى السحر، ويسجلون الأحداث السحرية على مدى سنوات، بل عقود، ويرجحون مؤشرات مختلفة، وعندهم استعداد لترك استنتاجاتهم مفتوحة حتى ظهور دليل آخر.

وروى مواطن آخر من ليونبيرغ في الثالثة والثمانين من عمره، أنه عانى قبل ثلاثة وخمسين عاماً بالتمام والكمال من ألم فظيع تحت ركبتيه لمدة اثني عشر أسبوعاً، ولم يكن قادراً على الجلوس أو الاستلقاء أو الوقوف. لكنه لم يشك قط أن مارغريتا هي السبب. بعد ذلك استُجْوِب تاجر الخمور ياكُب شتول الذي لم يكن يعلم إلا أنه «تجاوز السبعين عاماً». كان هو وزوج مارغريتا الأول صديقين مقربين. هذا يعني أنهما كانا يُسِرّان بعضُهما لبعضٍ، وتربطهما «ثقة خاصة». ذات يوم، أسرَّ زوج مارغريتا لشتول أن «رجولته» قد اختفت تماماً، وأصبح عِنّيناً. ثم مات بعد أربعة أشهر. لكن شتول حاول جاهداً التأكيد أن صديقه لم يخش الشعوذة ولم يشتبه بزوجته على الإطلاق.

ظل القاضي المحلي ميشيل شتول، البالغ من العمر سبعين عاماً، حذراً أيضاً، إذ شهد أنه «يصعب جداً» عليه أن يعرف إن كانت مارغريتا قد سببت المرض للحيوانات بسحرها. وأقسمت زوجته «بضميرها» إنها لا تستطيع أن تجزم إن كانت اتهامات الخادمة صحيحة أم لا. كانت المخاطر كبيرة، لأنه إن تبين خطأ أحد الاتهامات، فمن المرجح أن يتحمل المحرضون تكاليف

المحاكمة. ذُكِّر الشهود بأن أي شهادة زور يقدمونها عن قصد ستجلب عليهم غضب الله الشديد في حياتهم الدنيا وتقدم أرواحهم للشيطان مباشرةً بعد الموت[331].

كانت لوتسيا دريَر، البالغة من العمر 60 عاماً وتنتمي إلى إحدى عائلات ليونبيرغ الثرية، أكثر تشكيكاً. كانت تقيم في دار الرعاية المحلية، وقد شهدت أن رجلاً أهان مارغريتا علناً، ونعتها بأنها ساحرة وبهيمة. لم تدحض مارغريتا هذا الاتهام. وعندما سُئلت لماذا لم تحتجّ أو تُقاضِه في المحكمة، اكتفت بالقول إن هذا الرجل لا «يصلح» بما يكفي لتأبه به. رأت لوتسيا دريَر أن هذا أمرٌ غريب، لأن الناس عادةً يدافعون عن سمعتهم الحسنة.

أما طاهية دار الرعاية، البالغة من العمر ثلاثة وعشرين عاماً تقريباً، فقد اختتمت شهادتها بسرعة: كانت مشغولة جداً بالطهي ولم تهتم كثيراً بالشائعات. روت الطاهية، التي تعمل في الدار منذ ست سنوات، أن الخادمة عادت إلى العمل بعد تعرضها للضرب قبل نحو اثني عشر أسبوعاً، وقد عانت من آلام متزايدة. لم يكن لدى خادمة دار الرعاية المسؤولة عن الحيوانات ما تضيفه أيضاً.

إذن، كانت الساحرات المزعومات ضحايا لبعض الجيران وليس كلهم. ومن بين الشهود الذين أدلوا بشهادتهم بعد ذلك كانت ڤالبورغا هالَر، زوجة العامل مياومةً البالغ من العمر ستة وأربعين عاماً، وكانت أيضاً في طليعة الذين اتهموا كاترينا كپلر بالسحر. قالت على الفور إنها على علم «منذ الأزل» بما يثار من «شكوك سيئة جداً وإشاعات عظيمة» ضد مارغريتا. وكانت هي من قدمت أخيراً معلومة دامغة. فقد روت أن خادمة القس أخبرتها ذات يوم أن مارغريتا دخلت مقر القس قبل الصلاة صباح يوم الأحد، وكانت قد طلبت مقابلة زوجة القس التي أنجبت حديثاً وما زالت في النفاس. ارتابت الخادمة، لأن هذه الزيارات لا تكون يوم الأحد، ولا سيما لمنزل القس. لذلك حوَّلت الخادمة المهد بسرعة إلى زاوية في الغرفة حتى لا تتمكن مارغريتا من لمس

الطفل. وبعد أن غادرت مارغريتا، تفاخرت على الفور لإحدى معارفها بأنها زارت زوجة القس وقدمت لها هدية، وهكذا حظيت بامتياز الوصول إلى شخص صاحب نفوذ في البلدة. أكدت هالر أن «الجميع» يشتبهون أن مارغريتا تمارس السحر[332].

رداً على هذه الشهادات المتباينة، قرر آينهورن ومحكمته طلب رأي قانوني من محامٍ محلي بدلاً من كلية الحقوق في جامعة توبنغن. وقد تبين أن هذا الإجراء أرخص وأسرع وأكثر أماناً. هل كانت هناك أدلة كافية لاستدعاء الشانق مع أدوات التعذيب؟ أقر فِلِپ ياكُب ڤاينماير، الفقيه القانوني في ليونبيرغ الذي يخاطَب بلقب «السيد العلّامة المبجَّل»، أصولاً بأن الصيت السيئ وحده لا يسوِّغ التعذيب، وفقاً للأدبيات القانونية. لكنه أشار بحزم إلى أن حالة مارغريتا فرِش حالة مختلفة. فهي لم تفهم أياً من أسئلة القس عن العقيدة الأساسية والممارسات الدينية (لم نعثر على تقرير عن هذا الاستجواب) ويبدو أنها تتصرف تصرفاً مريباً من عدة جوانب. ولهذا لم تكن لدى ڤاينماير أي «تحفظات» على الإطلاق بشأن «استجوابها استجواباً شديداً» - وهو استجواب دقيق يعقب التعذيب[333]. بعد أربعة أيام، ماتت مارغريتا فرِش.

***

إن دلَّت شهادات الشهود الملفقة ضد كاترينا كپلر على شيء، فإنها تقدم قراءة أكثر إثارة للقلق من الاتهامات التي ظهرت في قضية مارغريتا فرِش. فالأخيرة لم تُعطِ وصفات أو مشروبات من عندها لأي شخص، ولم تلمس إلا خادمة واحدة وحيوانين، وقد تعافيا بعد العلاج. أما كاترينا فمن المفترض أنها تسببت في معاناة دائمة. وقد اعترفت سلفاً بمحاولة رشوة آينهورن وبتصرفها الغريب جداً حين طلبت من حفار القبور جمجمة والدها. وإذا كانت مارغريتا قد اعترفت بتحالفها مع الشيطان، فكيف لا يُتوقع من كاترينا كپلر أن تفعل الشيء نفسه؟ ألم تبين قضية مارغريتا مرة أخرى أن

التعذيب أظهر الحقيقة ويمكن أن ينقذ المجتمع من المزيد من الأذى؟ أليس من المنطقي انتزاع الكلمات ممن يُخفون أسراراً شريرة؟

من وجهة نظر آينهورن والقضاة، فإن قضية المرأة التالية التي حوكمت وأُعدمت بتهمة السحر في ليونبيرغ أكدت هذا الانطباع بما يقطع الشك باليقين. كانت لينا شتوبلِرِن أرملة تعيش في مونسهايم، على الطرف الغربي للمقاطعة[334]. استُجوِبت في 26 يناير 1620، أي، بعد أيام قليلة فقط من وفاة مارغريتا فرِش، وبينما كان ملف كاترينا كپلر ينتظر قراراً بشأنه. اتُهمت شتوبلِرِن بشتم بعض القرويين الذين رفضوا مساعدتها. قيل إنها تعرف كيف تعبث بالطقس بتعتيم السماء، وهددت بإحراق منزل صاحب الحمَّام المحلي. يُزعم أنها ألحقت الأذى بالعديد من البشر على مدار سنوات عديدة. لم يتردد أولرِش برول، المستشار الدوقي الذي تحداه يوهانس كپلر عام 1621، في السماح بتعذيب لينا[335].

في البداية نفت لينا جميع التهم. وبعد تعذيبها، في 10 فبراير، اعترفت بملء إرادتها. لا بد أن كثيراً من التفاصيل أثارت قلق القضاة. اعترفت بأنها عادت ذات يوم من پفورتسهايم ومعها كَتَّان للغزل عندما التقت الشيطان وكلبه بجوار شجرة سنديان. كان هذا الكلب أحياناً يسبح في الهواء مثل شبح. قالت إنها كانت تجمع الحطب على جبل قريب من قريتها قبل ثمانية عشر عاماً حين اقترب منها رجل وسيم وسألها: «هل تريدين أن تكوني لي؟» ردّت لينا بحذر أنها بحاجة إلى وقت للتفكير في هذا العرض. لكن بارتلِن، الشيطان الشرير، عاد مرتين أخريين. وفي المرة الثالثة أمرها بأن تفعل ما يشاء، وأن تنتظره ليلاً وهي تحمل شمعة مضاءة لتهاجم البشر بعد ذلك. وذات ليلة، ظهر ضوء في غرفتها، مثل شبح، فرمته بفَلْكة المِغْزَل بكل ما أوتيت من قوة. اعترفت لينا أن الشيطان الآن قد تلبَّسها فيما يبدو. وفي يوم من الأيام كانت تجمع الحطب عند جبل القلعة مع ابنتها، وفجأةً أخذت قطعة قماش قديمة وقالت لابنتها إنها تريد أن تخنقها بها لسوء تصرفها. ظلت لينا فريسة رؤى

غريبة. بعد ذلك، بدأت ترى رجالاً كثيرين ونساءً بملابس أنيقة ووجوه مُنَقَّبة أمامها مباشرةً. كان الشيطان هناك أيضاً، وطمأنها بالقول إنه يرى أنها لا تريد حقاً أن تخنق ابنتها.

في مرحلة لاحقة من اعتراف لينا المقلق، أشار الكاتب بإيجاز: «نعم، لقد اعترفت متأسفة بأنها خضعت لغواية الشيطان المخيف». فخلال ثمانية عشر عاماً، ضاجعت لينا الشيطان في سريرها سبع مرات. وكشف الاعتراف رقم ستة أن لينا قتلت طفلة صاحب الحمام بسبب المرض، بينما أقر الاعتراف السابع بهجومها المميت على رجل. ثم روت بعد ذلك كيف حاولت هي وثلاث نساء من أهل البلدة أن «يعبثن بالطقس» على جبل القلعة لكن الله منعهن. قالت في هذه الرواية إنها لم تَطِر إلى أي مكان لأن الشيطان لم يعطها مرهماً قط. لذلك اضطرت الساحرة المسكينة الصغيرة أن تذهب إلى الاجتماعات وتعود منها سيراً على الأقدام. ذهبت سُدى كلُّ محاولاتها الأخرى للعبث بالطقس باستخدام شعر الأطفال ببراعة ونثر بول فتاة في فناء.

علاوة على ذلك، قالت لينا إنها تشعر بأنها خاضعة لنساء شريرات أخريات. ففي مرة كانت تجمع فيها الحطب، انضمت إليها ست أو سبع من عُتاة الساحرات من القرية المجاورة وأمرنها أن تفعل ما يحلو لهن. ثم فجأةً، تحولت وجوههن إلى قبعات سوداء. كن يجلسن على سياج شائك، فلم تتمكن لينا إلا من مشاهدة تحولهن الغريب. بعد ثلاث ساعات، أخبرنها أنه في غضون شهر ستعقد الساحرات «مجلساً إمبراطورياً» في غابة محلية. كن يحكمن إمبراطوريتهن الشريرة من خلال القمم السياسية كما تفعل الحكومة الألمانية! وبناءً على ذلك، لم يُسمح للينا بإخبار أي شخص بما جرى في هذا الحدث، لكنها اعترفت الآن بأنها كانت طوال حياتها «ساحرة كبيرة». فهي لم تتلقَ القربان المقدس منذ ثلاث سنوات، وحين سجل القس المحلي غيابها المستمر وأصر أخيراً على حضورها، لم يتمكن من إجبارها على ابتلاع خبز القربان.

قطع الجلاد رأس لينا شتوبلِرِن أولاً بالسيف ثم سحق جثتها وحوَّلها إلى رماد في فبراير 1620. دُوِّنت كلماتها الأخيرة في «سِجِّل الدم» الذي يوثق أحكام المحاكمات الجنائية في ليونبيرغ: فقد تأسفت لإضاعة وقت الجميع بحجب الحقيقة مدّةً طويلة، وهي تشعر بالرضا للعقاب الرحيم بقطع رأسها أولاً بدلاً من حرقها وهي على قيد الحياة[336]. وباستثناء كاترينا، ستظل شتوبلِرِن آخر ساحرة تحاكَم في ليونبيرغ للسنوات الثمان التالية.

***

بقيت معظم الشائعات والاتهامات التي انتشرت في شوارع المدن والقرى مجرد كلام، مع أن الخلافات حول اتصاف شخص بالشرف والإنصاف والموثوقية يمكن أن تُلهب مشاعر المجتمع. استخدم الجميع المحاكم المحلية لتسوية الشائعات واستعادة السلام. وهذا يعني أن المجال القانوني ومؤسسات الحكومة المحلية راسخة بعمق في حياة الناس. كانت سمعة كل شخص تُرى بالقياس إلى الجيل السابق على الأقل من عائلته. ففي أغسطس 1619، قيل إن امرأة من ليونبيرغ سبَّت أحد أفراد عائلة صبّاغ مات قبل أكثر من عشرين عاماً. كان للشرف شجرة أنساب خاصة، في الماضي والمستقبل، وهذا يجعل القتال من أجل سمعة العائلة الطيبة ضرورةً.

لم يكن الوضع الاجتماعي هو العنصر الحاسم الوحيد في هذه الحالات. إذ كان أبناء الطبقة المتدنية يلجؤون إلى المحاكم لتقديم شكوى رسمية. لذلك اشتكى، على سبيل المثال، خادم ضد ابن مواطن ألقى قبعته أمام الخنازير، فأفسد القبعة وشريطها، لكنه رفض الاعتذار. وفي عام 1620، عوقبت زوجة الحجّار المحترم يِرِمياس شقارتس بتهمة إهانة شرف أحد المواطنين. كانت الغرامات تُسَجَّل في سجلات الصدقات سنوياً. وهكذا حين يتحول ريع العداء إلى عمل خيري، ينشأ التراحم. أما كاترينا نفسها فلم تُتَّهم ولو مرة واحدة بإهانة أي شخص، مع أن هذه التهمة كانت شائعة. ففي عام 1620، على سبيل

المثال، عوقبت زوجة ولي أمرها الشرعي بدفع غرامة بسبب الشتائم، وكذلك عوقبت امرأة أخرى وفتاة[337].

تفتح سجلات جلسات المحكمة المحلية في عامي 1619-1620 نافذة على مجتمع عانت موارده وعلاقاته من ضغوط متزايدة مع دخوله في حرب الثلاثين عاماً. فقد قَسَت القلوب، وفي أسوأ المواجهات، بات الناس يُتَّهمون بأنهم وحوش وأتباع الشيطان. على سبيل المثال، في أبريل 1619 أبلغ ييرغ تْسِيَر، نحّاس ليونبيرغ الذي كان على علاقة مع أورزُلا راينبولد، السلطات أن راعي البقر قد ضرب ابنته وعيَّر زوجته بممارسة السحر واتهم الحداد بتزوير ثلاث عملات معدنية صغيرة. في النهاية، سُجِن الراعي الفقير في برج البلدة لأنه لم يكن لديه مال ليدفع الغرامة، بينما حصلت عائلة النحّاس على ضمانة تصون سمعتها الطيبة وزُوِّدت بنسخة مكتوبة من الحكم[338].

دَرَجَ الحرفيون وغيرهم من السذّج على دفع المال مقابل الحصول على نسخ من هذه الوثائق لإثبات أن أي إهانة ضدهم قد «نُسِخت» بقوة القانون، كما تنص الصيغة. لكل شهادة صيغة مُقفّاة تنص أن الكلمات كُتِبت في السجل لكي يكون لها قوة وسلطة[339]. تؤكد المستندات الورقية إحساس الناس بأن الصراع قد جرى احتواؤه. وهي تساعد، على سبيل المثال، على التمييز بين نعتِ شخصٍ بأنه ساحر وبين التهمة الدائمة بأن شخصاً ما تسبب في أذى لأنه ساحر بالفعل، كما زعمت أورزُلا راينبولد ضد كاترينا كپلر.

وجد الناس في الممارسات القانونية المحلية المرنة ضمانة لحقوقهم. على سبيل المثال، لم يلجأ الناس العاديون من ذوي المكانة المتساوية إلى المحكمة إلا للصلح. وهكذا، في أكتوبر 1619، عندما وقف كرستوف كپلر أمام المحكمة الدنيا بتهمة التشاجر، سارع إلى التأكيد أنه لا يُكِن لأسرة شتول إلا الخير وليس لديه ما يقوله عنها إلا «أشياء مشرفة ولطيفة وطيبة». كان خلاف كپلر البسيط مع الشاب هانز شتول، الذي كان أحدُ أبناء عمومته [أو خؤولته]

من بين القضاة، ناتجاً ببساطة عن الغضب «وربما الشراب». وبالمثل، أكد آل شتول احترامهم الكبير لكرستوف كپلر، ولم يُدَوَّن في المحَضْر ما قيل بالفعل في أثناء الخلاف[340]، لأن التسوية في هذه القضية تعني التزام الصمت.

في ظل هذه الضغوط الخارجية المتصاعدة، واجهت مجتمعَ ليونبيرغ مطالبُ جديدة[341]، إذ طُلب من المواطنين الآن المساعدة على تأمين بوابات البلدة، نظراً لخطورة الوضع بسبب حرب الثلاثين عاماً. واجه الكثير من الناس العجز الاقتصادي بالعمل بجد أكثر. قيل إن الحَبّال الذي يعيش في ساحة السوق أنزل حمولة من النبيذ والناس في الكنيسة يوم الأحد. استخدم الحذّاؤون والجزّارون والسرّاجون والحَبّالون والخبازون أيام الأحد لبيع بضاعتهم في المنطقة - وهي علامة على محاولة الحرفيين زيادة دخلهم من خلال العمل لساعات أطول وتوسيع نطاق توزيع بضاعتهم. قلة من الناس ذهبوا إلى الكنيسة يوم الجمعة، ولا سيما الحرفيين، لأنهم يعملون. وكان شتوفل شمِد يدرُس بيدره في وقت متأخر من الليل على ضوء شمعة. وحين اشتعلت النار في الحظيرة هب الجميع لإيقاف انتشارها.

بدت ليونبيرغ مختلفةً في سنوات الأزمة. فقد فشل صاحب الحمّام في زراعة كرمه، وكذلك فعل الآخرون، لأن زراعة الكروم تتطلب الكثير من العمل وتحقق عوائد أقل من العمل في الحقول. كثرت سرقة الأخشاب في شتاء 1620، وقُبِض على رجل عاثر الحظ من دار الفقراء وهو يسرق الخشب. بل إن رجلاً آخر اقتلع الملفوف من قطعة أرض ليست له وخبَّأها في بنطاله ليأخذها إلى بيته. واشتكى ضابط الجمارك من عدم التصريح عن العديد من البضائع. واشتكى المسؤولون عن الرعاية الاجتماعية لأن المدفوعات الخيرية، التي كانت تُحصَّل كل أسبوع من المواطنين، باتت لا تُمنح الآن إلا بنقود مزيفة، وهي عديمة الفائدة تقريباً بسبب التضخم المفرط الذي أعقب خسف قيمة العملات الفضية الهائل بسبب تبني العملة النحاسية. وقد استُهدِف بعض

الأفراد بسبب بخلهم، فقد وُجِّه توبيخ للنحات پِرِمياس شڤارتس لعدم تبرعه بأي صدقات في الكنيسة لمدة عامين.

وازداد الجور. كانت «آغنِس العَوْجاء»، التي حرست لينا شتوبلِرِن في السجن، تعزف على آلة القانون في ضاحية ليونبيرغ من أجل رقصة جامحة يتخللها الكثير من التجديف. تشاجر الراعي والجزّار شجاراً شديداً وتبادلا الشتائم بصوت عالٍ عند البوابة العليا. كانت الأمور في منزل الخياط «مزعجة» في الليل والنهار، وكان الفَرّاء «لا يكف عن الصراخ». اتسمت حياة العديد من العائلات بالمشكلات. أهدر هانز فُن زاكْسِنْهايم أمواله وأموال أبنائه على القمار والإفراط في الأكل والشرب. هجر إندرِس فرانكن زوجته، ولم تستطع زراعة حاكورة الخضار التي يملكانها. واشتكى الجيران من أذى الأعشاب الضارة. أوكَل ميشيل رِلْتلِنغر العجوز إلى صهره تسوية ديونه. وضرب شتوفل باوَر زوجته، مع أنها قد أنجبت للتو، وكان يشرب ويأكل أطايب الطعام، وعجز عن تأمين الملابس لأطفاله. كانت زوجة ماركس كرستمان تشتم مثل أي امرأة سليطة اللسان وكانت تتمنى أن يتعرض زوجها لحادثة عندما يذهب للعمل في الحقول. كان كرستمان يضربها ضرباً مبرحاً، لكنه بدلاً من الذهاب إلى السجن كما يؤمَر كان ينام حتى وقت متأخر. عانى أكبر أولاد لورِنتس شپورر من الجذام، وكان لا بد من حجره عن الأطفال الآخرين، ولم يكن يصلح حتى أن يكون عاملاً مياومةً.

كانت بعض القضايا مخيفة جداً حتى إنّه لم يكن من الممكن إخمادها أو حلها بسهولة. كانت بعض الادعاءات تتهم، في جزء منها، مواطناً أو حتى قريباً بالتحالف مع الشيطان. بحلول نهاية أكتوبر 1619، مَثُل النحّاس تْسِيَر وزوجته من جديد في قاعة بلدية ليونبيرغ. فقد اتهمه زيفَرِن شتال صاحب السمعة الطيبة وزوجته بأنه كان يصرخ زاعماً أن شتال هو الأب الروحي للشيطان. رد شتال قائلاً إن كان تْسِيَر قد قال شيئاً من هذا القبيل، فلا بد أن يكون هو نفسه من أعوان الشيطان ولديه طفل غير مُعَمَّد[342]. في عام 1620، ثَمِل رجل آخر

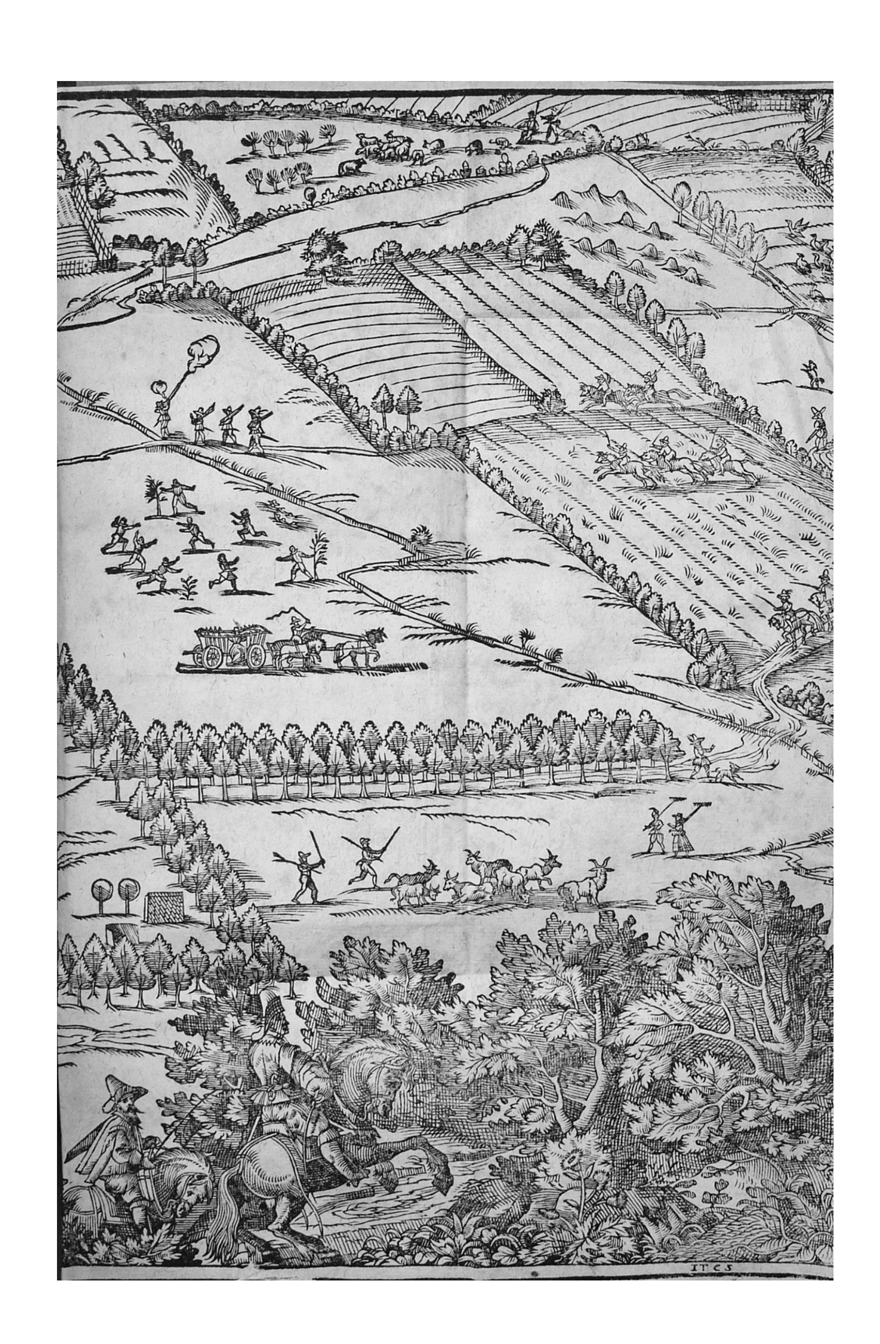
تماماً، وراح يُعَربِد هنا وهناك بغضب، ولما عاد إلى المنزل، شتم أباه وأخاه. وأخيراً صرخ قائلاً إن زوجة أبيه ساحرة وأنه كان يجب حرق أبيه قبل عشرين عاماً. مما لا شك فيه أنه حتى في مجتمع مثل ليونبيرغ، حيث لم تُتَّهم رسمياً إلا النساء فقط، لم يُنظر إلى السحر بوصفه جريمة تقتصر على النساء. كان السحر بدعة بنظر الجميع، ويمكن أن يمارسها الرجال والنساء على حد سواء. وهذا ما جعل يوهانس وكرستوف كپلر بلا حول ولا قوة وهما ينتظران قراراً في محاكمة كاترينا.

9

حبس كاترينا



الصورة 24. يصور هذا النقش الخشبي رجال البلدة وهم يتدربون على الجري والرماية في أعلى اليسار، وكذلك رجالاً ونساء يحصدون أو يسافرون في ڤيرتمبيرغ. تفصيل من نقش خشبي في كتاب يوهَن باون، «النهج الجديد للمياه المعدنية الطبية»، 1612. © بإذن من عميد كلية سينت جون وأساتذتها، كيمبردج.


ITCS

فقط لعدة سنوات[344]. ماتت طفلة اسمها آنا بُعيد ولادتها في عام 1618. لم تولد لآغنِس ذات الستة أعوام أخت أخرى إلا في عام 1619، وكان اسمها مارغريتا. هل من باب المصادفة أن كرستوف لم يسمِّ أياً من بناته باسم كاترينا قط؟

مع أن كرستوف كپلر نشأ نشأة ابن أرملة، إلا أنه حقق الكثير. فحين بلغ بائع الأدوات القصديرية هذا الثلاثينيات من عمره، وعلى الرغم من التحقيقات الجارية ضد كاترينا، عُهد إليه بمسؤولية مدنية كبيرة. ففي عام 1618، عندما أدرك الدوق الحاجة الملحة إلى تدريب الرجال على الدفاع العسكري، عُيِّن كپلر في مهمة مدفوعة الأجر لتدريب الرجال من أهل البلدة في عطلات نهاية الأسبوع (الصورة 24). ضغط الدوق يوهَن فردرك على مقاطعاته لشراء البارود وإضفاء الطابع الاحترافي على تمارين الرماية. كان تلقيم البندقية وإطلاقها يتطلبان نحو عشرين عملية منفصلة، ولا بد من ممارستها على أهداف متحركة[345]. حذر يوهَن فردرك: إن لم يتدرب أهل ڤيرتمبيرغ، فهذا يعني «تسليم أناس فقراء بلا خبرة إلى الذبح» في حرب تلوح في الأفق ضد هابسبورغ. علاوةً على ذلك، إذا فشل في تجنيد المواطنين للقيام بالمهام الدفاعية، فسيحتاج إلى تجنيد العديد من المرتزقة من الأراضي الكاثوليكية بتكلفة كبيرة[346].

من خلال هذه المهمة الجديدة لتدريب العسكريين ارتبط كرستوف بمهنة والده (مع أنه من غير المرجح أن يتذكر أباه الذي اختفى حين كان عمر كرستوف عامين فقط). تبين أن المهمة صعبة، حيث كان الرجال من أهل البلدة يفتقرون إلى أي حس بالانضباط أو بالواجب. بحلول عام 1620، اشتكى «العريف كرستوف كپلر» قائلاً إن أحد رجاله قال مازحاً إنهم جميعاً يبدون سخفاء خلال دروس التدريب، مثل «صِبيان الجَلّاد» وهم يصطدمون «بعضهم ببعضٍ» عندما يسيرون وينعطفون[347]. كان الانضباط الجسدي غريباً عليهم. وفي عام 1620، استشاط كرستوف غضباً مرةً أخرى وشتم رجاله بأقذع

الألفاظ، فلم يَجْنِ من ذلك إلا غرامةً أخرى. في المحكمة، قال إن معظم الرجال يتجنبون التدريب ويتذرعون بأعذار واهية. أدركت الدوقية، كغيرها من الولايات البروتستانتية، أنها ستحتاج إلى الاستمرار في الاعتماد على المرتزقة، ولا سيما مع تصاعد الحرب في ذلك العام.

في موطنه، بدأ كرستوف كپلر يرعى الرجال الذين يشبهون والده وشقيقه المثابر. ففي عام 1620، على سبيل المثال، ظل يعتني بجندي مريض حتى نُقِل إلى مكان آخر، وفي العام نفسه اعتنى بجنود أتموا واجبهم في مكان آخر[348]. في الربيع، أدرك كبار دبلوماسيي ڤيرتمبيرغ أخيراً أن إنجلترا لن تدعم البروتستانت في أوروبا عسكرياً. ومع ذلك، فقد ظل الدوق يوهَن فردرك عازماً على مساعدة البلاطينية الكالڤينية، على الأقل داخل حدود الإمبراطورية. في يونيو، عزم على خوض المعركة بنفسه[349].

سيكون لدى كرستوف المزيد من الجنود ليشرف عليهم في الأشهر التالية. في أغسطس 1620، سار أمبروجيو سپينولا مع 25.000 جندي من بروكسل إلى بلاطينية الراين، بينما سحق الجنرال تِلي المتمردين البروتستانت في النمسا. في نوفمبر، خسر فردرك الخامس، أمير البلاطينية، تاج بوهيميا خلال معركة لم تستمر إلا ساعتين تقريباً في الجبل الأبيض في پراغ. انتصر فيرديناند مرة أخرى، وتلقى يوهانس كپلر فيما بعد نبأ الإعدام الوحشي لقادة المتمردين، ومن بينهم عالم التشريح والفيلسوف الطبيعي يان يِسينيوس الذي عرفه لسنوات عديدة. وقد قُطِع لسان يِسينيوس قبل أن يُقطَع رأسه.

في هذه الأثناء، في الصيف نفسه، تغيرت حياة كرستوف كپلر. كانت مستشارية شتوتغارت قد اتخذت قرارها. وفي 7 أغسطس 1620، سُجنت والدته، بدايةً في شتوتغارت ثم سيقت إلى ليونبيرغ لبدء المحاكمة الجنائية الرسمية. لقد ذهبت كل توسلات أسرتها سدى. شعر كرستوف بالرعب. كانت

أمه صغيرة الحجم، في الثالثة والسبعين من عمرها، وباتت بلا أسنان تقريباً، وشاب شعرها. لا بد أنه تخيل بسهولة كبيرة الحارس المدني وهو يجر كاترينا من أحد سجون أبراج ليونبيرغ بسلسلة أو حبل إلى قاعة البلدية، أمام منزله مباشرةً.

أظهر رد فعله أنه لا يطيق التفكير في العار. لعله كان من بين الذين شاهدوا الجلاد يقطع رأس لينا شتوبلِرِن ويحرقها في فبراير من ذلك العام. كانت الحكومات المحلية في ألمانيا ترتب كل عمليات الإعدام لكي تكون حدثاً جماعياً وموعظةً للجميع وجعلهم يُصَلُّون من أجل نفسٍ آثمةٍ مسكينةٍ إلى الأبد. هل يمكن أن يتخيل كرستوف وجوده وسط الحشود لمشاهدة جثة والدته وهي تُلقى على كومة من الحطب المرصوص؟ وجَّه كرستوف خطاباً إلى الدوق يوهَن فردرك على الفور، يقول فيه بفخر إنه تعلم مهنته بشرف، بل مارسها «بقدر معين من الشهرة». فقد كان تحمُّل خمس سنوات من التحقيقات ضد والدته «مؤلماً جداً»، وقد بات الآن يخشى «ازدراء الناس العلني». طالب كرستوف كپلر بإجراء محاكمة كاترينا في مكان آخر.

أيَّد قضاة ليونبيرغ والحاكم آينهورن طلبه بشيء من «الرأفة الخاصة». كانت المحاكمات الجنائية تُفتتح عادةً بدق جرس خاص في دار البلدية. اتفق القضاة على أن هذه العادة ستسيء إلى شرف بائع الأدوات القصديرية، إذ سيعرف الجميع أن والدته قيد المحاكمة، وقد تُعذَّب وتُعْدَم. والأنكى من ذلك كله هو أن يحدث هذا ليس فقط في مسقط رأس كرستوف كپلر، بل أمام منزله. أكد القضاة أن كرستوف كپلر كان دوماً مجتهداً في سلوكه ولا عيب فيه، وقد اكتسب خبرته الخاصة في مهنته من خلال زيارة العديد من البلدات والأقاليم خلال سنوات تجواله. كما أن لزوجته وعائلتها سمعة مشرفة، إذ كان والدها عمدة إلتنغن لمدة سبعة وعشرين عاماً.

كان مسؤولو مستشارية شتوتغارت متعاطفين أيضاً، فوافقوا، في اليوم الذي تلقوا فيه طلب كرستوف كپلر، على تغيير مكاني حبس كاترينا

ومحاكمتها[350].

***

كانت مارغريتا كپلر قد كتبت إلى الدوق قبل شقيقها، بينما كانت والدتها مسجونة في شتوتغارت. كانت مارغريتا، أيضاً، قلقةً بشأن بدء محاكمة جنائية مناسبة. ولأول مرة كتبت الالتماس باسمها هي. كان هدفها حماية والدتها حين كتبت عن مدى صدمتها لرؤية كاترينا مسجونة في شتوتغارت. كتبت زوجة القس بإصرار: «لا أعرف شيئاً مما يتهمها به آل راينبولد في هذه العملية القانونية الطويلة، لكني أعرف أنها كانت دوماً تأمرني أن أتقي الله وأن أحرص على جميع الفضائل، ولهذا فإن تصرفها هي نفسها كان دوماً تصرفاً مسيحياً». طلبت إنقاذ أمها العجوز من أقسى أشكال السجن - برج «اللصوص» في شتوتغارت. كان هذا أحد سجون ألمانيا ذات الجدران السميكة المبنية من الآجر غير المُليَّس، حيث يفترش السجناء القش على الأرض، وطعامهم وجبات من الماء وقليل من النبيذ والعصيدة التي يتناولونها بصحبة النشّالات والسارقات.

نجحت مارغريتا أيضاً في مناشدتها. إذ صدرت تعليمات لحاكم شتوتغارت لإيجاد سجن معقول قبل نقل كاترينا إلى ليونبيرغ. وقد طُلب من مارغريتا وزوجها الحضور إلى مستشارية شتوتغارت في الساعة السابعة صباحاً.

عرف الأشقاء جميعاً أن والدتهم قد تواجه التعذيب. ظلت مارغريتا تقف خارج زنزانة والدتها في سجن شتوتغارت وظلت تحدثها إلى أن أخذها الحارس المدني للاستجواب الأولي. قالت مارغريتا لأمها: إن ارتكبت خطأ، فينبغي أن تقول ذلك، وأن ترأف بها وبأخيها وعائلته في لِنس، وألا تلحق بهم العار. كانوا يخشون من ملاحقة العار لهم طوال حياتهم. شجعت والدتها على تحمل التعذيب وحاولت تهدئتها. قالت مارغريتا لوالدتها العجوز، حتى لو خُلِعَ

جسدها، فلن تكون هذه سوى «ساعةِ كَرْبٍ واحدة» في حياتها. تمنت كاترينا على ابنتها أن تعود وتحدثها أكثر، لكن الحارس المدني وبّخ المرأتين وقال إن أي زيارة تحتاج إلى إذن من الحاكم الدوقي. استُجوِبت كاترينا فيما بعد عما كانت تنوي قوله لابنتها. ردت المرأة البالغة من العمر ثلاثة وسبعين عاماً بثقة بأنها لم تُرِد سوى إعطاء مارغريتا فلورناً واحداً لشراء البيض والطعام الذي يمكنها طهيه. وقالت إنها في الواقع لا تطيق «الطعام الرديء»[351]. وهذه من المرات القليلة التي نسمع فيها صوت كاترينا كپلر. فقد كانت عملية وحكيمة في إصرارها على الغذاء الأساسي الجيد - البيض والشوفان اللذين اعتادت عليهما وساعداها في العيش حتى الشيخوخة - للحفاظ على قوتها الجسدية والعقلية. لم تزل ترغب في اتخاذ قرارات بشأن حياتها.

حاول حاكم شتوتغارت الدوقي اعتقال كاترينا منذ أواخر يوليو. منذ أواخر الربيع وحتى الصيف، ظلت كاترينا تقيم في الغالب مع مارغريتا في هُوْيمادِن، لكنها ظلت تتمتع باستقلالها، وتعتني بصحتها، وتنفق من مالها على نفسها. كانت قد سافرت إلى مدينة أولم من أجل العلاج في أحد حمامات ڤيرتمبيرغ، لكنها مرضت بعد ذلك وقضت بعض الوقت في مدينة إسلِنْغِن. وما إن تعافت حتى عادت إلى مقر القس في هُوْيمادِن. زعم يوهانس كپلر أن صهرها بِنْدر استاء جداً من القضية برمتها حتى إنّه لم يرغب في رؤية وجهها مرة أخرى، وقد صرح لكاترينا بهذا[352]. لكنها بقيت عنده بالرغم من ذلك.

في هذه الأثناء، أوصى الأطباء غرول وكولتْس ورُوش في المستشارية الدوقية، بالإضافة إلى مسؤولَيْن من أهل الثقة هما ديغهِر وشنِيف، بأن أورزُلا راينبولد تستحق العدالة وأنه يجب القبض على كاترينا وتعذيبها إن لم تعترف[353]. كان زِباسْتيَن فابر، أحد كبار معارف يوهانس كپلر الحكوميين، منشغلاً تماماً بالحرب وليس بوسعه مساعدة عالم الفلك. بعد إصدار أمر الاعتقال، تعقَّب رجال حاكم شتوتغارت أخيراً كاترينا إلى منزل ابنتها. وقد وصلوا لجلبها من دون سابق إنذار في الساعات الأولى من صباح أحد أيام

شهر أغسطس. كانت مارغريتا لا ترتدي إلا ثوبها الكتان الطويل حين طرق الرجال الباب، وأيقظت الخادمة الأسرة لتنقل إليها الأخبار السيئة. طلبت زوجة القس من كاترينا الاختباء في صندوق مغلق. في حرارة الصيف، كانت كاترينا تكتفي بغطاء من لحاف فحسب. هكذا وجدها الحراس حين فتشوا المنزل: عجوزاً قلقةً عاريةً مختبئةً في صندوق.

حالما ارتدت كاترينا كپلر ملابسها، اقتادها حراس مسلحون أولاً إلى شتوتغارت ثم إلى ليونبيرغ، حيث أجرى الحاكم آينهورن وقس البلدة استجواباً أولياً في 11 أغسطس. ساعد الحاكمَ والقسَّ الجديد ثلاثةُ قضاة (زيڤَرِن شتال، ولودڤِغ بِلْفِنغر، وهانز يوسِنهانسن) وڤيرنر فُويْخت، الكاتب المدني الجديد. كان ولي أمر كاترينا القانوني المخضرم قد تقاعد للتو. لم تعرف كثيراً من الرجال أمامها، فكانت عملياً وحيدة. اختبر القس الجديد فهم كاترينا للعقيدة الدينية، وكانت إجاباتها جيدة. كانت صادقة بما يكفي لتفصح أنها في ڤايل دير شتات، التي تتسامح مع الكاثوليك واللوثريين، تناولت ذات مرة القربان المقدس في قداس كاثوليكي، وأضافت أن القس نفسه قد غير مذهبه بعد بضع سنوات. ونفت بشدة أي تعامل مع الشيطان.

بعد ذلك، واجهت مجموعة كبيرة من الشهود من أهل البلدة وكلهم يدَّعون ضدها. وقد كرروا العديد من ادعاءاتهم السابقة، مع إضافة تفاصيل جديدة. اتَّضح أن بعض أفراد المجتمع يتجنبونها. قال الجزار إنه طلب من كرستوف كپلر منذ سنوات أن يحرص ألا تكون والدته في الجوار إذا ذُبِح أي حيوان في منزل كپلر. ومن بين الشهود الآخرين، نُقل مدير المدرسة إلى قاعة المحكمة لأنه أصبح الآن كسيحاً تماماً. فهل هي سبب آلامه؟

أخبرت الأرملة العجوز المحكمة أنها ترى صلة بين انسداد تدفق الدم عند الجزار، الأمر الذي جعله كسيحاً أيضاً، وبين قطعه ذات مرة شجرة خضراء كاملة. وهذا يعني أن هذه الشجرة ما زالت مليئة بنسغ الحياة. بمعنى آخر، بدا كُساحه كأنه عقاب أخلاقي. وقد رأت أن جسد الجزار وأفعاله مرتبطان بعالم

أخلاقي أوسع. كان هذا الإحساس العميق بالطبيعة البشرية والنباتية المترابطة جزءاً لا يتجزأ من رؤية كاملة للعالم لا ترى الناس أفراداً منعزلين أو الشجرة عينةً تحت السيطرة. كانت الطبيعة مشبعة بقوة الحياة التي وهبها الله.

كانت كاترينا سعيدة بالاعتراف بأنها أوصت الجزار ذات يوم بدعاء، واستطاعت أن تعيده على مسامع المحكمة. كان الدعاء يعبر عن بوح ذاتي كالعادة، مع أنه سهلٌ وغير أنيق، إذ يمزج بين العناصر المسيحية والفولكلورية. يناشد الداعي ربه أن يعينه على استعادة عافيته:

يا إلهي رحِّب بي

في أيام الشمس والأحد.

تأتي راكباً نحونا،

وهناك يقف إنسان، دعني أدعُوك، يا الله، أيها الآب والابن والروح القدس،

والثالوث الأقدس

جُدْ على هذا الإنسان بدم ولحم

وبصحة جيدة كذلك[354].

ظنت كاترينا أنه مجرد دعاء، وكانت تعي العداء اللوثري ضد العِرافة الخرافية. ادعت لاحقاً أنها ناقشت مع ثلاثة خبراء في الأمور الروحية - ابنها يوهانس والقس في لِنس وصهرها - إن كانت كلمات هذا الدعاء يمكن أن تكون مسيئة أم لا. لم يعتقد أحدٌ أن الكلمات بحد ذاتها ناجعة، لكن يمكن تجربتها. تذكرت أنها كانت تستخدم هذا الدعاء حين يمرض أطفالها الصغار. ومع ذلك، توفي أحد أبنائها الصغار، لكنها تعتقد أنه قد نفع ابنها الثاني هاينرش في صراعه مع الصرع.

لكن الشهود تذكروا مزاعم هاينرش، وأسهبت كاترينا في الحديث عن هذا الولد الصعب المراس. اتضح أنها بعد سنوات اعتنت بإحدى بنات هاينرش الصغيرات في بيتها، ودافعت عنها ضد صبي من البلدة قد أهانها. وكما رأت هي الأمور، أصبح هاينرش «شخصاً ملحداً»، وذلك بسبب عشرين عاماً قضاها في الجندية. وقد تعلم الحديث بعدوانية، وتجادلا حول الدين. وقد وبخته لاعتناقه المذهب الكاثوليكي حين طلب اللجوء والرعاية في دير، وهذا أغضبه جداً. لم تترك كاترينا أدنى شك في أن اتهامات ابنها لها كانت باطلة.

لم يبدُ على كاترينا كپلر أي عجز عقلي أو إرهاق وهي تواجه سبعة عشر شاهداً وتجيب عن أسئلتهم. وعلى الرغم من خوف يوهانس المستمر من غباء العجوز، فقد تحدثت بوضوح، وعللت بمنطق، واستطاعت أن تقدم تفسيرات طبيعية لما ظنه الآخرون سحراً. فقد أوضحت كاترينا، على سبيل المثال، أن بعض المشروبات التي أعدتها ظلت في الأباريق طوال الليل أو لبضعة أيام، حتى تكَّونت على سطحها طبقة رقيقة قد توحي أن خصائصها تغيرت. ومع ذلك، فقد أقسمت «بأبدية روحها» أنها لم تقصد إيذاء أحد قط. واعترفت بصدق أنها سخرت غاضبةً من بعض أهل البلدة الذين بدؤوا يذمونها. على سبيل المثال، قالت لرجل نعتها بالساحرة بأنها «ستُريه» وستعبث بالطقس. لكن هذا كان مجرد كلام.

مرت كاترينا بهذا الإجراء برمته من دون أي وصي قانوني، وردت بنفسها على كل ادعاء. كانت ذاكرتها لا تشوبها شائبة - بل إنها تذكرت أنها سألت شخصاً أن يرافق مارغريتا لشراء جوارب أو أربطة جوارب لرجل عندما كانت شابة عزباء قبل سنوات. من الواضح أن كاترينا كانت تراقب بعنايةٍ من يتودد إلى ابنتها وكيف تنفق مالها، وتصونها من الرذيلة، ولا تكف عن ترسيخ عقيدتها اللوثرية. كما اعتادت أن تسيطر على نفسها، مع أن حياتها كانت على المحك. لكن هيئة المحلفين كانت قطعاً ضدها، وتذرعت بأن ضبط النفس هذا دليل على أنها خطرة وغير مبالية عاطفياً.

لحظت هيئة المحلفين، التي راقبت كاترينا من كثب، أنها تجنبت التواصل البصري مع الشهود، وخلال الاستجواب بأكمله، لم تبدُ عليها أي علامة تأثر. فهي لم تذرف دمعة واحدة. وعندما أوضحت أن زوجها غادر مراراً للقتال في هولندا وهنغاريا، على الرغم من منع الدوق ذلك، لحظ الكاتب ظُنون هيئة المحلفين أنها عاملت زوجها معاملة سيئة حتى إنّه لم يُطِق العيش معها. في الواقع لم يقل هاينرش كپلر أي شيء بهذا المعنى. لكن هيئة المحلفين تساءلت الآن متعاطفةً إن كان هاينرش «نفسه قد شعر بهذا [تعرضه لمعاملة سيئة من قبل زوجته] أكثر مما صرَّح للآخرين». هذا هو التحيز القضائي بعينه.

انتهى تقرير 11 أغسطس بتلفيق محسوب بدقة من أجل تعميق شكوك مستشاري الدوقية. إذ زعم أن كاترينا تعرف المرأة من إلتنغن التي اتُّهمت بالسحر عام 1616، لكنها لم تعترف في أثناء التعذيب وأُطلِق سراحها. وأضافت هيئة المحلفين أن هذه المرأة بائعة متجولة سيئة السمعة، وقد التقت كاترينا عدة مرات في أثناء تجولها. كما سمعوا أيضاً أن شخصاً ما تحدث إلى هذه المرأة في خارج باب برج سجن ليونبيرغ قبل تعذيبها، وطلب منها «التزام الصمت وعدم الاعتراف بأي شيء». وأشاروا الآن إلى أن كاترينا والبائعة المتجولة قد «التقتا على وجه اليقين في كثير من الأحيان إما في هُوْيمادِن وإما في أماكن أخرى وعقدتا محادثاتهما السرية»[355].

***

بعد سبعة أيام من رفع تقرير هذا الاستجواب إلى شتوتغارت، أمرت المستشاريةُ الحاكمَ آينهورن أن يهدد كاترينا كپلر شفهياً بالتعذيب ليرى إن كانت مستعدة للاعتراف بأي شيء. وإن لم تعترف، فينبغي لحاكم ليونبيرغ أن يشرع باتهامها رسمياً بصفتها مشتبهاً بها وتحتاج إلى التعذيب فعلياً بثلاث تُهَم أساسية: المشروبات التي قدمتها للعديد من الأشخاص فأمرضتهم؛ محاولتها

رشوة الحاكم؛ رغبتها في استخراج جمجمة والدها لاستخدامها كأساً للشراب[356].

وصل التماس كرستوف كپلر المكتوب لنقل والدته والمحاكمة بعيداً من ليونبيرغ بعد أسبوع. فقررت المستشارية نقلها إلى بلدة صغيرة تسمى غوغْلِنغِن، على مسافة 60 كيلاً تقريباً شمال ليونبيرغ، بالقرب من هايلبرون، وهو مكان لم تزره من قبل. وسيكون يوهَن أولرِش آولبر، حاكم غوغْلِنغِن المخضرم في المنصب منذ عام 1611، هو المسؤول الآن[357]. أرسل آينهورن إلى زميله كل الملفات التي بحوزته، وشرح كيف تحولت الدعوى المدنية التي أقامها آل كپلر على آل راينبولد قبل خمس سنوات إلى محاكمة جنائية ضد كاترينا في نهاية المطاف. وأرفق الوثيقة القانونية لتسويغ تعذيبها. وأشار آينهورن كذلك أنه قد لا يحتاج إلى تكرار أي استجوابات، لأن جميع الشهود قد أدلوا بشهاداتهم سلفاً تحت القَسَم. لكنه نصح آولبر بحذر أن عليه أن يتأكد من مستشارية الدوقية بشأن هذا الإجراء. أنهى آينهورن رسالته معرباً عن ثقته الكبيرة بنتيجة القضية. إذ كتب أنه يرى أن، «معرفة الحقيقة لا تحتاج إلى أكثر من السيد ياكُب في شتوتغارت أو خَلَفه»[358]. يمكن الوثوق بجلاد شتوتغارت هذا. ختم آينهورن رسالته بعبارة يفيض منها التقى: «سائلين المولى العزيز الرضا الدائم».

كان آولبر صهرَ ڤايِنماير، محامي ليونبيرغ، الذي كان قد نصح بتعذيب مارغريتا فرِش. علمت أورزُلا راينبولد أن ڤايِنماير من أنسباء الرجل الذي سيساعد الآن في تحديد القضية، وربما لهذا السبب حاول فريقها أن ينقل مكان المحاكمة إلى غوغْلِنغِن. طلبت من محاميها أن يكتب إلى آولبر في غوغْلِنغِن ويطلب منه أن يباشر القضية بسرعة، مع الاحترام الواجب طبعاً لأوامر مستشارية شتوتغارت. أكد ڤايِنماير لآولبر بدوره أنه سيكون سعيداً دوماً بمساعدته[359].

10
عودة كپلر

لما نفد صبر يوهانس كپلر، كتب في أوائل صيف عام 1620 إلى الدوق يوهَن فردرك، طالباً منه إرسال نسخ كاملة من شهادات الشهود إليه، على نفقته الخاصة ومع رسوله. وعندئذ سيرد على هذه الإفادات، ولا سيما أنه يظن أن والدته المسنة شبه «فاقدة للعقل»[360].

ما إن سُجِنت والدة يوهانس حتى أرسلت إليه أختُه مارغريتا في 7 أغسطس، وهو في لِنس، تخبره بما جرى. ورداً على ذلك أرسل رسالة شكوى غاضبة إلى الدوق يوهَن فردرك يبلغه فيها أن كاترينا «هُوجِمَت» في أثناء نومها في ساعات الصباح الأولى في مقر أبرشية هُوْيمادِن. استخدم عالم الرياضيات الإمبراطوري لغة تعبر عن واجبه تجاه أمه لا عن خوفه على سمعته عندما أعلن نيته تولي الدفاع عن والدته. أصر كپلر على أن من حق الابن الأكبر معرفة الشهادة التي كانت الأساس القانوني لمثل هذه الإدانة. وأوضح أن الحرب تجعل من الصعب عليه السفر في الوقت الحاضر. ومع ذلك، كان ينوي حزم أمتعته في أقرب وقت ممكن والبقاء مع عائلته في شتوتغارت طوال مدّة المحاكمة. وإلى حين وصوله، تمنى أن يرحم الدوق كاترينا بإبقائها في سجن مقبول وتزويدها بالغذاء المناسب. وسيقدم لها بنفسه كل ما تحتاج إليه

من مساعدة في أثناء المحاكمة. وستكون هذه هي الطريقة الوحيدة الممكنة ليشعر أنه قد أدى واجبه تجاه والدته[361].

كما وعد، انتقل كپلر إلى ڤيرتمبيرغ بأسرع ما يمكن. علَّق حياته كلها، وحزم أمتعة أسرته وكتبه وأدواته العلمية في لِنس. أخذ عائلته معه في قارب إلى نقطة في منتصف الطريق، حيث استضافهم أناس طيبون في ريغنزبورغ على نهر الدانوب. ثم استأجر كپلر حصاناً ليُقِلَّه إلى أولم، فمكث عند صديقه هِبِنشترايت، وسافر شمالاً إلى شتوتغارت. من هناك، كان عليه أن يتلمس طريقه إلى الشمال بعيداً من طرق التجارة الكبرى، ويسأل عن الاتجاهات إلى غوغلِنْغِن، حيث لا يعرف أحداً ولا يعرفه إلا قليلون.

وصل كپلر بنهاية سبتمبر، وكان أول شيء يحتاج إليه هو العثور على نُزُل يمكنه ترك حصانه عنده ثم يشق طريقه إلى قاعة البلدية. ثم اقتيد إلى والدته العجوز في برج غوغلِنْغِن. بعد ثلاثة أسابيع من الحبس، اشتكت «بمرارة» من شعورها بالبرد والحزن والوحدة وحرمانها من الراحة. في ذلك الشهر بالذات، ارتحلت ابنتها مارغريتا من هُوْيمادِن. تولّى بِندر، زوج مارغريتا، رئاسة أبرشية والده الصغيرة في روسڤالدن، على بعد 30 كيلاً إلى الشرق من شتوتغارت على الطريق ما بين إسلِنغن وغوپِنْغن. صاروا الآن يعيشون في المنزل الذي نشأ فيه بِندر، في وسط القرية. كانت الكنيسة صغيرة، وفيها مدرسة صغيرة يتولى إدارتَها الزوجان خلال أشهر الشتاء. لم يكن من السهل على مارغريتا أن تسافر إلى غوغلِنْغِن، وذلك بسبب بُعد المسافة وطول المدة وارتفاع التكلفة. كما أن بُعد المسافة أدى إلى إبطاء الاتصالات البريدية. علاوةً على ذلك كانت الأعمال الزراعية والمنزلية، خلال فصل الخريف، تستغرق وقتاً طويلاً. وبما أن مارغريتا متزوجة، فهي لا تستطيع أن تحزم أمتعتها وتنتقل إلى غوغلِنْغِن. كما أن غيورغ بِنْدر صار يتململ من الدعم الكبير الذي قدمه إلى حماته إلى أن نُقلت إلى السجن من مقر أبرشيته. وإلى نهاية حبس كاترينا في غوغلِنْغِن، لا يُذكَر أن مارغريتا أو القس بِنْدر زاراها على الإطلاق.

عرف يوهانس كپلر أنه الآن الوحيد من أبناء كاترينا الذي يستطيع ويرغب في الوقوف إلى جانبها. طلب على الفور نقل والدته من برج السجن الكئيب إلى مقر الحارس المدني وحبسها في غرفة على نفقتها الخاصة. أراد أن يُبقي التكاليف منخفضة قدر الإمكان، ولكن بالنظر إلى «جنسها وعمرها» لم يكن يتوقع أن تكون لأمه احتياجات كثيرة[362].

استجابت مستشارية شتوتغارت لهذا الطلب بإجراء مناقشة كاملة بين موظفيها. وقع تسعة من المستشارين على الأمر الذي يقضي بتوظيف حارس واحد ليل نهار لمراقبة كاترينا[363]. واتضح أن آولبر، حاكم منطقة غوغلِنْغِن، لم يكن مسروراً. فقد أصر على أن تُقيَّد كاترينا بالسلاسل وتراقَب من حارسين على الأقل. اعترض كپلر على هذا الإجراء لأنه أكثر تكلفة وغير ضروري، كما أن والدته ضعيفة وتعاني من العديد من معوقات الشيخوخة. ولخشيته من تدهور الأوضاع في السجن في الشتاء، طلب استمرار المحاكمة في أسرع وقت ممكن.

بدأ كپلر أيضاً يتولى الترتيبات المالية لوالدته، إذ كانت ممتلكاتها لا تزال تحت سيطرة آينهورن. فطالب بالإفراج عن أموال كاترينا للتخفيف من ظروف حبسها[364]. واشتكى الحارس المدني من ضيق مسكنه الذي لا يصلح أن يكون سجناً، ولديه أطفال صغار. وإن بقيت كاترينا، فسيذهب. في النهاية، تقرر نقلها إلى غرفة في الطابق العلوي في إحدى بوابات مدينة غوغلِنْغِن، ثم تُقيَّد بسلسلة حديدية، ويراقبها أحد الحراس.

في منتصف نوفمبر، أفاد آولبر أن كپلر زار والدته بشكل متكرر. قدم آولبر أيضاً حججاً أخرى حول سبب احتياج كاترينا إلى المراقبة من قبل حارسين دائمين. فبينما كانت تتناول إحدى وجباتها طلبت من الحارس المدني الشاب أن يأتيها بماء. ثم وبخته لأنه لم يترك الباب مفتوحاً في أثناء ذهابه لإحضاره. قالت شاكيةً: «ما أسوأك من رجل حتى إنّك لا تثق بي على

الإطلاق». ظن آولبر أنها تحاول استعطاف الحارس من أجل التحضير لهروبها. وفي مرة أخرى، عندما أحضر الرجل عشاء كاترينا وسألها عما تفعله، يُزعَم أنها أجابته: «ماذا تظن؟ ها أنا ذي أرقد هنا. عزيزي، عزيزي، دعني أخرج، وسأعطيك 100 فلورن، وإن لم أعطك المال، فسأعطيك كمبيالة بقيمة 100 فلورن». ارتاب هو وحراس آخرون وبدؤوا يستجوبونها حول من أين ستحصل على هذا المال. يبدو أن كاترينا نفت الآن أنها قالت أي شيء، لكنها تعترف لاحقاً بأنها تلقت أموالاً من زميلة في سجن ليونبيرغ قبل إعدام تلك المرأة[365].

في ديسمبر، أدرك يوهانس كپلر أن آولبر استخدم هذه النُّتَف من «محادثات» كاترينا مع الحراس لإثبات طبعها الشرير. احتج كپلر قائلاً إن كل قول أخرق تقوله هذه المرأة العجوز ينقلب ضدها. كما اشتكى أيضاً من استخدام الحراس كميات كبيرة من الحطب حتى إنّها ستنفق ثروتها قريباً على التدفئة[366].

منذ نوفمبر، ظل آولبر يحاول الحصول على إذن من مستشارية الدوقية للحصول على دعم قانوني في الاتهام من خلال إشراك الدكتور ڤايِنماير من ليونبيرغ في المحاكمة لأنه يعرف ملابسات القضية جيداً[367]. كما قدم آولبر ملخصاً دقيقاً عن التهم. وقد استند في خطابه إلى فرضية مفاجئة: من المفترض أن تكون الأرملة «وحيدة». ومع ذلك، كما رأينا، لم تحاول كاترينا قط أن تعيش حياتها وحيدة. بل واظبت على السفر وزيارة منازل الآخرين واستقبال الضيوف. وهذا، في نظر آولبر، يجعلها خطرة. ثم عمل قائمة بكل من يظن أن كاترينا آذته، وعرض بإيجازٍ موجباتِ تعذيبها[368].

رداً على ذلك، أعد يوهانس كپلر، بعد محادثات مفصلة مع والدته المسجونة، وثيقة قانونية قوية وموجزة وواضحة للدفاع عنها. إذ شدد أن ممارستها النشاط الاقتصادي كانت بحكم الضرورة - بالضبط لأنها أرملة. بالإضافة إلى ذلك، تمتعت دوماً بسمعة طيبة قبل أن يشرع آل راينبولد في

تشويه سمعتها في الشارع وراحت «الشائعات تسري كالنار في الهشيم». وهذا يؤكد مدى خطورة هذه العملية التي لا يمكن السيطرة عليها. كما أن استنكار كاترينا لإساءة آل راينبولد لها يشير إلى سلامة طَوِيَّتها. وفي آخر زيارة إلى ليونبيرغ عام 1609، اطمأن كپلر بنفسه على سلوك والدته اللائق وسمعتها الطيبة. وذكر كپلر أيضاً أن كاترينا لم تضطر قط إلى دفع غرامة واحدة لمحكمة ليونبيرغ المحلية بتهمة الإساءة إلى شرف أي شخص. فكيف يمكن تعذيب شخص مثلها؟[369]

في تحول غريب للأمور، تبين أن المحامي في مستشارية شتوتغارت المكلف الآن بقضية كاترينا هو شقيق القس بِندر. طلب على الفور إعفاءه من واجباته لأنه أيضاً يعرف يوهانس كپلر معرفة وثيقة ويثق به، وقد أكل وشرب معه كل يوم تقريباً في پراغ[370]. لم يكن كپلر، حتى بالنسبة إلى أبعد الأقارب، كما رأينا، باحثاً منعزلاً عن الناس بل تربطه بهم روابط أسرية محترمة.

ومع ذلك، توترت الآن العلاقةُ مع شقيقه الأصغر كرستوف للغاية. أبلغ كپلر الدوقَ بصراحة أن التكاليف الباهظة لسجن والدته جعلت صانع الأدوات القصديرية في ليونبيرغ غاضباً. بل إن كرستوف زعم أن عودة يوهانس إلى ڤيرتمبيرغ للدفاع عن والدته ليس لها هدف سوى إفقاره، بما أن كلاً من أبناء كاترينا قدم ضماناً قانونياً لأي نفقات.

من الواضح أن يوهانس غضب من هذه المزاعم. فهو الوحيد الذي اضطر إلى تغيير حياته بالكامل ومهنته واجتثاث عائلته من جذورها. في أواخر نوفمبر، بعد شهرين في ڤيرتمبيرغ، شعر يوهانس سلفاً أنه فقد «كل سمعته» في وطنه. اكتأب وخشي أنه قد يضطر إلى المغادرة قريباً من غير تحقيق أي شيء سوى «اللوم والسخرية ووجع القلب»[371]. فهل حقق شيئاً؟

في 11 ديسمبر، قبل «الإجازات» الموسمية، رافق يوهانس كپلر والدته إلى قاعة محكمة غوغلِنْغِن في دار البلدية. قرأ الحاكم آولبر التهم، وأكد عزمه

على إجراء المحاكمة بسرعة. كرر آل كپلر حججهم، وشككوا في شرعية المحاكمة الجنائية. ثم أعيدت كاترينا إلى غرفتها وقُيِّدت بالسلاسل إلى الأرض. هكذا ستقضي عيد الميلاد - مسجونة في بلدة غريبة.

***

كما هي الحال في ليونبيرغ، أعدمت غوغلِنْغِن وحاكمها ساحرات في الآونة الأخيرة. ففي عام 1613، ترأس آولبر قضية أرملة من أهل البلدة تدعى ماريا ماير. في ذلك الوقت، لم يمض عليه في المنصب سوى عامين. كان لدى ماريا طفلان وكانت تكسب قوتها وقوت طفليها مما يَعرِض من عمل، مثل جز صوف الأغنام أو العمل في المطحنة. سمعها رجل تنتحب لنفسها على إحراق عدد كبير من الساحرات على يد أمير إلڤانغِن الكاثوليكي وأُسْقُفها. هل كانت متعاطفة معهن؟ في أثناء سجنها، اعترف ابنها البالغ من العمر خمسة عشر عاماً بأنه هو نفسه قد أبرم ميثاقاً مع الشيطان. علَّمه هذا الشيطان، الذي له هيئة رجل قبيح الوجه والعينين ولحية سوداء وقدما تيس، كيف يصنع الأرانب. كان كل من الأم وابنها يطير على مِذراة إلى إسطبل حيث تركب عجلاً ويضربه هو حتى يموت. كما وضعت الأم مرهماً على فم طفل لقتله. وقد شاهدا سبت الساحرات، وانضمت إليه أخته أيضاً.

رداً على اعترافات ابن ماريا المقلقة، قرر آولبر وقضاته المحليون تعذيبها. كان الجلاد الذي استخدموه لهذا الغرض ضالعاً في محاكمات الساحرات الأخيرة في بلدة ڤايهِنغن القريبة، وقد أحضر معه أداة خاصة لتعذيب الساحرات اللاتي يرفضن الاعتراف في البداية. مما لا ريب فيه هو أن هذه الاجتهادات لانتزاع الاعترافات تنتهك مقاصد قانون العقوبات الإمبراطوري. وُصِفت أداة التعذيب بأنها «حبل له أزرار» يُشَدُّ به الرأس. لم تعترف ماريا بأي شيء في الصباح، ولكنها عصراً سُحِبت «مرتين أو ثلاثاً» بحبل مربوط بمَحَالة. ذكر آولبر بحذر أن هذا حدث «من دون أن يجعل منها شهيدة بالضرورة».

آتى التعذيب غير القانوني أكله. إذ ما لبثت أن اعترفت ماريا على شريكتين في الجرم، كما سردت قائمة طويلة من الجرائم ضد الناس والماشية، على مدى سنوات عديدة، منذ أن زارها الشيطان عندما كانت فقيرة ومريضة. فذات يوم، شعرت أن الشيطان أيضاً تلبَّس جسد ابنها، كما تشعر تماماً أنه في فمها. صار كلاهما ينتمي بجسده وروحه إلى الشيطان الذي كان يأتي لرؤيتهما بهيئة مواطن أو فلاح أو كلب أسود. أصبحت لا تكف تقريباً عن الكلام الآن، وقد سجل الكاتب 35 اعترافاً. كانت التهمة الوحيدة التي نفتها هي حضور حفلات ترفيه صاخبة في سبت الساحرات. إذ أصرت أنها كانت «طوال حياتها كلها تكره الرقص»[372].

في 18 يوليو 1613، قرر محامو توبنغن أن ماريا ساحرة تستحق الحرق. وحاولوا جعل الإعدام أقل وحشيةً: إذ قرروا ربط كيس بارود صغير بالجزء العلوي من جسدها، بحيث يُقتلَع قلبها (مركز الإحساس) عند أول اتصال بالنار[373].

قبل بضعة أشهر فقط من وصول كاترينا، في يونيو 1620، حقق آولبر في تهمة أخرى ضد آنا هاوَر، وهي أرملة فقيرة. لم ترغب المرأة في الاعتراف بأي شيء، ولم ينتظر آولبر لطلب التعليمات من المستشارية، بل أخذ على عاتقه، هو والجلاد وقاضيان من أهل البلدة، «أن يتعاملوا معها بحزم أكثر قليلاً». كانت مستشارية شتوتغارت تتسامح مع مثل هذه التقارير الضبابية ولم تسأل قط عن الإجراءات بالضبط. أدت هذه المعاملة إلى اعتراف آنا بالعديد من حالات الأذى ضد الخنازير والعجول والخيول والثيران والأطفال على مدى عشر سنوات. اعترفت في بعض الأحيان أنها ساعدت الحيوانات، وفي أوقات أخرى ركبتها بوحشية حتى الموت. ساعدتها ثلاث نساء أخريات من أهل البلدة. وصفت آنا سبت الساحرات الذي حضره راقصان وسيمان، وقد اكتفت هي، معظم الوقت، بحمل الشمعة من أجل النساء الأخريات، لأنها «قبيحة وكبيرة جداً».

حرصاً على إجراء مزيد من التحقيق، كتب آولبر أو تحدث إلى أي شخص، قريباً أو بعيداً، زعمت آنا أنها آذته. تبين أن العديد من مالكي هذه الحيوانات يعتقدون أن المعلومات غير دقيقة. فقد مات عجل، على سبيل المثال، في وقت مختلف عن الوقت الذي ذكرته آنا في اعترافها. لكن آنا أصرت أنها فعلت بالضبط ما اعترفت به في البداية. علاوةً على ذلك، أعلنت أن مدة التزامها الموعود مع الشيطان على وشك الانتهاء، لكنها لن ترضخ له بل ستكافح للتخلي عن ميثاقها. في غضون أقل من شهر، أُغلِق ملف آنا وأرسل آولبر تقريراً نهائياً إلى مستشارية الدوقية. وعلق على التناقضات بين اعترافاتها والنتائج التي توصل إليها، وأضاف أنها ألمحت إلى أفعال أخرى وسمَّت خمس ساحرات أخريات من غوغلِنْغِن. في 3 يوليو 1620، أصدر ستة من المستشارين الدوقيين والمستشار الأعلى أوامرهم لآولبر ليباشر الخطوات النهائية للمحاكمة. قبل أسابيع قليلة من وصول كاترينا كپلر إلى غوغلِنْغِن، كوَّم أحد الجلادين الحطب لآنا هاوَر لحرقها وهي حية على العمود.

ومع ذلك، لم يكن آولبر ولا آينهورن من صيادي الساحرات المتحمسين. أبلغ آولبر الدوق أن من بين النساء الخمس من أهل البلدة اللاتي زعمت آنا أنهن ساحرات، لا يجدر التحقيق إلا مع واحدة منهن، إذ لم يذكر أحدٌ الأربع الباقيات بسوء. أما عن زوجة كيفرلِن فقد كتب: «إنها عجوز سيئة والجميع يشتبه بها منذ زمن بعيد، وقد اتُهمت في الآونة الأخيرة علناً بإيذاء حصان. علاوةً على ذلك، ورطتها منذ سنوات عديدة العديد من الساحرات اللاتي قُدِّمن إلى العدالة في شتوركهايم».

يتبع هذا الجزء من الإجراء قانون العقوبات الإمبراطوري وما هو مُتَّبع في ڤيرتمبيرغ، وكلاهما ينص على أن شريكات الساحرة لا يخضعن لمزيد من التحقيق إلا إذا كن من ذوات الصيت السيئ[374]. وافقت المستشارية وأصدرت أوامرها باستجواب زوجة كيفرلِن، لكن ليس بين يدينا اليوم مستندات عن هذا

الاستجواب. فمن المرجَّح أن القضية إما ما زالت قيد التحقيق مع وصول كاترينا إلى غوغلِنْغِن، وإما أن المرأة قد أُحْرِقت بالفعل خلال شهر يوليو[375].

***

أما في ليونبيرغ، فقد ظلت الشائعات تسري طوال فصل الخريف. قال بعض الناس إن كاترينا ستُعذب وستُقدَّم في النهاية إلى العدالة. وقال آخرون إن آل راينبولد قد يواجهون عقوبة شديدة. ولذلك شعر الزجّاج راينبولد بالتوتر وواظب على زيارة الحاكم آينهورن ومحاميه ڤايِنماير لمعرفة أي أخبار حتى إنّ ڤايِنماير كتب في 17 ديسمبر إلى صهره آولبر لعله يخبره بما كان يجري. وقد وعد بأن يحتفظ بأي معلومات لنفسه «كالرجال» وأن يدفع لآولبر «مهنياً» مقابل هذه الخدمة متى شاء[376]. ووعد بالتستر على أي فساد.

مر عيد الميلاد وبدأ عام جديد. في 8 يناير 1621، مثَّل يوهانس كپلر وهانز غولدِنمان، ابن عم كاترينا ورئيس بلدية قريتها الأصلية، إلتِنغِن، كاترينا كپلر بصفة شاهدين. وقد استُجوِبا لأول مرة في إطار المحاكمة الجنائية التي بدأت في الوقت نفسه في ليونبيرغ. في 16 يناير، استُجوِب شهود آخرون في غوغلِنْغِن، في غرف فوق حانة، لأن قاعة البلدية كانت حافلةً بأعمال أخرى. ناب عن كاترينا يوهَن روف، المحامي المدني في غوغلِنْغِن. أما كرستوف كپلر فقد رفض حضور أي جلسة.

كان الجو مشحوناً. عندما أراد يوهانس كپلر في ليونبيرغ مناقشة القَسَم الذي سيحتاج الشهود إلى أدائه، تلقى توبيخاً حازماً، وقيل له إن الأمر لن يسير وفقاً لهواه. كالعادة، ذُكِّر الشهود بأن كل من يكذب سيفقد حياته الأبدية. تحدث كپلر مرة أخرى، مشدداً أن «حياة [أمه] وصحتها وشرفها ومشاعرها» على المحك.

بعد طلبات كپلر المتكررة، رفع الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم في جلسة استماع غوغلِنغِن ذراعاً واحدة وثلاث أصابع لأداء اليمين المُغلَّظ المناسب. قيل

لهم إنهم بذلك يستعينون بقوة الله وابنه والروح القدس لقول الحق. وإلا فإن الله وسلطاته الزمنية سيعاقبون، بثلاث طرائق مرعبة، كل من يشهد زوراً: إما تُقطع أصابعهم أو ألسنتهم على رؤوس الأشهاد؛ وإما يُستبعَدون من أي جماعة محترمة؛ وإما تُلعَن حياتهم وأرواحهم.

ثم عُرضت على كل شاهد قائمة بالأسئلة التي وضعها كپلر من أجل إثبات أن اتهامات آل راينبولد قد تسببت في مسار سخيف من اللوم الزائف. راجع كپلر نسخته من جميع الشهادات السابقة، وركزت عينه المدربة جيداً على الأدلة غير الكافية. على سبيل المثال، من أسئلته لبُويْتِشپاخَر، مدير المدرسة الأعرج: 1) «أنّى له أن يعرف أن المشروب هو سبب أعراضه؟» 2) «ألم يقفز كثيراً قفزاً خطراً ويحمل أحمالاً ثقيلةً؟»

يبدو أن عالم الرياضيات استخدم العديد من محادثاته مع كاترينا في أثناء سجنها للتعرف على أهل ليونبيرغ وحكاياتهم وعاداتهم. وقد علم منها أن بُويْتِشپاخَر لم تُعرض عليه وظيفة مدير المدرسة إلا بعد مرضه. أما قبل ذلك، فكان يقوم بعمل بدني كثير. علاوةً على ذلك، أثبت كپلر أن والدته فعلت ما فعله العديد من الرجال والنساء الآخرين بذهابها إلى منزل الخباز والطلب من زوجته أن تشوي لها بعض اللحم في الفرن الذي كان مُوقَداً في كل الأحوال. وهكذا حصل يوهانس من أمه على قدر هائل من التفاصيل.

أجرى يوهانس كپلر تقويمه الخاص لطريقة والدته في إبداء مشاعرها أو إخفائها. فقد قال إن طبيعتها هي ألا تُظهِر الكثير من تعابير وجهها، مهما كانت سعيدة أو جادة، ولا سيما عندما تُجادل. فهي لا تنظر أبداً في عيني أي شخص عند الشجار، لكنها تواجهه من الجانب في محاولة لتركيز أفكارها. وأكد كپلر أن والدته جريئة وشجاعة في استعدادها لمواجهة أي شخص يتحداها، وأن من عادتها أن تتعامل مع التعليقات الظالمة برفضها إما بإيماءة وإما بالكلام. وخَلُص إلى القول إنه لم يرَ أحدٌ والدته تبكي.

كان يوهانس كپلر الوحيد من أبناء كاترينا الذين بلغوا من العمر ما يكفي لتذكر كل هذا من مشاهدة والديه يتشاجران عندما كان صبياً صغيراً. كان يعرف من كثب، أكثر من أي شخص آخر، خشونة كاترينا التي تبدت في كثير من الأحيان في حياتها الزوجية المضطربة. صحيح أنه لاقى عنتاً بسبب هذا الجانب من شخصيتها، إلا أنه أيضاً جعله فخوراً. فمنذ أن راح الابن الأكبر يتأمل في الأبراج، رأى جوانب منها في نفسه. وقد كشف النص الذي كتبه عن كاترينا في كتابه «تناغم الكون» (1619) عن حاجته الملحة إلى النأي بنفسه عنها عاطفياً في أثناء إقامته معها في المنزل. أما الآن فقد صارت كاترينا تجلس على أرضية من الحجر، أو ربما على كرسي واحد، مقيدةً بسلسلة حديدية، ولا تُعَوِّل على أحد سواه. ولما أطلعته على تفاصيل حياتها اليومية، يبدو أن يوهانس أدرك قيمة والدته بسهولة. فهو لا يزال يتماهى مع مرونة المرأة ذات الشعر الأبيض، وإصرارها على ما تعتقد أنه الحق. وتبين له أنها في السنوات الماضية تصدت بقوة للعديد من الرجال في ساحة السوق لتسألهم لماذا يشيعون أنها ساحرة «وبهيمة». تصدى كپلر في حياته هو أيضاً لخصومه بعنادٍ.

ومع ذلك، ظل كپلر ينتابه شعور بالتناقض العميق. ففي كتابته نيابةً عنها، قال مرة أخرى إن جسدها المترهل مثير للاشمئزاز ويكاد يكون غير إنساني. أعار الحراس للمرأة الدرداء سكين جيب مكسورة لتقطيع اللحم إلى قطع صغيرة كي تتمكن من بلعها من دون مضغ. منذ بداية القضية، ظن كپلر أن جسدها هو السبب الأساسي لمخاوف الناس ونفورهم منها، في معركة الشباب ضد المسنين. لا بد أنه قرأ الأدب الكلاسيكي الذي صور الترهل الجسدي للمرأة تصويراً بشعاً ولا بد أنه قابل أيضاً عدداً من النساء الأكبر سناً اللاتي اعتنين بأنفسهن أكثر. أما زوجته فكانت شابة وخصبة، نضرة ووضيئة.

يبدو أن نفور كپلر من جسد المرأة المسنة لم يكن يشاطره فيه كل الناس، أو على الأقل ليس مشاطرةً واعيةً. على سبيل المثال، رفض يوهَن بيرنهارت بُك، القس المعين حديثاً في ليونبيرغ، زعم أن عمر كاترينا ومظهرها

قد أسهما في اتهامها. إذ قال رجل الدين البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً إن العديد من كبار السن «غير اللائقين» جسدياً يعيشون في المدينة، لكن لم يشتبه أحد بارتكابهم أي مخالفة. وأكد أن أهل البلدة يحكمون على سلوك الناس لا على مظهرهم.

بالرغم من مكانة عالم الرياضيات، اعترف بُك في المحكمة بصراحة أنه انحاز إلى جانب آل راينبولد، ذلك لأنهم بدوا له «أناساً أفضل» من آل كپلر. باتت أورزُلا الآن مُقعَدة، وهو يزورها ليناولها القربان المقدس. وكان في كل مرة يُذكِّرها بضرورة مسامحة أعدائها قبل أن تتناول جسد المسيح وتشرب دمه، لكنها ظلت «تصرخ» مطالبةً بعدالة الله وانتقامه[377]. ومع ذلك، بدا القس متفهماً لا مصدوماً. كانت أورزُلا راينبولد قانطة بسبب الألم المزمن وتُداري عجزها بالعدوانية والضغط على الرجال لمساعدتها. كانت في حالة غضب وتعرف كيف تحصل على دعم العامة. فقد أفاد رجل أنها صرخت من نافذتها قائلةً إنه لم يُسبب لها هذا الألم سوى كاترينا[378]. كانت الشوارع بمثابة المستمع الناصح لها، كما أن قليلاً مما يُقال بصوتٍ عالٍ في البيوت الحديثة يظل حديثاً خاصاً.

علاوةً على ذلك، يمنح قانون العقوبات الإمبراطوري وزناً قانونياً للضحية التي تظل تتهم شخصاً إلى الممات، ولهذا فيما يبدو ظلت أورزُلا توجه اتهاماتها من سريرها كما لو كانت على وشك الموت. كان زيفرِن شتال، أحد القضاة العاديين الثلاثة الذين حضروا آخر استجواب لكاترينا في ليونبيرغ، أحد جيران آل راينبولد. وكثيراً ما سمع هذا الجارُ البالغ من العمر واحداً وأربعين عاماً أورزُلا وهي تتألم ليلاً أو كلمات زوجها وهو يخفف عنها. وفي إحدى المرات توسلت غاضبةً إلى الزجّاج أن يطعنها بسكين لأنها لا تستطيع تحمل الألم. كانت تشعر كأنها حبيسةٌ في جسدها. وكثيراً ما تحدث شتال إلى الزجّاج وأعرب عن «تعاطفه الكبير» مع الزوجين، لكنه لم يعتقد أن هذا سيؤثر في

حياده في المحكمة. كما اتفق مع القس بُك: ما أثار الشكوك في كاترينا لم يكن سِنّها، بل حركتها الدائبة التي لا تنقطع واقتحامها بيوت الناس[379].

أكد قاضٍ آخر أن كاترينا ظلت مُطرقة إلى الأسفل أو تشيح بنظرها وهي تواجه الشهود، وعيناها تتحركان بقلق. بدت مصدومة من التهم، لكنها لم تذرف دمعة واحدة. بدا هذا أمراً غريباً في ثقافة يطالب رجال دينها يوماً بعد يوم بضرورة تأثر القلوب. لم يكن المذهب اللوثري مذهباً عقلانياً، إذ خلق دراما عاطفية خاصة به حول صورة الله الأبوي. فحين كان كپلر طالب لاهوت في توبنغن، استمع إلى محاضرات وخطب لياكُب هيربراند ويوهَن غِيورغ زِغڤارت اللذين أعلنا أن الله إذا غضب أرسل الكوارث الطبيعية لأنه يريد أن يبكي أبناؤه طلباً للرحمة. وكما قال هيربراند ذات مرة إن هذا الإله المنتقم يريد أن يرى «الدموع الساخنة وهي تنبع من القلوب التائبة النادمة وتجري على الخدين»[380]. فالحزن يجعلك إنساناً ومتحضراً.

كانت الدموع أمارة اهتمام الأم بأبنائها. على سبيل المثال، علق الطبيب السويسري والكاتب الإنساني الشهير توما پلاتّيه عن وداعه هو وإخوته لأمهم الفلاحة: «لم أر أمي تبكي قط باستثناء مرة واحدة ودَّعناها فيها. كانت امرأة شجاعة، رجولية، لكنها قاسية». ظل پلاتّيه وإخوته يجوبون ألمانيا قبل أن يستقروا. تزوجت أمهم ثلاث مرات ثم ترملت ولديها أطفال صغار. قال پلاتّيه:

كانت تعمل مثل الرجال حتى تتمكن من تعليم أطفالها بشكل أفضل. كانت تعزق الأرض وتدرس البيدر وتقوم بأعمال أخرى تخص الرجال أكثر من النساء، كما دفنت بنفسها ثلاثة أطفال ماتوا في أثناء طاعون كبير، لأن استئجار حفار قبور في أثناء الطاعون مكلف جداً.

يتذكر پلاتّيه عودته إلى المنزل بعد خمس سنوات. وكل ما سألته أمه هو: «هل جاء بك الشيطان؟» فمكث بضعة أيام، ثم تركها للعزق والدراسة، ومع

ذلك لم ير قط رابطاً بين خشونتها وشوقه إلى المحبة وبين حاجة أمه الأرملة التي لا لبس فيها إلى مساعدة أكثر من أبنائها البالغين[381].

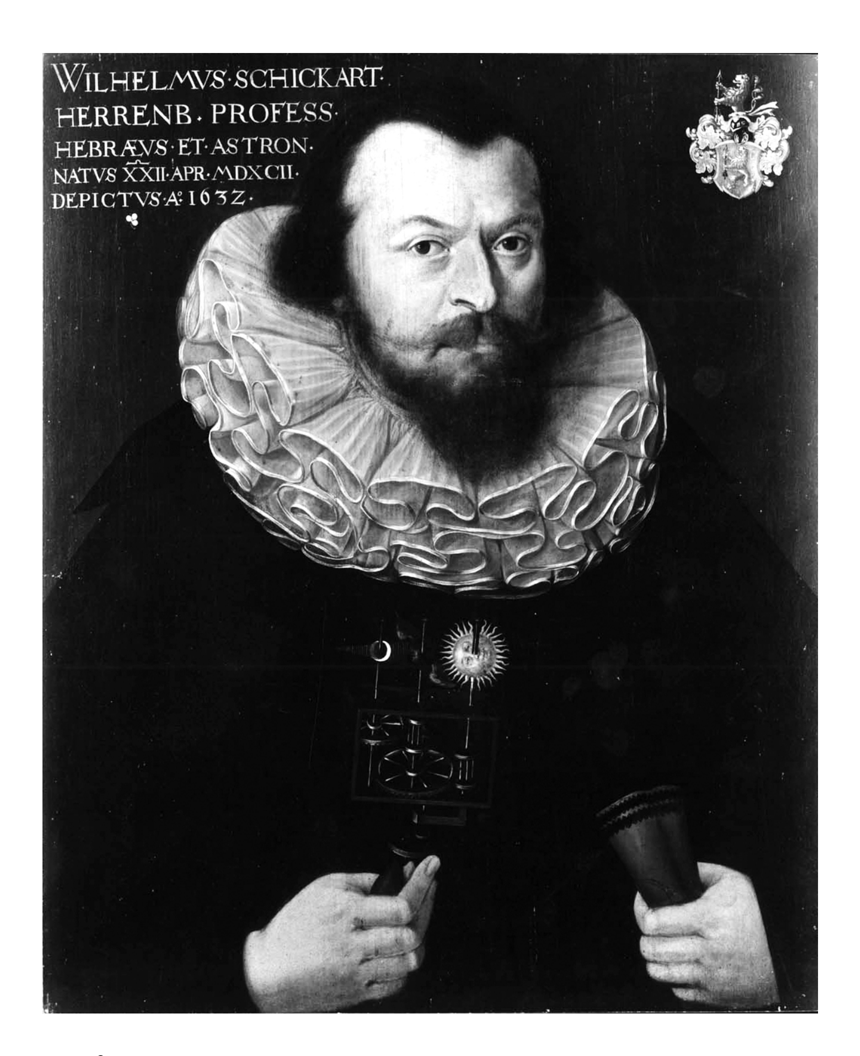
لم ترغب كاترينا في مسايرة الرجال حول متى وكيف تعبر عن مشاعرها. ومع أن القاضي خاطبها باسم «كاتي» (كاترلِن)، ثم تباسط معها أكثر في النهاية، قائلاً: «إن كان لديك ذَرَّة من تُقى، فدعي عينيك تفيضا بالدموع»، فردت: «لقد بكيت كثيراً حتى إنّني لم أعد أقوى على البكاء». بعد ذلك، وعدت بأنها ستطلب الانتقام يوم القيامة[382]. شعرت بالغضب لا بالحزن، ورفضت أن تتخاذل. ولعل رفضها البكاء هو طريقتها للحفاظ على كرامتها وقوتها لتشهد نهاية المحاكمة.

11

المُرافَعة



الصورة 25. في هذه الصورة من معرض أساتذة توبنغن لسنة 1619 يبدو مِستلين رجلاً عجوزاً. كان مِستلين معاصراً لكاترينا كپلر. © أرشيف جامعة توبنغن.



الصورة 26. صديق كپلر الأصغر وشريكه الأكثر إلهاماً خلال وقت المحاكمة، ڤِلْهَلم شِكارد، المتعدد المواهب الذي يُفلسف الأمور «بعقله ويده»، ممسكاً بآلة فلكية وعليها رمز شمس كريمة، وقد استخدمها أيضاً لعمل النقوش الخشبية في أعمال كپلر (انظر الصورة 4). © أرشيف جامعة توبنغن.



الصورة 27. المحامي كرستوف بِزولد كما صوره صديقه ڤِلْهَلم شِكارد عام 1618، ويتضمن هذا الرسم صورة إيجابية للأمومة من خلال قصة رمزية عن الكرم على اليسار. © أرشيف جامعة توبنغن.

12

انتهاء المحاكمة

لم يكن السحر وتعامل القانون معه غريبين قَط على المجال الفكري لكپلر. على سبيل المثال، كان صديقه وعرّاب ابنه لودڤِغ، يوهَن غِيورغ غودِلمان (1559-1611)، وهو محام نشأ في ڤيرتمبيرغ، «أعظم الخبراء القانونيين الپروتستانت في السحر». كان غودِلمان، بصفته دبلوماسياً سكسونياً، يزور پراغ بانتظام[428]. ولما كثرت محاكمات الساحرات في ثمانينيات القرن السادس عشر، أصر على ضرورة الامتثال للإجراءات القانونية النظامية، كما ينص قانون العقوبات الإمبراطوري، إذ لا يمكن معاملة السحر كجريمة استثنائية، ويلزم إثبات التهمة بشكل جيد، كما يلزم وجود شاهدين موثوقين قبل تعذيب أي مشتبه به. كرر غودِلمان الموقف اللوثري بأن الأمر متروك لله للفصل بين الصالح والطالح. لقد أزعجته رؤية «الجماهير» وهم يهتفون «إلى العمود!» إذ كان العديد من المشتبه بهم ضعفاء حتى إن خوفهم من التعذيب دفعهم إلى الاعتراف. فلا بد من استشارة الخبراء القانونيين بأي ثمن[429]. تُرجمت أطروحة غودِلمان التي نشرها سنة 1591 عن السحر والشعوذة والساحرات على الفور إلى الألمانية عام 1592 وأُعيد نشرها عدة مرات. وفيها حاجّ أن اجتماعات سبت الساحرات، أو العبث بالطقس، أو التحولات الجسدية مستحيلة. لذلك لا ينبغي أن تخضع هذه الأنشطة للاستجواب القانوني. لم يكن هناك جيش من الساحرات يجب محاربته. لا أحد

يتسبب في أذى حقيقي سوى بعض الساحرات لأن الشيطان له سلطان على «النساء المسنات، المرهَقات، الغبيات، الجاهلات» اللاتي تلقين تعليماً ضعيفاً في الدين المسيحي. هكذا ميّز غودِلمان بين المشتبه بهن اللاتي يعانين من خداع الذات ويحتجن إلى معالجة طبية، وبين من عقدن ميثاقاً مع الشيطان من غير إيذاء أحد، وهؤلاء برأيه، لا يستحققن عقوبة الإعدام، وأخيراً بين مجموعة صغيرة من المجرمات الخطرات اللاتي دخلن في ميثاق مع الشيطان، وارتكبن إثما حقيقياً بمساعدة الشيطان ويستحققن الموت[430]. في عام 1610، كتب غودِلمان إلى كپلر من درسدن ليستعير منه كتاب مارتن دِل رِيو «تحقيقات في السحر»، وتكشف رسالة من كپلر إلى جيمز الأول أنه هو وغودِلمان ناقشا حجج الملك الإنجليزي الصادمة بأن السحر يمكن إثباته بما لا يقبل الشك من خلال إخضاع المشتبه بهم لمحنة الطفو على الماء. كان جيمز الأول قد نشر كتابه «دراسة الشياطين» في عام 1597 زعم فيه أن شر الساحرات قد استطار بشدة أكثر لأن العالم يقترب من نهايته. التزم الملك بالفكرة الكالڤينية القائلة إن الجميع باستثناء الصفوة الأخيار يحملون صورة الشيطان لا صورة الخالق. ومن غير المرجح أن تكون النساء من بين الصفوة. فكما خُدعت حواء من قبل الحية، فقد أثبتت النساء أنهن الجنس الأضعف، وهو ما يفسر بدقة سبب وجود ساحر واحد فقط من بين كل عشرين ساحرة. حاجَّ جيمز بأن الطفو اختبار مثالي، لأن «الماء سيرفض أن يستقبل في حضنه من نفض عنه ماء المعمودية المقدس»[431].

قرأ كپلر، وناقش على الأرجح، هذه الموضوعات المثيرة للجدل مع أصدقاء آخرين كان عليهم التعامل معها بصفتها مسألة عملية ملحة. كان أبرز هؤلاء الأصدقاء يوهَن غيورغ هيرڤارت فُن هُوِنبورغ (1553-1626)، الذي عُيِّن مستشاراً أعلى لباڤاريا عام 1590، وهو محامٍ وكاثوليكي ملتزم وعالم فلك بارع وفقيه لغوي كلاسيكي ومؤرخ وعالم رياضيات وراعي كپلر لسنوات عديدة. ظل هونبورغ يساند الفريق المناهض لمطاردة الساحرات في مجلس

البلاط الباڤاري. لعقود من الزمن، ظل دعاة مطاردة الساحرات العنيفة وخصومهم يتجادلون بمرارة. فبين 1601-1604، أنشؤوا منتدى دولياً للمناظرات في محكمة ميونيخ وجامعة إنغولشتات[432]. ظلت مسألة هل ينبغي إجراء محاكمات السحر وفقاً للمتطلبات الصارمة لقانون العقوبات الإمبراطوري أم لا في قلب هذه المناقشات المحتدمة. حاجَّ المؤيدون للاضطهاد المتواصل بأن الله قد يعاقب القضاة والحكام المتساهلين. وأصروا أن وشاية ساحرة واحدة بغيرها دليل موثوق ينبغي أن يؤخذ به ويسوِّغ تعذيب المشتبه بهن[433]. وفي النهاية، فاز الطرف المعتدل، ونفذ السياسة التي تنص على أن إجراءات المحاكمة الباڤارية تخضع لمحاذير قانون العقوبات الإمبراطوري. وقد طور آدم تانر، وهو يسوعي وأحد كبار دعاة المعتدلين، فكرة العدالة القانونية هذه في قضايا السحر لسنوات عديدة، حتى نشرها أخيراً في إطار مشروعه اللاهوتي الأخلاقي عام [434]1627.

***

في عام 1621، عندما كان كپلر يُعِد مرافعته في توبنغن، لم يكن بالإمكان الإشارة إلى العديد من هذه الأصوات النقدية المبكرة باقتباسها من الكتب. ومع ذلك، أصر على إجراء قضائي معين في المحاكمات - أي، الإجراء الشكلي المنصوص عليه في القانون الروماني الذي يطالب بضرورة تقديم جميع المستندات كتابةً. كانت هذه لفتة عبقرية، إذ وضعت كل الأدلة في متناول الدفاع وسمحت لكپلر استعمال أدواته المعتادة في غربلة النصوص. كانت الاستجوابات من التفصيل حتى إنّ كپلر لم يعد قادراً على تقديم تحليل دقيق للقضية. بينما حدد التماسه لعام 1617 ثلاثة أسباب عامة مترابطة لاضطهاد والدته: 1) العداء لأمه بسبب وضعها الاجتماعي لكونها أرملة؛ 2) مخاوف ثقافية منتشرة تستهدف العجائز؛ 3) حاكم جديد متحفِّز للتصرف. أما الآن، فقد بات كپلر، لكي يقدم مرافعة فعالة، بحاجة إلى ضرب مصداقية كل

شاهد بإعمال الاجتهاد القانوني. وقد استخدم وقائع معينة استمدها من فحصه الدقيق للأدلة.

بات تمحيص «الأمور نفسها» المعزز بالحقائق يلقى دعماً متزايداً في جميع المجالات الفكرية[435]. وكان لكپلر من تعليمه نصيب في تقوية صبره على تأمل التفاصيل، لذلك لا يستطيع أي من مستندات المحاكمة أن يبعث الملل في نفسه. فقد اعتاد تمشيط النصوص الأدبية والعلمية من كثب طوال حياته، يحدوه شغفُ عالِم الإنسانيات بالتحليل اللغوي الدقيق بالإضافة إلى متعة التكلف الجديدة في الحفاظ على مرونة العقل من خلال الألغاز والأحاجي والدعابات الخفية وحُسن التعليل المعقد والتلاعب بالكلمات المجازية. كان غاليليو، على سبيل المثال، شغوفاً بخلط الأحرف أو تأليف التقاليب لتعمية اكتشافاته الجديدة. ففي عام 1610، حيَّر علماءَ الفلك بمسكوكه اللفظي العجيب هذا (Smaismrmilmepoetaleumibunenugttaurias) الذي يتكون من تقاليب يروي من خلالها أنه لحظ أعلى كوكب ثلاثي الشكل، إذ إن زُحَل لم يبدُ كوكباً واحداً بل بدا مكوناً من ثلاثة كواكب متقاربة جداً[436].

هذا التدريب جعل كپلر يهتم بالتفاصيل والتناقضات في الشهادات، وهي مهارة صقلها أيضاً في دحض خصومه الأكاديميين. فقد علَّمه الشغف الجديد بالتجارب والملحوظات كيف يقوِّم من يفكر، وبأي نوع من الحُجِّية والمقاصد، في حالة معينة، لإنتاج نوع معين من البيانات. فإن كانت هناك حاجة إلى التاريخ وفقه اللغة لتقويم البيانات التي قدمها الكتّاب القدامى، فإن السياق الاجتماعي ضروري لتقويم الحجج العلمية المعاصرة حول الظواهر الطبيعية الفردية مثل المذنَّبات.

تفسر هذه العادات الفكرية سبب تمحيص كپلر للشهادات بدقة لتحديد أيها يمكن الاعتماد عليه. فقد كان من المهم لأي فيلسوف طبيعي أن يعرف إن كان الشخص الذي يراقب المدارات، على سبيل المثال، ذكراً أم أنثى، مهمشاً

اجتماعياً، أم مدفوعاً بمصلحة ذاتية ويشتهر بعيوب أخلاقية كبرى، أم على النقيض من ذلك، إن كان يتمتع بمكانة اجتماعية راسخة ولديه خبرة طويلة في مجالات معينة من المعرفة. أصبحت هذه الرؤى المستمدة من العلوم الإنسانية والتأويلات القانونية التي صيغت في العصور القديمة مهمةً بالقَدْر نفسه في التاريخ الطبيعي، وتفسر لماذا كان كبار المفكرين يحرصون على ترك انطباع إيجابي لدى الآخرين من خلال مراعاة الآداب واللياقة. فالطريقة التي يتحدثون بها، وماذا يلبسون، وكيف يكتبون، ومع من يتعاونون، وماذا ينشرون، كل هذه تولد الثقة في سلوكهم السوي والأخلاقي، وجوهرهم الفكري، وتؤيد استحقاقهم للأصالة.

في كتاباتهم الفعلية، اعتمد خيرة فلاسفة الطبيعة بعد ذلك على المناهج القانونية للحِجاج بإقناعٍ عمن يستحق الثقة. فقد حاولوا إنهاء السجالات غير المثمرة حول ما هو صحيح أم لا في القضايا الشائكة من خلال التوصل إلى إجماع حول الاستنتاجات المعقولة. ربطت هذه المناهج «العلم بالبحث والرياضيات بالآداب»[437]. ولهذا السبب لم يقرأ كپلر الوثائق الخاصة بقضية والدته فحسب، وإنما استمع أيضاً إليها باهتمام حين كانت في سجن غوغلِنغِن، ووصفت له التصرف الطبيعي في عالمها، وكيف تفعل أرملة من ليونبيرغ ما يليق بأرملة. لم ينحدر كپلر من حياة فكرية راقية إلى تفاصيل قذرة لمحاكمة جنائية. بل إن سنوات الحِجاج التي قضاها يدافع عن قضاياه العلمية قد هيأته لعرض مرافعة فعالة خارقة للعادة.

***

أولاً، هاجم كپلر في مرافعته القانونية المطولة قدرة العديد من الشهود الذين استُجوبوا في يناير على الإدلاء بشهادات موثوقة، إذ كانوا بكل وضوح صغاراً لا يعتمدون إلا على ما يُشاع عن والدته. ومن المتطلبات القانونية القوية أن تكون السمعة السيئة مثبتةً جيداً قبل توجيه الاتهام. علق كپلر ساخراً أن بُك، قس ليونبيرغ الجديد، أبدى «تشوقاً مثيراً للعجب كأنه عمل في محاكم

التفتيش لسنوات عديدة»[438]. فسأل: هل تختلف العدالة اللوثرية حقاً عن أي محكمة كاثوليكية؟ بدا تحيز القس الشاب واضحاً، إذ رفض تقديم القربان المقدس لكاترينا كپلر، لكنه زار أورزُلا راينبولد في منزلها ليناولها هذا القربان، مع أن هذه الأخيرة كانت تَقْطُر كراهيةً. والدين المسيحي يحضك على أن تغفر لأعدائك. كان الشهود الآخرون، مثل بُك، متحيزين ومليئين بالحسد والكراهية، ولذلك لا يُعْتَدُّ بشهادتهم.

أما عن أورزُلا راينبولد، فقد قال كپلر إنها امرأة تؤمن بالخرافات، لا مبالية، مشاكسة، أنانية، لا تفهم العِلَل الطبيعية، وهذا يعني ضمناً أنها لا يحق لها الحديث في تحقيق جرى وفق الأصول. فقد تناولت أدوية غير مناسبة، لكنها عَزَت أعراضها إلى «الساحرات المتخيَّلات». بعد ذلك، استخدمت شبكتها القوية لنشر الشائعات بين أصدقائها من عِلْية القوم ووضعائهم كذلك. وهكذا تحولت تهمة التشهير المدنية التي وجهتها كاترينا ضدها إلى محاكمة جنائية أصبحت فيها كاترينا نفسها الآن هي المتَّهَمة وتواجه التعذيب على أساس شكوك غامضة. لكنها لم تعترف قط بأي جريمة. كان لا بد من التعامل مع مسائل الحياة والموت هذه بصرامة قانونية كاملة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه قد يخطئ حتى «أعقل الرجال». ثم استشهد بثلاثة معلقين قانونيين بارزين باللاتينية للقول بأنه لا تعذيب إلا بأدلة كافية. بالإضافة إلى ذلك، حاجَّ كپلر بأن قانون العقوبات الإمبراطوري يطالب بشهادة شاهدين محايدين في جرائم الإعدام هذه، ووفقاً للخبراء القانونيين، يجب أن يكون هؤلاء الشهود وجميع الشهود الآخرين من الرجال، لأن النساء أكثر سذاجة وميلاً للخرافة والتقلّب[439].

إذن، لم يكن هذا دفاعاً عاماً عن النساء، بل حجة تُفاضِل بين النساء «الصالحات والطالحات» بناءً على أخلاقهن الجنسية المزعومة - وعلى عادة كپلر، تؤكد أن عقل المرأة عموماً أدنى من عقل الرجل. ولكي يؤسس كپلر مرافعته على أدلة واقعية من شهود ذكور أرفع مقاماً، أمعن النظر في

الإفادات وأشار إلى شهادة العجوز هانز بُويتلشپاخر والسرّاج ميخائيل شتال، وكلاهما من أعضاء المحكمة المرموقين ويبلغان من العمر ما يكفي ليعرفا كاترينا معظم حياتها. (في الحقيقة، كان شتال يعيش في المنزل الواقع في ساحة السوق الذي سكنته كاترينا وهاينرش عندما انتقلا لأول مرة إلى ليونبيرغ)[440]. لم يظن هذان الرجلان قط أنها امرأة سيئة. وهذا يؤيد حجة كپلر بأن شائعات راينبولد وحدها هي التي جعلت الآخرين يحمِّلون كاترينا مسؤولية مصائبهم، وأن هذه العملية لم تكتسب زخماً إضافياً إلا مع بدء جلسات الاستماع القانونية. وهذا يفسر لماذا اتُّهِمت كاترينا بعد ذلك بالتسبب في أعراض الناس من خلال الشعوذة حين مرت بشخص أو زارت منزله. اعتمد كپلر مرةً أخرى على العديد من المعلقين القانونيين الذين حاجُّوا بأن هذه الاتهامات لا تُعَدُّ دليلاً موثوقاً به، وأنه لا بد من اعتقاد غالبية السكان المحليين بأن فلاناً ساحر قبل نشر الشائعات من طرف واحد[441].

تمسك عالم الرياضيات بقوة بقانون العقوبات الإمبراطوري. وذكر أنه لم تَدَّعِ امرأة واحدة ممن أُدِنَّ محلياً أن كاترينا ساحرة مثلها، مع أن العديد منهن تعرضن لتعذيب شديد. ووفقاً لقانون العقوبات، تشكل وشاية الساحرات دليلاً قوياً[442]. ثم انتقل بعد ذلك إلى نقد مهم للتعذيب غير القانوني. أوضح كپلر أنه حصل على معلومات حول كيفية معاملة هؤلاء المشتبه بهن بعنف شديد: «لقد انتُزِع منهن كل ما يعرفنه عن أنفسهن وغيرهن من خلال إخضاعهن لألم لا يطاق وعذاب شديد». ومن الأشياء الصادمة التي كشفها هو أن إحداهن فقدت إبهامها «بالتعذيب الهمجي» بالمسامير التي تُدَق في الإبهام. كانت الممارسة الأشْيَع المسموح بها قانوناً في ڤيرتمبيرغ في ذلك العصر هي خَلْع جسد المرأة برفعها على مَحَالةٍ بدلاً من دق المسامير في إبهامها. زعم كپلر أيضاً أن هذه المرأة استُجوبت بعد ذلك بصورة غير قانونية عما إذا كانت كاترينا ساحرة. تُرى، هل حصل كپلر على معلومات عن مارغريتا فرِش، عجوز

ليونبيرغ، وهل كان تعذيبها الهمجي هو سبب وفاتها في السجن بهذه السرعة في يناير 1620 بعد استجوابها الأخير؟

علاوةً على ذلك، حاجَّ يوهانس كپلر بأن دخول منازل الناس (كما كانت تفعل والدته) شيء، وممارسة السحر شيء آخر. وأي ربط بين هذين الشيئين سيجعل أي عجوز ثرثارة ومكروهة في كثير من الأحيان عرضة لهذا الاتهام غير المعقول. هذا الإصرار على أن يتوافق أي نفور عام من سلوك امرأة ما مع أسباب محددة للاشتباه بأنها تمارس السحر كان حجة قانونية كبرى للحذر.

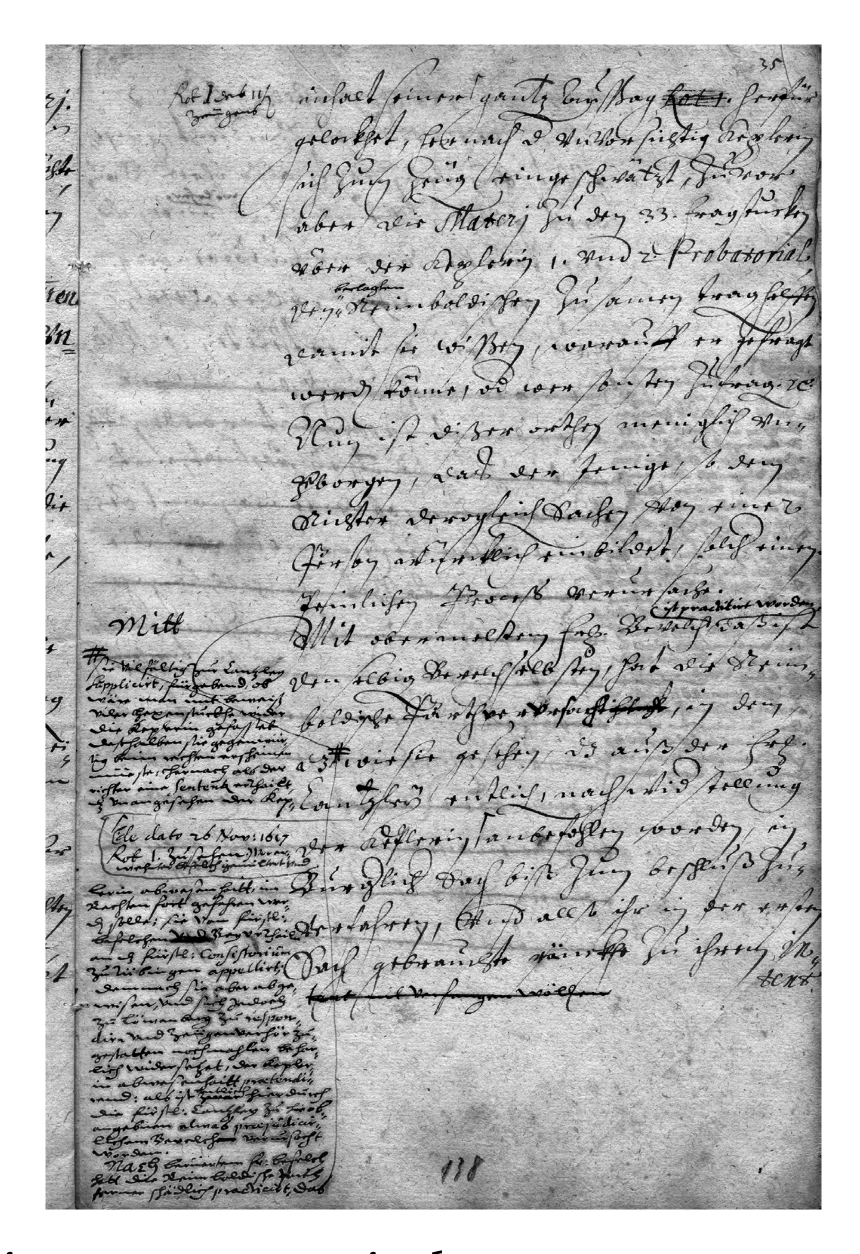
بعد ذلك حدد كپلر لماذا ينبغي لنا أن نميز بين الأمراض الطبيعية وغير الطبيعية، ودخل في تفاصيل طبية كبيرة لجعل حجته موثوقة قدر الإمكان. إن إحاطته البارعة بالتفاصيل التي يمكن رفضها بشكل قاطع جعلت حِجاجه هذا واحداً من أبلغ روائعه، إذ حاجَّ كپلر بأن كل هذه الأمراض السحرية الغامضة يمكن تفسيرها تفسيراً طبياً وبَدَهِيّاً:

أُصيب بايتِلشپاخَر بالكساح، وماتت زوجة باستيان ماير، وزوجة صانع البلاط لديها جرح مفتوح في فخذها، وشعر صبي صاحب الحمّام بتوعك في معدته لعدة ساعات ثم تقيأ، وعانى شتوفِل فرِك من ألم في فخذه مدة يوم أو يومين، وعانت ابنة القس المتوفى في غيبَرسهايم من آلام في قدمها، ومات أبناء دانييل شنايدر، وشعرت ابنة هالر بألم في إحدى ذراعيها، وفقد پيرغ بِلْتسن خنزيرةً، وفقد أوزڤالد زانغن عجلاً، وهاجت بقرة ميخائيل شتال ومرضت، ولكنها ما لبثت أن تعافت ... من هذه القصص والحقائق ... لا يمكن الاستدلال على أعمال سحر محددة، إذ يمكن العثور على الكثير من النساء المصابات بأمراض عقلية، وكثير منهن يحبسن دورتهن الشهرية ... فتبحث هذه عن مخرج آخر بالتبخر، وغالباً ما تؤدي هذه إلى آفات كبيرة في الرأس وألم شديد. بمرور الوقت عندما تكتشف العديد من النساء العقيمات (مثل امرأة راينبولد)، اللاتي كان لديهن الكثير من الدم في شبابهن وينزفن مثل الخيل، أن كلاً من النزيف المفرط أو المرارة يؤدي إلى التهاب الكبد، فيسبب أمراضاً

مروعة في رؤوسهن. ينتج عن كثير من هذه الأمراض عيوب في الرحم، وهو جزء من عقم امرأة راينبولد ... كما يسبب أيضاً أمراضاً مزمنة وأوجاعاً في الرأس. يموت كل يوم العديد من الرجال والنساء بسبب أمراض الرئة، ويموت أطفال أكثر بسبب أمراض أخرى، ويجد المرء العديد من الأشخاص المصابين بتحدُّب الظهر والعَرَج. وليس غريباً أن ينخلع العمود الفقري عند من يرفعون أو يحملون الأثقال أو يقفزون.

أوضح كپلر أن هذا يُضْمِر الأطراف السفلية ويمكن أن يذهب بفحولة الرجل[443]. لكنه لم يستبعد آفات السحر الجسدية. لكن في هذه الحالات، يكون الألم فورياً وشديداً منذ البداية، ولا يزداد بالتدريج. علاوةً على ذلك، هناك دليل يقيني أن أورزُلا راينبولد تعاطت أدوية قوية، ولعلَّها هي ما أضر بها. أشار كپلر أن أورزُلا نفسها قد تكون تناولت الإبريق الخطأ حين زارت كاترينا التي كانت دوماً تشرب من خلطتها الخاصة من الأعشاب الطبية من دون أي آثار جانبية على الإطلاق. واعترف شهود آخرون صراحةً أنهم عانوا بالفعل من الأعراض قبل أن يقابلوا والدته. لم يكن من الضروري تذكير القضاة بأن الأبقار والخنازير تموت كل يوم لأسباب طبيعية. وفي الواقع، ماتت بقرة الخبّاز في وقت شهدت فيه أماكن عديدة هلاك ماشيتها (انظر الصورة 28).

بعد ذلك، احتاج كپلر إلى معالجة اتهامات أخيه الضارة. اعترف بعدم ارتياحه وهو يحكي عن هروب هاينرش من العائلة في سن السادسة عشرة، حتى من غير إكمال تدريبه المهني. «نشأ في الحرب»، وعاد إلى البيت وقد ساءت حاله أكثر عندما عاد إلى والدته بعد خمسة عشر عاماً. لم يتصرف هاينرش تصرف ولد صالح يُقدِّر تضحيات والدته، بل - كما شهد أحد الشهود الموثوقين - ألقى باللائمة على أمه لتركه جائعاً. وهذا أغضبه



الصورة 28. صفحة من مرافعة كپلر الختامية دفاعاً عن أمه، مع الهوامش. شتوتغارت، أرشيف الدولة الرئيسي (A 290, Bü.1056, 183r.) © شتوتغارت ، أرشيف الدولة الرئيسي.

ودفعه لنعتها بالساحرة. لكن هذا النعت لا يقدم أي دليل قانوني على أنها ساحرة، ولم يُستجوَب هاينرش بالطبع بشأن إهانته لأمه. وفوق ذلك، أثبتت كاترينا أنها لوثرية صالحة حين وبَّخت ابنها لاعتناقه الكاثوليكية[444].

هكذا عالج كپلر كل شهادة تبدو دامغةً وشَرَحَها في سياقها الأوسع - إما مرض طبيعي، وإما تحيز الشاهد، وإما خصومة أسرية، وإما حوادث يسيرة. استنتج ابن كاترينا البكر أن أمه قد صرخت قبل عشر سنوات متمنيةً لو كانت ساحرة - أمام خياطة شابة كانت تقيم معها - لا لشيء إلا لأنها أحرقت يدها بمقلاة. أي، لو أنها كانت ساحرة لما شعرت بشيء! حَرِص كپلر على اختتام كل مقطع باقتباسات من التعليقات القانونية القليلة المتاحة التي تحذر من تسويغ التعذيب بناءً على افتراضات قدمها شهود مشكوك فيهم أو في ظل ظروف مريبة. كان هذا، إذن، دفاعاً بارعاً، لأنه ظل قريباً جداً من الحجج القانونية التي قدمها المعتدلون في الجدل حول اضطهاد الساحرات، والتعامل معها بكل تفاصيلها.

***

كانت المهارة الأخرى التي استخدمها كپلر هي تحديد السياق التاريخي لأي تهمة فيما يتعلق بعمر الشاهد. وهكذا، استطاع بعملية حسابية سهلة أن يثبت أن زوجة زيڤَرِن شتال المتوفاة كانت في السابعة من عمرها فقط حين رأت كاترينا تلمس خنزيراً منذ خمسة وعشرين عاماً، ولذلك فهي غير قادرة على الشهادة بشكل موثوق في المحكمة[445].كما أثبت كپلر بصورة مستقلة أن ابنة صانع البلاط قد عُمِّدت في 8 نوفمبر 1604، أي أنها كانت في الحادية عشرة من عمرها فقط عندما أدلت بشهادتها[446]. وهكذا ظل يتسقَّط كل زلَّة، كزعم الشهود بدايةً أن كاترينا لمست رجل الخنزير اليسرى ثم شهدوا لاحقاً بأنها اليمنى.

ومما يتصل بهذه المحاجَّات محاولة كپلر المفاجئة لإثبات أن والدته كانت طبيبة محترمة. لم ينكر كپلر أن والدته قدمت المشورة الطبية، لكنه شدد أن الخبرة في مثل هذه الأمور كانت غالباً ما تشكل جزءاً من تجربة المرأة والتقاليد الأسرية. لقد غير لهجته عن والدته، لأنه أدرك أن هذه هي الطريقة الوحيدة للدفاع عن سمعتها وسمعته. فبدلاً من إدانة اهتمام كاترينا الجلي بممارسات حماتها الطبية، كما أوحى على نحو صادم في الباب الرابع من كتابه «تناغم الكون» في عام 1619، أشار كپلر الآن إلى أن والدته اكتسبت خبرة من تعاملها مع الحُمْرة، وهو مرض جلدي مؤلم يصيب الوجه وأسفل الفخذين. فقد عالجت زوجها، وتحدثت عن الأعراض مع كَنَّتها باربرا عند زيارتها بيت ابنها في پراغ. وبعد ذلك، شرعت في عدد من التجارب التي استندت جزئياً إلى المعرفة التي تلقتها من باربرا التي عانت من هذه الحالة، ومن حماتها أيضاً التي وصفها كپلر الآن بأنها «طبيبة جيدة وصادقة ومشهورة». كانت هذه الخبرة التي جمعتها بعناية وتحققت من سلامتها هي ما قدمته لزوجة صانع البلاط[447].

لذلك استخدم كپلر الدفاع ليحاجَّ أن تجربة المرأة ومراقبتها وخبرتها الطويلة التي اكتسبتها بالتحاور مع رؤى الأقدمين تشكل أساساً لمعرفة محترمة ومعقولة، إن لم تكن يقينية. وقد استُخدم هذا الادعاء نفسه بالضبط لإثبات مصداقية أي فيلسوف طبيعي. باختصار، كانت إستراتيجيته هي أن يخلق صورة مختلفة لوالدته - لا بوصفها عجوزاً، هامشيةً، أميةً، تؤمن بالخرافات، بل بوصفها مواطنةً تقيةً تنقل المعرفة الطبية، وتطورها بصورة موثوقة، وتستخدم الأعشاب بعناية من أجل صحتها هي. ما كان لهذا الحِجاج أن يكون مقبولاً لولا نماذج القدوة المعروفة، مثل الدوقة زيبلّ وماريا آندري اللتين حظيتا بإعجاب الناس بسبب علاجاتهما وممارساتهما الطبية الورعة. كانت معظم هؤلاء الخبيرات في الصيدلة من أتباع المذهب اللوثري، وقد بدأت معرفتهن الطبية تُنشَر، وهو ما رسَّخ فكرة أن المعرفة الطبيعية تُكْتَسب

بالتجربة، وهذه المعرفة جديرة بالثناء ما دامت تسترشد بالتقوى والفضيلة. ومع أن أمية كاترينا كپلر ميزتها بوضوح عن هؤلاء النساء، إلا أنها مِثلهن تماماً لم تتقاض أجراً قط مقابل مشورتها الطبية أو علاجها، ولذلك فهي لم تَسْعَ وراء منفعة ذاتية. لقد نجحت هؤلاء النساء المجرِّبات في رسم دور اجتماعي جديد للنساء بصفة معالِجات محترمات، فحاول كپلر الآن بدهاء جعل ممارسات والدته تشبه محاولاتهن الرائدة[448]. بل إن كپلر سأل والدته عن الخلطة التي تشربها كل يوم، وأثبت أنها نبيذ مع خمر الڤيرمُت والقَنْدَريس المبارك، وأحياناً مع قليل من الزوفا المعروفة بتنقية الدم وإدرار البول. لا شيء من هذا فيه خطر. على أساس هذه التفاصيل المحددة، استشهد كپلر مرة أخرى بأدلة دقيقة لتفكيك التهمة: فصاحب الحمّام «لم يعجبه بعض المشروب، ولم يدّع قط أنه كله سبَّب له المرض».

ليؤكد كپلر أن والدته تقية محبة للخير وليست امرأة تؤمن بالخرافة أو أنانية وجشعة للمال مثل أورزُلا راينبولد، أشار أيضاً أن ما تردده من آيات في أثناء العلاج هو «دعاء» وليس بركة، ولا يتضمن أي كلمات منافية للمسيحية. واعترف في النهاية أنه إذا اشتمل دعاؤها على أي خرافة، فهذا ناتج عن التقاليد البابوية القديمة لا من أي صلة بالشعوذة[449]. وهنا كرر إصراره على ضرورة تفسير الكلام في سياقه التاريخي أو الاجتماعي الصحيح ليكون دليلاً على أي شيء.

***

لكن العقبة الكأداء التي ظلت تواجه كپلر في صياغة مرافعته البارعة هي: أنّى له أن يضع طلب والدته إخراج جمجمة والدها من قبره في سياق مقنع؟ أليست هذه دلالة واضحة على أنها حاولت الحصول على أداة للشعوذة السحرية؟ يتضح أنه سألها في السجن عن الحادثة، وها هو ذا الآن يروي القصة كالآتي: كانت كاترينا قد ذهبت إلى المقبرة لا لشيء إلا لتعتني بإكليل

الزهور على قبر حفيدتها التي ماتت منذ وقت قريب كي لا يُتلَف إذا حُفِر قبر آخر. وهذا بلا ريب يؤيد الانطباع أنها تتصرف عموماً بطريقة رؤوفة، رحيمة، مسيحية.

ولما رأت كاترينا حفار القبور يعمل بجوار قبر والدها، خطرت لها بكل براءة أن تضع جمجمته في قالب من الفضة. أوضح كپلر سبب اعتقادها أن هذا أمر طبيعي. فقد ذكّرتها الكثير من المواعظ بالفَناء وسمعت أن كوباً للشرب يُصنع من رأس أحد الوالدين قد يكون مناسباً لتعزيز هذا التأمل. وقد رأت أمثلة حقيقية على ذلك وسمعت أن العديد من سكان العالم يستخدمون هذه الرؤوس في الاحتفالات السعيدة. ولم تُستخدَم جمجمة والدٍ قطّ في السحر. إذن، أرادت أن تستخدم الجمجمة لغرض مختلف تماماً. لذلك فإن طلبها لا يجعلها مشبوهة بما يكفي لتسويغ تعذيبها. علاوةً على ذلك، طلبت ذلك من حفار القبور في وضح النهار وقبلت رفضه. في الحقيقة، شهد حفار القبور نفسه بأنه مدهوش مما أُثير من لغط كثير في أثناء المحاكمة حول حديثه مع كاترينا[450].

أخيراً، بقي كپلر بحاجة إلى شرح سبب محاولة والدته رشوة آينهورن بالكأس الفضية البائسة. أكمل تصويره لامرأة عجوز، خائفة لأبعد الحدود ولكنها تقية، فأرادت أن تضع حداً للتشهير بها بأسرع ما يمكن من خلال التأثير في حاكم مُعادٍ لها منذ البداية. حاجَّ كپلر بأن أمه عرضت على الحاكم الكأس لا من أجل إسكات الخصومة، بل لتسريع قضية التشهير المدنية التي قدمتها - أي، لتسريع التحقيق القانوني المناسب[451]. ولكي يعلل عجز والدته عن البكاء، أصر عالم الرياضيات أن الدموع تجف بصورة طبيعية عند الناس، ولا سيما عند كبار السن، ولا يمكن أن يُستَدلَّ بقلة الدموع على ذنب أي شخص[452].

ثم تبع ذلك حِجاج كپلر الختاميّ الأكبر على أسس أخلاقية: أصبحت كاترينا الآن مسنةً جداً وواهنةً تعاني من ضعف عقلي، كما أنها عانت الكثير في

حياتها وربَّت أبناءها الذين سمعوا نصحها بشرف. وهي من أسرة شريفة، ولم تُعاقَب قط على أي سوء تصرف في حياتها. وقد تسبب سجنها الطويل منذ 7 أغسطس 1620 في معاناتها أكثر من اللازم من خلال القذارة وألم القيود والتهديد بالعنف. لم يوجِب أي من الأدلة أن تُعذَّب، وهي الإنسانة التي خلقها الله «أشرف مخلوق» وعلى شاكلته[453]. ظل سِفْر التكوين هو الفيصل في جميع المناشدات من أجل المساواة القانونية والعدالة في هذا العصر. فقد خلق الله كل إنسان على صورته وشاكلته.

استغرق الأمر حتى 20 أغسطس من صيف عام 1621 لعقد جلسة المحكمة التالية في غوغلِنْغِن. قدَّم الحاكم آولبر للقضاة نسخة مكتوبة من مرافعة كپلر إلى جانب تفنيد هادئ من هيرونيموس غابلكوفر، محامي المحكمة الدوقية. مثلت كاترينا ويوهانس كپلر معاً في المحكمة، وطالب كپلر فوراً أن يُمَكَّن من تصفح الاتهام الأخير. جاء هذا الطلب بمثابة صدمة. فقد حاجَّ غابلكوفر بإحكامٍ واستشهد بأقوال المعلقين القانونيين اللاتينيين واللاهوتيين، ولم يترك أي شك في وجوب تعذيب كاترينا. فقد حُمِّلت مسؤولية العديد من أعمال الإيذاء ضد الأشخاص والحيوانات وكذلك لمحاولة رشوة حاكم ليونبيرغ لتجنب أي جلسات استماع قبل أن تفر من البلاد. دُحِضت مرافعة كپلر بدعوى تمييع الأدلة الواضحة، كوعدها آينهورن الكأسَ الفضيةَ على سبيل المثال. فقد كانت مشتبهاً بها ووُجدت في الأماكن التي وقع فيها الأذى. علاوةً على ذلك، فقد مارست العِرافة، وهي سيئة السمعة، ولديها ابن قال إنها طردت والده. وشهادتها غير متسقة، وهذا، برأي جان بودان من بين آخرين، سببٌ كافٍ لتسويغ التعذيب. يضاف إلى ذلك عدم قدرة كاترينا على النظر في عيون خصومها. ووفقاً لبودان، يعزز عجزها عن ذرف الدموع مطلب التعذيب، لأن ذلك يُعَدُّ علامة حسية وعقلية معاً على عدم إنسانيتها.

دافع غابلكوفر عن سمعة أورزُلا راينبولد، إذ لم يكن هناك دليل على أنها سُجنت بتهمة الزنا مع النحّاس ييرغ تْسِيَر قبل زواجها الثاني، قبل ثلاثة

وعشرين عاماً. صحيحٌ أنه يصعب تحديد شهود الشعوذة، لكن من غير المحتمل أن يتخيل الشباب أو النساء بخبثٍ أشياء لم يروها. تنازعَ غابلكوفر، إلى حد ما، مع كپلر في مناقشته للتفاصيل، فقط ليثبت أن لديه رداً على كل منها. ثم أعلن أن الأدلة تفوق بكثير «أعذار» كپلر «المصبوغة» بألوان مختلفة، وكذلك «الأعذار» الملونة المريبة. ولا يوجد سبب للشك في رأي القضاة حتى الآن، لذلك لا بد أن تنتقل القضية إلى مرحلة التعذيب[454].

ربما ظن كپلر أنه أتقن فن الحِجاج المقنع المؤيَّد بالوقائع، لكنه بات الآن متهماً باختلاق الكثير من السياقات والقصص والبراهين.

لم يبق لدى كپلر إلا وقت قليل لكي يُعِدّ مرافعته الختامية. حُدِّد له إنذار قانوني لتقديم مرافعته في غضون ثلاثة أيام أو أربعة. كان قد وضع منذ مايو مخططاً موجزاً لمرافعته، لكنه بات الآن ملزماً بالرد على نقاط محددة وحجج معينة في اتهام غابلكوفر الشرس المفاجئ. لماذا أوكلت المستشارية المَهَمَّة لغابلكوفر؟ مما لا ريب فيه أن حُظوة كپلر قد تضاءلت عند المسؤولين الحكوميين المنشغلين الآن بالحرب. مثل المرافعة، كتب هذا النص النهائي في الغالب يوهَن روف، المحامي الذي عينته والدته في غوغلِنغِن. وساعد اثنان من الكتّاب المحليين في الوقت نفسه في نسخ المسودة التي كتبها كپلر وهو في غاية الثَّوَران في أربع وستين صفحة أنيقة. راجع كپلر هذه النسخة بعناية، فأضاف إليها تعقيبات وإضافات وتصحيحات على الهامش. في محاولة يائسة لإنهاء القضية، سلَّم مرافعته قبل الوقت، في 22 أغسطس 1621[455].

بدأ بالاعتراض على معالجة آولبر غير الواضحة لإجراءات المحاكمة، ثم تناول قائمة غابلكوفر. فلا شيء يمنع أي شخص من تقديم هدية إلى أي مسؤول، وتقديم والدته لذلك بالتأكيد ليس دليلاً على ممارستها السحر، ولا سيما أنها قابلت آينهورن مرتين من قبل ورفض متابعة قضية التشهير التي تقدمت بها. ثم فصَّل من جديد أوجه قُصور آينهورن: فقد غيَّر الحاكمُ مواعيدَ

جلسات الاستماع وأخَّر القضية. أتبع ذلك بمناقشة أخرى حول مدى موثوقية الشهود، وكانت تعج بالملحوظات التي أظهرت انزعاج كپلر العميق ونفاد صبره المتزايد. بعد أن فقد كپلر قدرته على الخطاب المهذب، نعت إحدى الشاهدات بأنها «صاحبة خرافة»، ونعت بايتلشپاخر بأنه «صاحب خرافة وأحمق ومدير مدرسة فتيات صغيرات»، ولا يُتوقَّع أن يجد المرء الكثير في دماغه[456]. وحاجَّ مرةً أخرى أنه لا بد من الاعتراف بأن سجن والدته هو عقوبة في حد ذاته. كان سبب هذه المحنة حملة منهجية شنتها أورزُلا راينبولد التي عرفت كيف تستغل جو الخوف الذي هيمن على البلاد بعد أن أُحرِقت الساحرات في زِندِلفنغِن المجاورة، حيث حرَّض حاكم جديد هناك في الواقع على تسع عشرة محاكمة للساحرات بين مايو 1615 وأكتوبر 1616.

كان جُلُّ مرافعة كپلر مفصلاً ويكرر حجة الدفاع. لكن لبَّ المرافعة أظهر براعةً في الإقناع البلاغي الذي بيَّن سخافة مزاعم المتهِمين. فخلال الأشهر الماضية، أعد كپلر قائمة بكل الأدلة المتضاربة حول الوقت الذي يُفترض أن راينبولد أُعطيت فيه الشراب المميت. وقد أيَّد هذه القائمة بالوقائع لكي يثبت أن رواية غابلكوفر المتهافتة إلى درجة فظيعة لا تصمد أمام التمحيص الدقيق. فوفقاً لهذه الرواية، كانت كاترينا كپلر «ساحرة منذ 8، 9، 10، 18، 20، 25 عاماً»، وهذه متوالية عددية لا يملك أي عالم رياضيات متمرس إلا أن يرفضها باعتبارها عشوائية تماماً ولا تخضع لأي منطق[457].

استخدم كپلر الحقائق الطبية لدعم تصويره لأورزُلا راينبولد على أنها بلا أخلاق أساساً ومختلة عقلياً الآن: فالزنا يؤدي بسهولة إلى أمراض تعالَج بالزئبق. وهذا بدوره يؤثر في الدماغ. يبدو أن كپلر قضى الأشهر الماضية أيضاً لجمع مزيد من المعلومات حول شباب أورزُلا راينبولد في بلدة أنسباخ الفرانكونية. وقد زعم الآن أنها حَمَلت من تلميذِ صيدليٍّ محليٍّ أعطاها بدوره أدوية لتُجهِض حملها. وتسببت هذه الأدوية في عقمها[458]. ومؤدى هذا التصوير الدرامي الفعال هو أن لدينا الآن امرأة خبيثة عقيمة تهاجم أمّاً شريفة. لقد

جعل كاترينا خَيِّرة وراينبولد شريرة استناداً إلى سلوك كل منهما. فقد حرست كاترينا ابنتها الجذابة مارغريتا بيقظة من الفتيان الذين «كانوا أحياناً يقتحمون منزلها [للوصول إلى] ابنتها»[459]. أوحى كپلر أن راينبولد لها سمات عقلية وجسدية ترتبط عادةً بالساحرات، بينما أثبتت كاترينا أنها امرأة ذات أخلاق مسيحية وقد تحملت حتى الآن أعباء الأمومة - وهي أرملة - مدة اثنين وثلاثين عاماً. وعلق ساخراً بأن أورزُلا ستبكي دموعاً من دم إن سُمِح لقضية التشهير المدنية التي رفعتها أسرته ضدها بالاستمرار[460].

أعد كپلر أيضاً هجوماً حاداً على الحجة التي تزعم أن كاترينا لجأت إلى العلاج بالسحر. لا ريب أنه تلقى معلومات تفيد أن غابلكوفر نفسه هو من لفق التهمة. وقد أشار كپلر بالفعل إلى أن هذه الأدعية كانت تُستخدَم على نطاق واسع للشفاء حتى إنّ عدداً منها طُبِع في كتاب الدكتور أوسڤالت غابلكوفر الشهير «الطب الألماني في ڤيرتمبيرغ». كان قريبُ خصمه الأكبر سناً يعمل طبيباً في بلاط الدوق فردرك منذ عام 1598، وقد تُرجِم كتابه «عِلَلُ الجسد» إلى اللغة الإنجليزية. لا شك أن هيرونيموس ظل يتمتع برعايته حتى وفاته عام 1616[461]. برأي كپلر، احتوى دعاء كاترينا على جمل شعرية (وقد اقتبس تحية الشمس، على سبيل المثال)، وناشدت الثالوث، وليس أي قوى شيطانية. أشار اتهام غابلكوفر السخيف إلى پيتر بِنْسفِلد، وهو طبيب كاثوليكي من ترير متحمس لدراسة الشياطين، ليحاجَّ بأن العِرافة الخرافية كانت ممارسة شائعة بين الساحرات وليس النساء العاديات[462].

رفض كپلر أيضاً بودان وغيره من المهتمين بدراسة الشياطين من أمثاله الذين أوصوا «بإجراءات سريعة». فقد ثبت مراراً مدى خطورة تهديد البشر المخلوقين على صورة الله بالتعذيب بتهمة ارتكاب جرائم غامضة. وكرر الحجة المعتدلة التي ترى أن هذه أمور يخطئ فيها بسهولة أعلم الناس. في قضية كاترينا، تتضح مشكلات الأدلة والإجراءات وضوحاً لا غبار عليه. ولذلك، طالبت ڤيرتمبيرغ دوماً بتوخي الحذر في محاكمات السحر. من بين المعلقين

القانونيين، أشار كپلر إلى يوهَن زانغر على وجه الخصوص، وهو محامٌ لوثري وأستاذ في ڤِتِنبيرغ، الذي نشر كتابه «مسائل حول تعذيب المجرمين» عام 1593 الذي أصر فيه أن البشر قد خُلِقوا على صورة الله وأن التعذيب «قضية هشة وخطرة»[463]. وهذا بيَّن ببراعةٍ أنه وأمه، اللذين وُجِّهت إليهما تهمة البدعة، يتبعان في الواقع المنهج اللوثري القويم أكثر من بعض المسؤولين الحكوميين البارزين.

في 22 أغسطس، أرْسِلت جميع المستندات على الفور إلى كلية الحقوق في توبنغن ليقرر أساتذتها إن كانت كاترينا كپلر ستقابل الجلاد أم لا. في الشهر نفسه، اتهم الزجّاج راينبولد عائلة كپلر من جديد بتأخير المحاكمة على أمل وفاة كاترينا. ولذلك طالب بدفع مبلغ 300 فلورن مقدماً لتعويض زوجته قبل صدور أي حكم[464].

***

ما لم يكن متوقعاً هو أن أساتذة القانون الستة في توبنغن عملوا بسرعة. احتلت المشورة في القضايا المدنية والجنائية معظم وقتهم، إلى جانب التدريس. كانت توبنغن هي جامعةُ الدوقية، وقد خضعت تعييناتها وأنشطتها لسيطرة الكنيسة اللوثرية والحكومة منذ عام 1601. كان الإيمان بالمعتقدات الأرثوذكسية والولاء الكامل لأي حاكم شرطاً لشغل أي كرسي. لم تشجع الپروتستانتية الفكر المستقل بأي شكل من الأشكال. بل عملت كلية الحقوق بصفة وكالة لحكومة الدولة الفعالة. فكل تعيين جديد لا بد أن يوافق عليه الدوق، وكانت هناك زيارات سنوية من قبل هيئة مشتركة من كبار المسؤولين الحكوميين والكنسيين. وبدءاً من عام 1644، صار لزاماً أن ينال كل حكم في محاكمة جنائية في ڤيرتمبيرغ موافقة أساتذة القانون في توبنغن أولاً. أما قبل ذلك، فكانوا يُستشارون في الغالب في الحالات المستعصية ولإجازة التعذيب. اعتمد الأساتذة على العديد من كبار الكتاب الأوروبيين في

القانون الجنائي، مع أن الأدبيات القانونية كانت عام 1621 ما زالت محدودة النطاق للغاية. ساعدتهم الاقتباسات ذاتها من الكتب ذاتها على التعامل مع ملف قضاياهم. كانت محاكمة كاترينا واحدة من 2460 قضية مدنية وجنائية رُفِعت إلى مكاتبهم بين عامي 1602-1648. فقط 28 قضية (5.4 بالمئة) كانت تتعلق بالسحر. كان أحد الزملاء الستة يقدم حكماً لمناقشته والتصويت عليه، ويوافق عليه الآخرون عادةً. ثم ينسخ كاتبٌ الرسالة الناتجة بأناقةٍ في مجلد مفهرس قبل إرسال الرسالة الأصلية إلى مستشارية شتوتغارت وحاكم المنطقة المعني. وقد شجع هذا الإطار المؤسسي القانون بالسابقة القضائية[465].

تَبِعَ محامو توبنغن علماء الدين هناك في معالجة قضايا السحر بحذر. فقد منعوا التعذيب في نصف القضايا تقريباً وأمروا الجلاد بسحب الجاني على مَحَالة في أقل من ثلث (30.7 بالمئة) تلك المحاكمات التي سمحوا فيها بالتعذيب. اتفقوا تماماً على أن عدم قدرة المرأة على البكاء ليس دليلاً على جريمتها (مع أن مناقشتهم الأولى لهذه المسألة تعود إلى عام 1627 فقط)[466]. وأصروا على الإجراءات المناسبة في جميع أنحاء مناطق ڤيرتمبيرغ. لا يُنْظَر إلا في شهادات الشهود تحت القسم. ولا بد من توثيق كل شيء توثيقاً صحيحاً. جرت العادة أن يُستَبعَد من الشهادة الأعداء وقليلو الشرف والغرباء والأطفال. ولا وزن للإشاعات الغامضة[467].

من المدهش أن بِزولد انضم إلى المتشددين في فريق توبنغن. فقد أصر على إعدام حتى أولئك السحرة الذين اعترفوا بارتكاب جريمة السحر الروحية، لكنهم لم يُؤذوا أحداً. يؤكد هذا الرأي وجهة نظره الدينية العميقة حول مدى خطورة وجود أناس يعبدون الشيطان بين مجتمع تقي. علاوةً على ذلك، اعتقد بِزولد، مثل معظم المعاصرين، أن الساحرات يمكن أن يسببن الأذى بالفعل، مع أن دعاة توبنغن كرروا لعقود من الزمن أن هذا محض تهيؤات. في الوقت نفسه، انضم بِزولد إلى دعوة زميله للحذر الإجرائي بما

يتماشى مع قانون العقوبات الإمبراطوري. ودافع بصرامة عن الرأي القائل إن الأدلة الصحيحة والمثبتة والاتهامات من شاهدين على الأقل من ذوي السمعة الطيبة تسوغ أي درجة من التعذيب[468].

في قضية كاترينا، كان كل شيء يتوقف على كيفية تقويم محامي توبنغن للأدلة. في 10 سبتمبر 1621، أرسل بِزولد وزملاؤه الخمسة الآخرون إلى آولبر وثيقة دبلوماسية ومختصرة كالعادة من صفحة واحدة، تتماشى تماماً مع السابقة القضائية. خلصوا إلى الرأي بأن الكثير من الأدلة ناقصة، وأن لا مسوغ للتعذيب، نظراً إلى كبر سن المتهمة. ومع ذلك، لا يمكن إعفاء المرأة بهذه السهولة. فما زالت هناك حاجة إلى بذل محاولة أخيرة «لانتزاع الحقيقة منها بإخافتها». كان من المقرر أن تُقاد كاترينا إلى مكان التعذيب المعتاد لمواجهة الجلاد، وعليه أن يُريَها أدواته ويهدد باستخدامها، رغم أنه لم يُسمح له في الحقيقة بلمسها أو تعذيبها[469].

ستكون هذه محنة كاترينا كپلر الأخيرة.

13
حلم كپلر

ليس مفاجئاً ألّا يرضى الحاكم آولبر عن قرار توبنغن. لم يتوقع أن تعترف كاترينا كپلر بأي شيء في ظل هذه الظروف، وكان قلقاً بشأن الإنفاق غير المجدي على المستندات والسُّعاة. مع اقتراب موسم قطاف العنب و«قضايا الخريف» الأخرى التي يجب الاهتمام بها، ذكر أنه مشغول في حقوله ومزارع الكروم كانشغاله في المكتب. وأفضل حل، فيما يبدو، هو عدم إطالة أمد الأمور التي تبدو حتمية. لذلك عندما ضغط يوهانس كپلر على آولبر لإبلاغهم مسبقاً باليوم الذي ستقابل فيه والدته الجلاد، استسلم الحاكم.

احتاج آولبر بعد ذلك إلى العثور على رجل يتولى المهمة. كانت المهمة معقدة، إذ كان هناك شجار لا يهدأ في غوغلِنْغِن حول من له الحق في التعذيب أو الشنق أو الحرق أو القَصْل. كان الجلاد في شتوتغارت ينافس جزاراً قريباً يدفن حيوانات نافقة ومريضة، ولكنه يقوم أيضاً ببعض التعذيب والإعدام «على الهامش». حث آولبر هذا الجزار من فايِهنِن على القدوم والمساعدة في إنهاء القضية بسرعة. وبدلاً من الوصول في الساعة السابعة صباحاً، جاء الرجل في منتصف النهار، لذلك كان لا بد من تأجيل الجلسة إلى صباح اليوم التالي.

تتضمن مهارات أي جلاد لديه أمر قضائي بتطبيق «التعذيب اللفظي» رسمياً أن يتظاهر بأنه سيباشر استخدام أدواته. وهذا يُرهِق أعصاب النساء

أيَّما إرهاق، ولا سيما أنهن بحاجة إلى كل طاقاتهن للظهور بأنهن منشغلات الجوارح وورعات من أجل خلق أفضل انطباع ممكن ولتجنب الاستئناف القانوني لإنزال التعذيب المناسب[470].

لكن من المرجح أن كپلر عرف من أصدقائه في توبنغن أن ما يتبع ذلك سيكون مجرد تمويه، ولا بد أنه أخبر كاترينا بذلك. وهذا يمكِّنه من إعداد والدته لمواجهة جلاد اقتضائي من الدرجة الثالثة - لذلك فإن الضغط النفسي سيكون منخفضاً. في نورمبيرغ، كان السجناء خلال المدّة نفسها يُقيَّدون بإحكام على المِخْلَعة أو الكرسي لرؤية الجلاد الأسطوري فرانتس شمِت يصف أدوات تعذيبه بطريقة مرعبة للغاية، ويتفاخر كيف استخدمها لانتزاع الحقيقة من أَعْتَد الأشرار. لكن لعل كاترينا كانت تعلم أنها لن تكابد أي ألم آخر إن استمرت في إنكار ذنبها[471].

في الصباح الباكر من يوم 28 سبتمبر، اقتيدت كاترينا من بوابة البرج إلى دار البلدية. لا ريب أنها شعرت أن هذه لحظة فارقة. استند تقرير آولبر اللاحق إلى محضر مفصل سجله الكاتب. ولو حولنا ما قاله التقرير إلى كلام مباشر على لسان كاترينا، فإن هذا ما قالته: «لا أريد أن أقِر أو أعترف بأي شيء على الإطلاق. حتى لو عاملتموني بأي طريقة تريدون، ومزقتموني من الوريد إلى الوريد، فلن أعرف بماذا أعترف».

لم يستطيعوا تجاهل هذا الصوت: لا أريد أن أعترف، لا أعرف. لقد أثبتت براءتها الآن من خلال إظهار تقواها الصادقة. لا يمكن أن تكون مبتدعة قط، إذ لم ترَ نفسها إلا إلى جانب الله، ولا قاضيَ عادلٌ سواه. خرَّت كاترينا على ركبتيها لتتلو صلاة الرب. هتفت بأن الله سيرسل الآن آيةً إن كانت ساحرة أو بهيمة أو لها أي علاقة بالسحر. وأكدت قائلةً: «سأموت من أجل هذا، وسيبيِّن الله الحقَ». ثم تابعت: «لن يأخذ روحه القدس مني بل سينصرني. لم أُؤذِ زوجة الزجّاج أو مدير المدرسة أو أي شخص آخر اتهمني». واختتمت كاترينا بمناشدة

مؤثرة إلى ضميرها: «إن أجبرني الألم والعذاب الشديد على الاعتراف بأي شيء فلن يكون ذلك هو الحقيقة، لأنني سأضطر للكذب على نفسي».

كان هذا السلوك مألوفاً من أولئك النساء القويات بما يكفي للمقاومة في هذا الموقف. فكلهن احتكمن بثقة إلى إيمانهن المسيحي. واستندن إلى معرفتهن، التي غرسها فيهن القساوسة اللوثريون، بأن الله لا يخطئ أبداً في دينونته الأخيرة، لكن البشر كثيراً ما يفشلون في أحكامهم. ومع ذلك، لم تُقْنِع جميعُ النساء المحققين: فقد وُبِّخت امرأة من ڤيرتمبيرغ لجأت إلى هذه الحجة عام 1618 توبيخاً شديداً وأُمِرت «ألا تتظاهر بالتقى والطيبة». فدفعها اليأس إلى شنق نفسها لاحقاً بملاءة سرير في السجن، بعد أن أخبرها أحدهم أن الجلاد سيخلع جسدها الآن[472]. كان رعب التعذيب شديداً. في العام نفسه، كان حظ ماريا هُونشتاين أفضل. جرت الدموع على خديها وهي تُقْسِم أنها لم تفعل شيئاً لطفل رضيع اتُّهِمت بسحره. سألت إن كان هناك من يريد نبش جثته ووضعها بين ذراعيها، وسيرسل الله آيةً إن كانت مذنبة. قالت إن الله ليس غائباً، بل مستعد لإبلاغ آياته. وأكدت: «كما عانى يسوع ومات من أجلي، آمل ألا ينتهي تنهيدي حتى ألقى وجه ربي». كان إبداء الندم الديني من خلال البكاء والتنهد أمراً حاسماً لإثبات المصداقية. في الوقت نفسه، أبدت ماريا تصميماً على تسمية الظلم وأعلنت أنه «ما بقي نَفَسُها يدخل ويخرج فإنها تريد أن تنوح على ما لحقها من عنف وظلم على أيديهم»، كي لا تجلب العار لأسرتها أو أسلافها الموتى «تحت الثرى». لقد مكَّن الدين المرأة من مقاومة الضغوط غير العادية حفاظاً على شرف أسرتها في الماضي والمستقبل[473].

ظلت كاترينا كپلر ترفض البكاء حتى عندما هددوها بالتعذيب. اعترفت بأنها أعطت أحياناً أعشاباً للناس، لكنها لم تعتقد قط أنها قد تكون لها آثار سلبية. لم تسبب أي مرض خطِر، إذ كانت زوجة الزجّاج تعاني سلفاً من الأعراض عندما وصلت إلى ليونبيرغ، وكان مدير المدرسة قد وقعت له حادثة في السابق حين قفز من فوق خندق. كررت كاترينا طلبها أن يرسل الله آية

براءتها. مثل ماريا ونساء أخريات، أكدت كاترينا أن الله سيعاقب الذين أوقعوها في هذه المتاعب. ظل الحاكم والقضاة والجلاد يهددونها ويذكرونها بأفعالها لبعض الوقت، لكنها ظلت ثابتة ومتماسكة تماماً. وفي النهاية أمر آولبر الحراس أن يعيدوا كاترينا إلى زنزانتها، حيث من المفترض أن يكون يوهانس بانتظارها على أحر من الجمر[474]. بعد ستة أيام، فُكَّت السلسلة الحديدية عن والدته وأُطلِق سراحها، بعد أربعة عشر شهراً من السجن في أقسى الظروف.

***

تلقى آينهورن، حاكم ليونبيرغ، هذه الأخبار برسالة بعد أيام قليلة، في أوائل أكتوبر: بُرِّئت كاترينا كپلر، وصدرت الأوامر إلى ليونبيرغ لتحمُّل جزء من التكاليف الباهظة لمحاكمتها وسجنها. احتج على الفور لمستشارية شتوتغارت، لأن هذا الأمر سيترك وصمة عار «إلى الأبد» على سمعته، وسيستغله آل كپلر للإمعان في الإساءة إليه. علاوةً على ذلك، أنّى للمنطقة أن تدفع؟ فسكانها أرهقتهم طلبات الدوق بالتبرعات للحرب. أما كاترينا فما زالت تملك مروجها وحقولها. وإن عادت، فلا شك أن الناس سيقتلونها انتقاماً. فهي ذات صيت سيّئ في المنطقة كلها. ظل آينهورن وآخرون مصرين على أنها تسببت في أمراض عُضال للناس لمدّة طويلة. أوضح أن هناك شاباً في السابعة عشرة من عمره كاد أن يموت بسبب خبث كاترينا. ومن المرعب الاستماع يومياً إلى ضحاياها الأكبر سناً وهم ينوحون بسبب آلامهم المبرحة. أنهى آينهورن التماسه التلميحي أنه ورعاياه المطيعين على استعداد لبذل حياتهم وممتلكاتهم ودمائهم لخدمة الدوق في أي حالة طارئة - لكن لا يمكن أن تعود كاترينا كپلر للعيش بينهم[475].

تمكن الأشقاء كپلر من الحصول على نسخة من هذه الرسالة اللاذعة، فاقتبسوها في التماسهم إلى الدوق للسماح بقبول قضية التشهير ضد آل راينبولد (ولكن ليس في ظل حكم آينهورن المتحيز). في هذا، كيَّفوا التماسهم

لإظهار أن اعتماد الدوق على الولاء الشعبي خلال الحرب لا بد أن يُردَّ عليه من خلال الاستجابة لطلبات من هذا النوع. في 12 أبريل 1622، أمرت المستشارية آينهورن بإرسال نسخ من المستندات الكاملة المتعلقة بالتشهير إلى محكمة مدنية في كانشتات أو توبنغن[476]. لم تصل المستندات قط.

وعند تلقّي آينهورن هذا الأمر، ماتت كاترينا كپلر، عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، في 13 أبريل. لا يوجد بين يدينا اليوم دليل حول الأشهر الستة الأخيرة من حياة كاترينا بعد سجنها وكيف أثر ذلك فيها، ولا نعرف ظروف دفنها أو مكان قبرها. يبدو أن طاقتها الهائلة على المقاومة قد استُنفِدت. لا بد أن يوهانس أو ربما أخته مارغريتا أحضرت والدتهما إلى قرية روسڤالدِن الصغيرة سيراً على الأقدام في أوائل أكتوبر، أو ربما نقلاها بعربة في رحلة متعبة. فقد أقامت من قبل مع ابنتها والقس بِنْدر في مكان جديد آخر، مقر الأبرشية في قريتهم. لا بد أن بِنْدر تولى دفنها. أما ذهابها إلى لِنس فسيكون أكثر مشقةً على كاترينا، وسيتطلب السرية بشأن المحاكمة، إذ لم يخبر يوهانس كپلر أي شخص هناك عن سبب عودته مؤقتاً إلى ڤيرتمبيرغ.

***

بالنسبة إلى كپلر، كانت هناك الآن مسائل مالية يجب حلها. كالبحث عن الرعاية والدعم، كان هذا شيئاً اضطُر لفعله طوال حياته. وبما أن كپلر معتاد على ضيق ذات اليد، والقلق من الفقر بين الحين والآخر، والكفاح الدؤوب من أجل قبض راتبه كاملاً حين كان عالم رياضيات إمبراطورياً منذ أن بدأ في خدمة رودولف الثاني، فلم يكن بإمكانه قط أن يتعالى على المسائل المالية بحسبانه أسمى من أن يأبه لها. إذ كان يطلب الهِبات المالية مقابل تقديم كتبه، ويعُدُّ فلوسه، ويُدَوِّن كل نفقاته، واختار زوجته الأولى لأنها ميسورة الحال وزوجته الثانية لأنها مقتصدة. وكان يطالب بسداد أي نفقة يمكن أن يطالب بها ويقيِّد ديونه بعناية. تشي الصورة في صدر كتابه «الأزياج الرودولفية» بأكثر من تلميح

إلى أمانيِّه، إذ تُصَوِّر النسر الإمبراطوري وهو يُسْقِط فلورنات ثمينة من منقاره[477].

كان الورثة القانونيون لكاترينا أبناءها الأحياء، وكذلك حفيدتيها اليتيمتين من ابنها المتوفى هاينرش: آنا ماريا وآنا. كان يوهانس قد اختار ڤِلْهَلم بِدِنباخ، محامي المستشارية العليا، لتمثيل مصالحه مع إخوته. كانت مطالبات كپلر كما يلي: لم يتلق راتبه البالغ 400 فلورن في أثناء غيابه عن لِنس، كما أنه أنفق 300 فلورن على السفر والإعاشة[478]. كانت هذه مطالبة تعويض ضخمة. قَبِل كرستوف كپلر تماماً أن يعترف بدوره في زيادة النفقات بطلبه نقل المحاكمة بعيداً من ليونبيرغ. ومع أنه حاول التلاعب بميراث كاترينا لصالحه في مارس 1621، عندما كانت والدته مسجونة، فقد سحب الآن كل مطالبة له تتعلق بالميراث. وهكذا، تصالح كرستوف كپلر مع أخيه وأخته[479]. قدَّر صانع الأدوات القصديرية أن تركة والده 1000 فلورن، وأن بقية التركة تبلغ 3000 فلورن. سيكون سعيداً إن أمكن تغطية تكاليف إطعام والدته في السجن، بالإضافة إلى التكاليف القانونية للأسرة، والنفقات التي تكبدتها مارغريتا برعايتها لأمها في بيتها، وما أنفقه يوهانس على السفر. استلم يوهانس أصولاً كل أموال كاترينا غير المنقولة: خمسة حقول سيمتلكها حتى عام 1628، عندما كان لا يزال يدفع للمجتمع حصته من نفقات الحارس الليلي[480]. ثم كان هناك رُبع مَرج أخذته مارغريتا لتغطية نفقاتها على والدتها، لكنها أقرّت كتابةً أنه يسرها أن تتخلى عنه في أي وقت ليوهانس إن رغب فيه. في النهاية، كان إجمالي حصة كرستوف كپلر من الميراث مبلغاً تافهاً مقداره ثلاثة عشر فلورناً[481].

وبدلاً من تقسيم الأسرة أكثر، أدت هذه الترتيبات إلى تقاربها من جديد. فكلٌّ أقر بما يدينه لغيره، عاطفياً ومادياً[482]. وما عقَّد حساب نصيب كل فرد من نفقات سجن كاترينا ارتفاع التضخم خلال الحرب. ففي عام 1624، ظل يوهانس على اتصال بزوج أخته بِندر لتسوية المدفوعات النهائية التي تدين بها

الأسرة للحاكم آولبر بالعملة الصعبة، بالإضافة إلى تخصيص مبلغ خيري صغير لابنتي أخيه اليتيمتين. كما قرر تأجير أراضيه لكرستوف الذي كان عليه أن يدفع مستحقات سنوية لمارغريتا، وهذه بدورها سلمتها لابن كپلر، لودڤِغ، حين بدأ دراسته في توبنغن. لكن كپلر ظل حذراً، فأوصى صديقه ڤِلهلم شِكارد في توبنغن أن يُخبر لودڤِغ مقدماً ألا يطلب المال من عمه أبداً. خاف كپلر أن كرستوف كان ينتظر الفرصة لتقديم المال بسخاء ليُخرج شقيقه الأكبر من حقوقه في الملكية[483].

***

في هذه الأثناء، كانت عودة كپلر إلى الحياة الطبيعية في لِنس النمساوية مع عائلته صعبة. فقد عادت سياسة ڤيرتمبيرغ الخارجية إلى الحياد في خريف 1621. اقتنع الدوق وأغلب مستشاريه من جديد بفكرة أنه لا يمكن الحفاظ على الإمبراطورية إلا إذا اجتُنِب الاستقطاب الديني. كان التاج البوهيمي قد فُقِد، ولن تخوض ڤيرتمبيرغ اللوثرية حرباً للحفاظ على البلاطينية من أجل حاكمها الكالڤيني فردرك. عاد التأكيد على الاعتدال والوحدة والوفاق يوجه السياسة الخارجية من جديد[484].

ومع ذلك، في لِنْس واصلت القوات الباڤارية احتلال الأرض والإشراف على التنفيذ الصارم لتدابير الإصلاح المضاد. خلال الأشهر الأولى بعد عودة كپلر، خطر له أن أصدقاءه ومعارفه، وكذلك أعداءه في توبنغن، قد يعلقون على نهاية المحاكمة، وقد فعلوا بالتأكيد. كتب شِكارد، على سبيل المثال، إلى بيرنِغَر أن الكثيرين لم يتوقعوا تبرئة والدة كپلر[485]. في نوفمبر 1621، اضطر كپلر للرد عاجلاً على اتهامات شنيعة وجهتها أُسرة چيخو بْرا تزعم أنه أخذ ملحوظات الفلكي الدنماركي وأدواته إلى ڤيرتمبيرغ من غير وجه حق. فأوضح أنه قد أودعها بعناية في صندوق خاص وتركها بأمان في مبنى المقاطعات النمساوية العليا[486]. في ديسمبر تلقى كپلر بشرى عظيمة حين ثبَّته

الإمبراطور فيرديناند الثاني، في ديسمبر، في منصب عالم الرياضيات الإمبراطوري. ومع وطأة الاحتلال الكاثوليكي، لم يُطرَد كپلر من منصبه في مدرسة الدير الپروتستانتية المحلية.

لم يبق إلا القليل من المراسلات في هذه المرحلة. في مارس 1622، تلقى كپلر أخباراً مقلقة عن تعرض اثنين من أساتذة توبنغن للهجوم بسبب آرائهم الپروتستانتية الشاذة. كان أحد هذين هو بِزولد. بنهاية ربيع 1622 فقط، بعد وفاة والدته، بدأ كپلر بالعودة التدريجية إلى روتينه القديم من المراسلات العلمية. راح يناقش الحجج الواردة في كتاباتٍ تُرسَل إليه ويكتب رسائل توصية لعلماء أجانب واعدين مثل المصري يوسف بن أبي دقن، أستاذ العربية والعبرية. حَمَلت سوزانا زوجة كپلر مرة أخرى. في مايو أرسل رسالة شكر متأخرة جداً إلى طبيب ريغنزبورغ، الدكتور أوبَرندورفر، وزوجته - اللذين عرفهما منذ أيامهما معاً في غراتس - لاستضافة أسرته. أرسل مالاً لتسديد بعض الديون المتبقية عليه للصيدلية المحلية. وما عدا ذلك، يبدو أن كپلر انطوى على نفسه أكثر بكثير مما كان عليه قبل المحاكمة، حتى إزاء أعز أصدقائه. إذ لم يرسِل أي رسالة إلى بيرنِغَر قبل أغسطس 1623. في أبريل 1623، أعلن ڤِلْهَلم شِكارد من توبنغن بسعادة أنه سيواصل إنجازاته اللغوية بالانتقال من العربية إلى الحبشية، لكنه أشار إلى أنه لم يسمع من كپلر منذ مدة ويود التواصل معه من جديد. ثم ما لبث أن أرسل له شِكارد، الذي لا يتوقف عن الإبداع والانشغال في ابتكار مشاريع جديدة هائلة، تصميماً لواحدة من أولى الآلات الحاسبة في العالم[487]. حتى في عام 1624، كتب كپلر رسالة تتحدى الشائعات حول غيابه عن لِنس. لم يخبر أصدقاءه صراحةً قط، أو المقاطعات النمساوية، أو مساعده غرنغاليه عن سبب غيابه، لكنه ادّعى أنه قضى عاماً واحداً في مناجزة «عدوٍ لعائلته»[488].

في هذه الأثناء، شرع كپلر في كتابة كتاب عن خوارزميات الحساب، وهي مسألة رياضية يعشقها. كان يعلم أيضاً أنه تحت ضغط شديد لإنهاء عمله

الضخم عن «الأزياج الرودولفية». كان بحاجة إلى إيجاد طرق للتمويل والترتيب للطباعة المعقدة لهذه الحسابات الشاملة لمدارات الكواكب، مع أن تجارة الكتب قد دخلت للتو في أزمة حادة بسبب التضخم وعدم الاستقرار الناجم عن الحرب[489]. من أجل البدء في العمل، أخرج كپلر كل مخطوطاته، وأعمدة بياناته التي لا نهاية لها، وأوراقه من أماكن تخزينها المختلفة في لِنْس. وبينما كان عالم الرياضيات يفعل ذلك، انجذب نحو واحد من أغرب الأعمال التي كتبها على الإطلاق. كان قد كتب هذا العمل قبل سنوات، لكنه لم يطبعه قط، وهو بعنوان «الحلم أو علم فلك القمر» وباللاتينية: *Somnium* [حلم].

تعود فكرة الكتاب المركزية إلى أيام كپلر الدراسية. فقد بدأت تراوده فكرة تأليف أطروحة خيالية قصيرة عن منطقة القمر والأرض الدوارة والكواكب الأخرى عند رؤيتها من القمر. في 1593، استل ريشته لكتابة المسودة. وبعد بضع سنوات، قرأ كپلر كتاب پلوتارخ «أوجه القمر» وكتاب لوقيانوس «قصة حقيقية» الذي يحتوي على استراحة على سطح القمر.

واصل كپلر بعد ذلك حديثه مع الأصدقاء في پراغ حول كيفية تطوير فكرته الإبداعية، عندما كان يجرب المناظير البعيدة ويؤيد ملحوظات غاليليو الجديدة بشأن وجود وِهادٍ وجبالٍ على سطح القمر لا سطحٍ مستوٍ تماماً. أخيراً، في عام 1609، استلَّ كپلر ريشته ليكتب هذه القصة، كما ينبغي، عن كون متحرك، لا تحدوه إلى ذلك الاكتشافاتُ العلميةُ في عصره فحسب، وإنما أيضاً شغفُ ذلك العصر بكل ما هو مبهَم، وبالمغامرة الأدبية والتكهنات المستنيرة. يقول أحد المعلقين ملخصاً فكرة الكتاب، «الباطنية والسحر ودراسة الشياطين» تؤطر «دفاعه عن الثورة الكوپرنيكوسية»[490].

بينما كان كپلر يقف أمام مكتبه، قرر إدخال مكون «علمي» من خلال مقدمة سردية أدمج فيها عناصر حقيقية ومتخيلة، وهذه حيلةٌ تهدف إلى إعادة خلق تجربة الحلم:

الراوي المتكلم في القصة عالم فلك يعيش في پراغ المعاصرة، تماماً مثل كپلر. يقرأ كتاباً عن تاريخ بوهيميا يحكي قصة زعيمة عجوز وساحرة ماهرة تواجه انتفاضة. وذات ليلة ينام الراوي، فيرى في المنام أنه يقرأ كتاباً من معرض الكتاب في فرانكفورت. يحكي الكتاب قصة رجل من آيسلندا اسمه ديوراكوتَس وُلِد لصياد سمك محلي عمره 147 عاماً، وهو من أولي القوة العجيبة، وقد مات عندما كان ديوراكوتَس في الثالثة من عمره. أما أمه فهي ساحرة ماتت حديثاً. وهذا يسمح لديوراكوتَس بالكتابة عن علاقتهما ومغامرتهما العجيبة. ففي إحدى المرات يحصلان على وصف واقعي مذهل من لدن شيطان حكيم عن كيفية السفر إلى القمر وكذلك شكل المنطقة وسكانها. ينتهي حلم الراوي فجأةً حين توقظه الرياح والأمطار الغزيرة في پراغ. يمسح الماء نهاية الكتاب في الحلم[491].

تبين هذه الحبكة الروائية العلاقة الغريبة بين ديوراكوتَس، الذي نشأ في آيسلندا، ووالدته فِيولِكسهِلْدَه، التي ربَّته بمفردها، بتفاصيل آسرة. وإليكم ما يُروى لنا عنهما:

تكسب فِيولِكسهِلْدَه لقمة عيشها من بيع حقائب بيضاء صغيرة مصنوعة من جلد الماعز مليئة بالأعشاب والتمائم المطرزة لصيادي الأسماك. تأخذ ابنها الصغير معها عند جمع الأعشاب في أماكن وأوقات معينة في طقوس سحرية. لكنها لا تكشف أبداً ماذا تضع في الحقائب.

وحين يكبر ديوراكوتَس يتملكه فضول شديد لمعرفة المكونات حتى إنّه على الفور يأخذ سكيناً ليفتح إحدى الحقائب. وحين ترى فِيولِكسهِلْدَه ما فعل تغضب غضباً شديداً لأنها لن تتمكن من بيعها لعميلها الصياد حتى إنّها تبيعه ابنها بدلاً من ذلك. يصعد ديوراكوتَس متن قارب يبحر إلى جزيرة ڤين لإيصال رسالة إلى عالم الفلك الدنماركي چيخو بْرا.

يبقى ديوراكوتَس على الجزيرة، ويتعلم الدنماركية، والرصد الفلكي، وكيفية استخدام الأدوات، وكيف يتعاون بْرا مع العديد من طلابه. بعد خمس سنوات، يعود ديوراكوتَس إلى آيسلندا، حيث عاشت والدته نادمةً ندماً شديداً على قرارها الغاضب، لكنها الآن مسرورة أن ترى ديوراكوتَس قد أصبح عالم فلك. وبما أن الجو مظلم وبارد جداً حتى إنّ فِيولِكسهِلْدَه لا تقوى على جمع الأعشاب خلال الشتاء، فهي ترافقه في أثناء بحثه عن أنصار، وفي حديثهما تظل تقارن ما تعرفه بما تعلَّمه ديوراكوتَس عن السماوات. تفتخر بمعرفتها كونها «الشيء الوحيد الذي تمتلكه». تنفعل حين تعلن أنها الآن مستعدة للموت لأنها نقلت هذه المعرفة إلى ابنها. وكما تريد الساحرة أن تعرف كل شيء عما تعلَّمه ديوراكوتَس، كذلك يشرع ابنها الناضج، بفضوله الدائم للمعرفة، يسأل أمه عن معلميها وفنونها.

تحكي فِيولِكسهِلْدَه لابنها ديوراكوتَس أن هناك عفاريت تحب ضوء آيسلندا الظليل في الشتاء. وهي منجذبة إلى أحدها بشكل خاص. فهو لطيف للغاية، ويأخذها إلى أي مكان تريده، أو يخبرها بالتفصيل عن أماكن قصية تخشى أن تزورها بنفسها. تقول فِيولِكسهِلْدَه إنها تود الذهاب إلى أحد هذه الأماكن برفقة ابنها. يوافق ديوراكوتَس بحماس ويطلب منها استدعاء العفريت كي ينطلقا في الحال. ها قد حل الربيع، فتذهب فِيولِكسهِلْدَه إلى مفترق طرق لتنادي العفريت الذي ينبغي لهما أن ينتظراه بصمت. بينما يغطيان رأسيهما بالقماش، يخبرهما صوت غريب أجش عن لِڤانيا، وهي جزيرة على ارتفاع خمسين ألف ميل ألماني في الأثير.

لا يفعل العفريت شيئاً سوى الحديث بدلاً من أخذهما في الرحلة التي تستغرق أربع ساعات. فيما تبقى من الأطروحة، تؤيد كلمات العفريت ما قالته فِيولِكسهِلْدَه إنه يزودها بمعلومات صحيحة كالتي يحصل عليها ابنها من قراءة الكتب والرصد. يبين العفريت أولاً أن هناك قوانين صارمة بشأن من يُسمح له بالرحلة: عدد قليل جداً من الأشخاص بالمجمل، وينبغي أن يكونوا مخلصين

تماماً للعفاريت، وألا يكونوا من الرجال الألمان، لأنهم دوماً إما بدينون جداً أو رقيقون جداً. لا مانع من سفر النساء المسنات العِجاف اللاتي قضين وقتاً طويلاً في ركوب التيوس ليلاً أو عِصِيٍّ ذات شُعَبٍ. فهؤلاء مسافرات مثاليات. وكذلك الرجال الإسبان وغيرهم ممن يتمتعون بأجساد رشيقة متينة من ركوب الخيل المستمر أو الإبحار إلى العالم الجديد ويعيشون على نظام غذائي من سمك القُد المجفف والثوم وغير ذلك من المواد الغذائية التي تعافها الأنفُس. سيكتشف هؤلاء الرَّحالة أن القمر مكان به جبال شامخة ووديان عميقة وعريضة وكهوف ومَغارات تتجول فيها زَرافاتٌ من السكان الذين يكبرون بسرعة، وتقصُر آجالهم، ويحمون أنفسهم من درجات الحرارة القصوى.

***

تعيد قصة كپلر صياغة التصورات عن الساحرة الشريرة من خلال تصوير امرأة تكسب قوتها من بيع خلطات عشبية سحرية لينتفع بها البحارة، وهي متعطشة لمعرفة السماوات، وتكتسب ثقة عفريت طيب. كما أنها امرأة عاطفية تحب ابنها حباً جمّاً وتحزن بعد معاقبته ذات مرة. يبدو أن كپلر أطلع أصدقاءه في پراغ على قصته بل حتى على المخطوطة. ففي عام 1611، أخذ بارون فولكَرسدورف، وهو مراهق أرستقراطي يسافر مع معلميه، نسخة إلى توبنغن.

في لِنس، وبينما كان كپلر يتأمل أطروحته هذه في ضوء محاكمة والدته، قرر أن يُعِد المخطوطة للطباعة، فأخبر قراءه المتخيَّلين غاضباً عما اعتقد أنه حدث مع نسخة توبنغن من المخطوطة عام 1610:

هل تصدقون أن في دكاكين الحِلاقة (ولا سيما إذا كان هناك شخص يَتَطيَّر من اسم شخصيتي فِيولِكسهِلْدَه بسبب مهنتها) كانت هناك ثرثرة عن قصتي هذه؟ في الواقع، خرجت من تلك المدينة والمنزل بالذات ثرثرة خبيثة عني في السنوات التي تلت ذلك مباشرةً.

كان كپلر يفكر في «أصدقائه» على وجه التحديد عندما كتب هذا، فخاطبهم: « أنتم يا من تعرفون شؤوني وسبب رحلتي الأخيرة إلى شوابيا، وخاصةً من اطلع منكم على المخطوطة من قبل، سترون أن هذا الكتاب الصغير وتلك الأحداث كانت نذير شؤم لي ولعائلتي». مما لا ريب فيه أن كپلر شعر أن مخطوطة «الحلم» هذه قد تسببت في أضرار دائمة، لأنه كما يوضح الآن:

عندما تناولت العقولُ التافهةُ هذه الثرثرةَ، اندلعت نار التشهير ليزيد من أُوارها الجهلُ والخرافةُ. وإن لم أكن مخطئاً، فستجزمون أن عائلتي كان يمكن أن تكون في غنى عن تلك المتاعب لمدة ست سنوات، وأنا في غنى عن رحلة العام الماضي، لو لم أنتهك مبادئ فِيولِكسهِلْدَه هذه في الحلم.

الطريف أن هذا يتناغم مع الإيحاء بأن إبداعه الأدبي قد يكون له بعض القوة والحضور الحقيقيين. عندئذ أعلن كپلر عما جعله يرغب في نشر «الحلم»: «لذلك قررت أن أثأر لحلمي لأجل القضية الآنفة تَوّاً، بنشر الكتاب، الذي سيكون عقاباً آخر لخصومي». إذ سيثبت الكتاب أنهم مخطئون[492].

بعد عودة كپلر إلى لِنس وحياة الاستقرار الطبيعية، يُستَغَرب أنه شعر بالذنب لأنه تسبب عن غير قصد في كل متاعب والدته وعائلته. في الوقت نفسه، كان يغضب للغاية من كل من يرى شبهاً، عن غباء أو خبث، بينه وبين كاترينا من جهة وبين ديوراكوتَس والساحرة فِيولِكسهِلْدَه من جهة أخرى.

تخيلَ كپلر أن «الحلاق» الذي التقط الثرثرة ونقلها هو أوربان كرويْتلين، شقيق أورزُلا راينبولد الراحل. في ذلك الوقت، كان كرويْتلين حلاقاً وجرّاحاً في توبنغن بالإضافة إلى كونه حلاقاً شخصياً للأمير فردرك أخِلِس[493]. من خلال ربط كل هذه الأمور حول كيفية تداول مخطوطته، أقنع كپلر نفسه في لِنس بأن كرويْتلين هو من زرع احتمال أن تكون كاترينا ساحرة بعد أن سمع بمخطوطة «الحلم». ثم غرسها كرويْتلين في ذهن أورزُلا وفي ليونبيرغ، بل

ربما حتى في بعض أوساط البلاط. في إهدائه للباب الخامس المتأخر من «خلاصة الفلك الكوپرنيكوسي»، أعرب كپلر عن أسفه «لقسوة عدوي السري»[494]. كان كپلر قد خَبِر القوة الغاشمة منذ أن ذهب إلى المدرسة الداخلية، وشكلت قائمة «الأعداء» فئة فرعية في سيرة حياته وهو في السابعة والعشرين من عمره بقدر ما فعلته في سيرة المنجِّم كاردانو. تجعل عداوة التنافس الصراعات منطقية، لكن في هذه الحال لم يقابل الرجلَ قَط. إذن، ما الذي أثار هذا الهجوم العشوائي، وهل مخطوطة «الحلم» هي التي أشعلت الفتيل؟

لعل قلق كپلر الأولي من احتمال أن يُتَّهم هو بممارسة الفنون المحرمة، وأن تُنسَف بالنتيجةِ سمعتُه بوصفه فيلسوفاً طبيعياً، نشأ من هذا الخوف نفسه. لكن قبل عودته إلى لِنس، لم يذكر كپلر ولو مرة واحدة أن «الحلم» عامل سببي للمحاكمة[495].

لذلك من المرجح أن يكون إحساسه الشديد بالذنب والغضب بعد وفاة والدته رد فعل نفسياً بعد الضغط العاطفي الهائل الذي تعرض له خلال السنوات الست الماضية. في «تناغم الكون» قال عن والدته إنها «هي سبب كل مشكلاتها»، ثم تولى الدفاعَ عن والدته بهمةٍ، وضَمِن إطلاق سراحها، وعاد إلى لِنس، لكنه ما لبث أن سمع أنها ماتت. في أعقاب وفاتها، ومعاناته من الإرهاق، يبدو أنه شعر، على عكس ما زعمه في عام 1619، بأنها لم تكن «سبب كل مشكلاتها». بل، هو، يوهانس، السبب.

***

كان كپلر قد شعر بهذا النوع من الذنب والندم والغضب من قبل، وذلك في نهاية العلاقة الصعبة مع زوجته الأولى باربرا، إذ اقترن الحب الصادق والإعجاب المتزايد بفضيلتها وجمالها ومرحها بإحباط شديد في كثير من الأحيان. وبعد وفاة باربرا، كتب كپلر في عام 1612 رسالة عجيبة إلى امرأة

ظن أنها من بين مجموعة من أهل پراغ تظن أنه أتعب زوجته نفسياً. هل أخضعها لأفكاره السامية وتأملاته الدينية غير التقليدية أو ضغط عليها لمساعدته في أشغاله الفلكية، كما قال؟ في العام نفسه، وبَّخه لاهوتيو ڤيرتمبيرغ مرة أخرى بسبب «أسئلته الفضولية العديدة» ودهائه الخَطِر. لا يتضح إن كان كپلر قد أرسل هذه الرسالة إلى أي شخص بالفعل، لكنه كتب هناك عن زواجه ومشاعره بلغةٍ حميميةٍ غير عاديةٍ ومساءلةٍ للذات كدأبه[496].

سوَّغ كپلر لنفسه بتأكيد أنه لم يخن زوجته قط، وكان يحبها بالفعل. لكن زواجهما اضطرب بسبب تقصير الإمبراطور المزمن في دفع راتبه. ولأن كپلر لم يكن لديه مال مستقل، فقد طلب من باربرا أن تعتمد على مالها. بالإضافة إلى هذه الضغوط، فقد أصيبت في سنواتها الأخيرة بمرض واكتئاب مزمنين. وهذا شوَّش ذاكرتها. فكثيراً ما كانت تغضب أيضاً وترفض قبول أي من قراراته، حتى لو كانت معقولة. انتقد كپلر نفسه بصدقٍ ملحوظٍ، لإصراره الصارم جداً على وجهة نظره في بعض الأحيان، وهذا ما أعجزه عن فهم الصراعات التي كانا يمران بها. وصف زواجهما بأنه عملية تعلم عاطفي: فحين رأى أن مشاعرها قد تعرضت لأذى جسيم، وأنها حزينة وليست غاضبة، كَفَّ عن إهانتها. فصار أكثر صبراً، لكنه عانى أيضاً من إساءتها إليه. اشتكت باربرا أمام إحدى معارفها من كون يوهانس «مقرفاً» لتدخله في شؤونها. فلماذا يقلق، على سبيل المثال، من عدم إنفاقها بما يكفي على هندامها؟ فالأجدر به أن يهتم بكتبه.

تابع كپلر في رسالته وهو يستذكر مجريات تلك السنوات المشحونة عاطفياً التي تطارده، لكنه عبَّر بعد ذلك عن المزيج ذاته من التهيُّؤات المقلقة والذنب والغضب من الأعداء الذي قاساه مرةً أخرى بعد وفاة والدته: «لكنني أؤمن، قسماً بربنا الحق، أن الشيطان يريد أن يُعِدَّ لي مكيدةً مختلفةً ويريد أن تحوم حولي شكوك أنني قتلتها بمسائل دينية عظيمة أو حتى بأخطاء كالڤينية

بشأن العناية الإلهية بجعلها مكتئبةً وقلقةَ الفكر». تخيل أن الآخرين يتهمونه بأنه دفع باربرا إلى الجنون.

كانت الكتابة وسيلة كپلر لمناجاة الله مناجاةَ المنسجم مع خالقه، ولمحاربة أسوأ تهيؤاته. فقدرته على الاعتراف كتابةً بالغضب توازن مخاوفه المقلقة. بريشته، شعر هذا العالِمُ المتوسطُ العمر صاحبُ الجسد «الواهِن» كأنه جندي، أو مثل ذلك المصلح المقدام مارتن لوثر الذي أطاح بالبابا بكتابة احتجاجه. لم يكن كپلر باحثاً يريد تعزيز التناغم فحسب، وإنما شارك في كتابة علمية مدفوعة جزئياً بوهم أن للكلمات قدرةً على الفعل: تفعل وتضر وتؤذي الناس. فعلى أقل تقدير، كلماتُه «تزعج» خصومه، وهذه كلمة محببة لدى علماء ذلك العصر. وكان لتعبير «شَحْذ القلم» معنى حرفي. فخلال السنوات العشر التالية، سيصبح العمل على إصدار «الحلم» وسيلة كپلر لتخيل نفسه وهو يثأر لنفسه بقوة، مع أن كرويْتلين مات منذ مدة طويلة، وأورزُلا راينبولد ماتت عام 1628، عن عمر يناهز الستين[497].

***

بالنسبة إلى كپلر اتخذت معاقبة أعدائه شكلاً غريباً يتمثل في إضافة عدد كبير من الحواشي الختامية على المخطوطة القديمة التي ستُطبع في النهاية بعد أربع سنوات من وفاته هو، أي في عام 1634. والغريب أن كل جملة مُلِئت بالحواشي لبيان المصدر الصحيح لكل فكرة من أفكاره الأدبية في عام 1609. كان الغرض الظاهري من هذا هو إظهار أن حبكته عن ديوراكوتَس ووالدته فِيولِكسهِلْدَه لا علاقة لها على الإطلاق به وبأمه، بل بكتبٍ قرأها أو أشياء عملها في پراغ. لم يُطبَع أي اعتذار آخر في الهامش من هذا النوع من قبل. شكلت هذه الحواشي نصاً قائماً بذاته، وهو أول نص تَشَعُّبي في العالم، لبيان سخافة الاضطرار إلى إثبات مصادر كتاباته في پراغ.

أراد كپلر أن يكون دقيقاً في تتبع مصادر إلهامه. في الحقيقة اعتمد، كدأبه، على أنواع متنوعة تتراوح ما بين الفلسفة القديمة إلى أدب الرحلات المعاصر والإثنوغرافيا التي جمعت معلومات مُشَوِّقة عن بلدان نائية. لم يكن بإمكانه من لِنس التحقق من كل مرجع. على سبيل المثال، أشار في إحدى الحواشي أنه أخذ فكرته عن الأب الآيسلندي الفائق القوة من كتاب جورج بيوكانَن «تاريخ إسكوتلندا» وجزر أوركني، إذ يذكر الكتاب أن «صياد سمك عمره 150 عاماً أنجب عدة أطفال من زوجة شابة». في الواقع، شَوَّق بيوكانَن قراءه بقصة رجل تزوج وعمره 100 عام، وما زال يخرج على متن قارب وقد بلغ 140 عاماً[498].

مع هذه المنغصات الصغيرة، أظهرت قائمة المراجع أن إبداع كپلر الأدبي استقى من مَعين ثَرٍّ من الكتب بالإضافة إلى أحاديثه الكثيرة مع الناس. يبدو أن بيئة پراغ توقعت تقريباً من كپلر أداءً يتناغم مع الافتتان بكل ما هو باطني، لكنه لم يحاول إخفاء ذلك. فلعقود من الزمان، انجذب العديد من الأشخاص في أوساط البلاط الفكرية إلى الاستقصاءات القَبّالية التي ترى في الأرقام والحروف العبرية دلالات باطنية، حتى إنّ رودولف الثاني كان يراسل فردرك، دوق ڤيرتمبيرغ، حول كتاب بالعبرية يقال إنه يمتلكه. وكان كپلر نفسه يعرف العبرية. نحو عام 1600، ازدهرت الحياة الفكرية اليهودية في الحي اليهودي في پراغ بوجود ممولين مؤثرين وتجار ذوي علاقات دولية تحت القيادة الثقافية للحاخام الأكبر يهوذا لو بن بتسلئيل. كان الحاخام على دراية باستقصاءات چيخو بْرا وكان رجلاً مثقفاً للغاية يسعى لتحقيق الانسجام والتعليم الشامل. توفي بتسلئيل عام 1609، عندما كان كپلر ينكبُّ على دراسة أطروحة اليسوعي مارتن دِل ريو عن السحر ويؤلف كتاب «الحلم»[499]. كانت الكلمة التي استخدمها كپلر في هذا الكتاب للقمر هي «لِبانا» إذ إن «الكلمات العبرية، لكونها غير مألوفة لآذاننا، توحي بالرهبة ويُوصى بها في الفنون الباطنية»[500]. بل إن كپلر اعترف في عام 1608 أنه بدأ مشروعاً صغيراً في

«القَبّالة الهندسية»، مع أنه أضاف على الفور أن هذه الرموز في فلسفته الطبيعية لم تنجح قط في الكشف عن أي سر ولم ينس قط أنه كان يلهو فحسب[501]. في بلاط رودولف وفي المجتمع الراقي في پراغ، أدى هذا الاهتمام بالأمور الباطنية إلى افتتان مماثل بعالم الأرواح الإسكندنافي القديم.

***

يصف المقطع الأكثر إيحاءً في مقدمة «الحلم» كيف تجلس الساحرة فِيولِكسهِلْدَه على مفترق طرق لاستدعاء عفريت العلم اللطيف:

ابتعدت أمي مني وذهبتْ إلى أقرب مفترق طرق. ثم نادت واكتفت ببضع كلمات تبوح من خلالها بمرادها. وبعد انتهاء المراسم، عادت، وأشارت بكف يدها اليمنى الممدودة تأمرني بالصمت، وجلستْ بجانبي. ما إن غطينا رأسينا بالقماش (بحسب العهد الذي بيننا) حتى سمعنا صوتاً أجشَّ لا يكاد يبين.

استخدم كپلر ما لا يقل عن سبع حواشٍ ختامية للتعليق على هذا المقطع القصير. فأوضح أن علم الفلك يمتلك سمات تتوافق مع الاحتفال السحري. وهو بالتأكيد ليس تمريناً عفوياً، بل يتطلب عملية درامية من «التأني واستعادة الأفكار والكلمات المقررة». لوضع هذا النص في سياق آخر، روى كپلر أنه خلال سنواته في پراغ «كان يقوم بإجراء خاص فيما يتعلق بمراقبة معينة». كان الرجال أو النساء يأتون لمشاهدته وهو يقوم بتجربة في المنزل. كان يختبئ عنهم أولاً في زاوية من الداخل، ويحجب ضوء النهار، ثم يصنع «من فتحة صغيرة جداً كُوَّةً صغيرةً»، ثم يعلق «ملاءة بيضاء على الجدار». في هذه المرحلة فقط يدعو جمهوره لمشاهدة عمل الكاميرا ذات الثقب الدقيق. ثم يعلن، «كانت هذه هي احتفالاتي، وهذه هي طقوسي». قال كپلر عن عروضه البصرية إنها لعبة سحرية، وتحدى قراءه قائلاً:

هل تريدون شخصيات أيضاً؟ كتبتُ بأحرف كبيرة بالطبشور على السبورة السوداء ما أظن أنه يناسب المتفرجين. كان شكل الحروف مقلوباً

(وهذا هو الطقس السحري)، كما تُكتَب العبرية. علقتُ هذه السبورة ذات الأحرف المقلوبة في الهواء الطلق في ضوء الشمس. نتيجةً لذلك، عُرِض ما كتبته في الجانب الأيمن العُلوي على الجدار الأبيض من الداخل. إذا حرك النسيم السبورة في الخارج، فإن الحروف الموجودة بالداخل تتذبذب جيئةً وذهاباً على الجدار بحركة غير منتظمة[502].

يمكن التلاعب بالضوء لجعل العبرية مقروءة - وكان يعلم أن البصر يتميز بتشويهه للرؤية.

واعترف كپلر أيضاً بأنه حتى فكرة مد الساحرة كفَّ يدها اليمنى لتأمر ابنها بالصمت بعد الانتهاء من ترنيمة العفريت مستوحاة أيضاً من ممارسته هو في پراغ: «اعتدتُ على إضافة هذه الألعاب بعينها أيضاً التي استمتع بها المتفرجون أكثر لإدراكهم أنها ألعاب».

أنهى عالم الفلك تعليقه باستفزاز القراء وهو يشرح فكرته بأن الأم والابن كان لا بد أن يغطيا رأسيهما عندما رأيا العفريت يكشف رؤاه: «بهذا الطقس الرائع جداً (يا له من سحرٍ ساحرٍ!)، قبيل تصوري لمخطط هذا الكتاب، شاهدنا كسوفاً للشمس في 12/2 أكتوبر 1605». كان هو ومبعوثون من الكونت بَلاطين نُويبورغ على شرفة الجناح في حديقة رودولف يخلعون معاطفهم لحجب ضوء النهار»[503]. بمعنى آخر، لم يكن هذا احتفالاً سحرياً، بل مجرد أداة عملية. كان كل شيء مجرد مسرحية.

كان لا بد من إظهار النتائج العلمية للجمهور من أجل تأمين الرعاية. كان لهذه الجماهير توقعاتها الخاصة التي كان سعيداً بتلبيتها، مثل أي شخص آخر في موقعه. تبين أن تحدي كپلر الساخر هو أن الممارسات السحرية لا يمكن فصلها جذرياً عن المستويات العليا للفلسفة الطبيعية.

بالطبع، السحر أكثر من مجرد لهو، إذ أكدت حاشية أخرى أنه لا يمكن اكتساب علم السماء إلا من خلال السماح للعقل بالمرور عبر «ظل الأرض»،

حيث تسكن الأرواح الشريرة. في هذا الصدد، كان من الضروري مراقبة كسوف الشمس وخسوف القمر، مع أن هذا يعني تعريض النفس مباشرةً لظاهرة لا ريب أنها تجلب الكثير من الكوارث للبشرية، وهو ما يؤيد المبدأ القائل إن الظلام يشجع الأرواح الشريرة على مهاجمة الأرض[504].

***

اعتقد كپلر أن هذه الأرواح الشريرة حقيقية، تماماً مثل الأرواح الطيبة التي لم تمارس السحر الضار قط بل تعزز المعرفة. في إشارته إلى كتاب أولاوس ماغنوس المهم «تاريخ شعوب الشمال»، الذي أثبت شيوع السحر في الدول الإسكندناڤية، أضاف كپلر أن «الضوء الخافت والليالي المستمرة» في تلك البلاد تساعد أيضاً على تكوين الأرواح الطيبة. كما تشجع ساعات العمل القصيرة هناك على التفلسف في أوقات الفراغ حتى إنّ يوليوس فردرك، دوق ڤيرتمبيرغ، عَجِب كثيراً في رحلاته الأخيرة حين وجد أناساً «متعلمين جداً» في الشمال ومستعدين «لنقل فلسفتهم إلى الغرباء»[505].

قدَّم كپلر الآن الأرواح التي كانت والدته تتحدث معها بوصفها رمزاً للمعرفة التجريبية. فهي العلوم التي تكشف أسباب الظواهر. وقد سماها الشياطين (daemones)، من الكلمة اليونانية (daemon). شرح كپلر هذا المصطلح - المشتق من كلمة (daiein) التي تعني المعرفة - شرحاً علمياً واستناداً إلى أفلاطون[506]. يمثل هذا التلميح بالضبط تلك النباهة اللغوية التي تميز بين من يفقهون هذا المصطلح وبين من لا يفقهونه، في البيئة الفكرية المحتدمة في بلاط رودولف الثاني في پراغ. وهناك معنى ضمني آخر هو أنه لا أحد يعجز عن رؤية ما وراء المعنى الحرفي للمصطلح إلا حلاق توبنغن.

كانت الحواشي الختامية الأخرى في هذا التنقيح الفائق لمخطوطته القديمة ساخرة أو مازحة وليست واقعية من الناحيتين التاريخية أو الفلسفية. فهي تنتمي إلى عالم فكري مفقود استطاعت فيه مجموعة من النكات،

نُشرت عام 1603، أن تميز بين النكات المسلية والأمثال البارعة والنكات اللاذعة والمجاملات التي لا تُنسى والقصص المضحكة والأشعار المناسبة وألغاز الريف والطرائف والنكات الفاحشة. كان كل كتاب مدرسي في البلاغة في ذلك العصر يُنمّي القدرة على هذا الاستعراض الذكي لغرض الإبهار في حفلات العشاء أو العمل[507]. وهكذا استخدم كپلر إحدى الحواشي لشرح نكتة فاحشة عن بدانة معلمه مِستلين في مقابل عقله الرقيق: «كلما خف الوزن الذي يحمله المرء على عظامه الرقيقة، كان طيرانه إلى مثواه السماوي أسرع». ولما كان مِستلين ثقيلاً، فقد تمسك بالأرض وبمنصبه في توبنغن إلى أن بلغ من الكبر عِتِيّا[508]. وفي مناسبة أخرى، كتب كپلر قصيدة لطالب دكتوراه في الطب تخيَّله فيها كأنه هيكل عظمي يذوي.

مع أن هذه العقلية قد تكون غريبة جداً بالنسبة إلينا حتى إنّنا نعجز عن فهم المضحِك في هذه النكات، فقد شجعت بلا ريب النباهة الذهنية، والمخاطرة الخيالية، والمعارضة الساخرة للسلطات، والتكهنات المرحة في الثقافة الفكرية في ذلك العصر. كان كل المختصين بالدراسات الإنسانية يُشجَّعون على قرض الشعر والحِكَم للتعبير عن هذه المشاعر. إذن، كانت هذه تعليقاً جمالياً على الوضع الإنساني بقدر ما هي شهادة عليه. أما عن اعتقاد فِيولِكسهِلْدَه أنها نقلت كل معرفتها إلى ابنها، فقد علق كپلر على ذلك بقصيدة قصيرة ليوحي أن هذا شاهد على آثار التفكير الحالم والوهم اللذين يتركان البشر في حيرة إزاء الحدود بين الحقيقة والوهم:

سائق العربة يحلم بعربة،

ويحلم القاضي بمعركة قانونية.

والمال الذي تسعى إليه نهاراً،

تكسبه في الليل[509].

في حواشٍ أخرى، أقر كپلر صراحةً أنه لا يستطيع الآن تذكر سبب كتابته شيئاً معيناً خلال إقامته في پراغ. وقدم فرضيات معقولة عما دفعه، حينها، ليفكر في شيء ما، أو انتقد أسلوبه[510]. أدى هذا إلى تقويض أي فكرة مثالية ترى أن العبقرية العلمية أو العلم متجذران فقط في الفكر الموضوعي الذي يمكن أن يكون محدوداً. وقد حاجَّ كپلر في السابق بأن تأمل الفيلسوف الطبيعي لا بد أن يكون صادقاً بشأن الشكوك والأخطاء. وهذا الوصف يجعل النشاط الفكري مهارةً تنمو طوال حياة أي شخص. فهو مرتبط بالبيئة والذاكرة بدلاً من أن يكون شيئاً موضوعياً يمكن التحكم به. تمكّن كپلر من طرح كتابه «الحلم» بوصفه «نتاج وقت ومكان وتجربة محددة»[511]، كل ذلك بفضل تمحيص الذات الذي يتميز به كپلر وقدرته على اتخاذ موضع لنفسه في التاريخ.

ظلت ملحوظات كپلر تبين كيف تطورت أفكاره فيما يتعلق بتلقي الجماهير لأفكاره، في عملية تواصل تتوقع ردودهم. ووفقاً لهذا المبدأ، أشارت الحواشي الختامية أيضاً إلى قراء مختلفين، باستخدام الكلام المباشر عدة مرات، كأنه يتخيل نفسه يتحدث بالفعل مع متعاونين سابقين وحاليين: «لدي مستند قديم جداً، كتبته أنت، يا كرستوف بِزولد الأغرّ، بخط يدك ... في سنة 1593، بناءً على مقالاتي ...» كان هذا عندما درسا في توبنغن؛ أو بمخاطبة أرواح من شهدوا شيئاً معه: «تتذكرون، أيها المبعوثون». وهاجم الجهلة في الجامعات وغيرها الذين ما زالوا يتعامون عن اكتشافات كوپرنيكوس وغاليليو واكتشافاته هو - وكلها قائمة على أساس من الأدلة المعقولة المستمدة من المشاهدات التجريبية والقراءة النقدية.

***

وبذلك أكد كپلر نهجه المميز لكيفية معرفة أي شيء. فبدلاً من الدفاع عن عقلية آلية تحليلية بحتة قائمة على اليقينيات الرياضية، دعا إلى استعمال

التخمين والتخيل جزءاً من التفسيرات السببية المنطقية. أوضح كتاب «الحلم» أن جميع المعارف المسلَّم بها تتوافق مع الخيال المحدود لسكان الأرض: «لذلك لو نقلنا الخيال إلى مجال آخر، فلا بد من فهم كل شيء في شكل متغير»[512]. اعتمدت المشاهدة التجريبية المستنيرة على مفهوم المصداقية المبني بعناية، وقد حاجَّ كپلر في عام 1604 أن الله وضع البشر على أرض دوارة لكي يتغير تصورهم دوماً[513]. لذلك من المهم أيضاً أن نقرأ المعارف السابقة والحالية ونضعها في سياقها. ولا بد من مناقشة جميع النتائج بأريحية لصالح البشرية وحمداً لله. لكن الطبيعة البشرية متجذرة في احتياجات يصعب دوماً فرزها بدقة بين «دينية وسحرية». وهذا قاد كپلر إلى التشكيك «باستقلالية العلم الأسطورية» - من خلال الإشارة، كما رأينا، إلى أن الفلاسفة الطبيعيين يُطلِعون الجمهور على نتائجهم لإقناعه بوسائل يمكن تسميتها سحرية وليست تحليلية ومحضة[514]. بل الأكثر تطرفاً هو أنه يصر على أن «العلم نشأ من الخرافة في المقام الأول»، إذ نما علم الفلك من الإيمان بالعِرافة والحاجة البشرية للتنبؤ بالمستقبل. فمعرفة الإنسان للطبيعة هي استجابة لأسئلته عن الحياة، فلا يمكن إبعادها بالكامل عن المشاعر[515].

يلخص «الحلم» مخاوف كپلر من أن يُساء فهمه. كما يعبر عن احتمال أن تقفز أفكاره التي عبر عنها بحروف مطبوعة من الصفحة لتشكل الواقع. فالأرواح الشريرة أخذت كلماته لتؤذيه وعائلته. مع أن كل ما أراد تحقيقه بعلمه هو السلام والتمتع المستبشر بخلق الله لصالح البشرية، بالإضافة إلى الاعتراف الشخصي ومزيد من الأجر، بصراحة[516].

***

بالإضافة إلى تحشية كتاب «الحلم»، أمضى كپلر السنوات التالية وهو يحاول إكمال «الأزياج الرودولفية» وطباعتها. في عام 1625، عاد إلى شوابيا وتوبنغن للمرة الأولى منذ المحاكمة. بحلول عام 1626، في أعقاب تشديد

الضوابط الكاثوليكية في لِنس، حُدَّت كثيراً مقدرةُ كپلر على الوصول إلى كتبه. فغادر المدينة مع عائلته في نوفمبر ليعيش في أولم، حيث طُبعت «الأزياج الرودولفية» في النهاية. وعلى الرغم من كل الصعوبات، ملأه هذا بالحماس، فكتب إلى شِكارد في أبريل 1627: «إما الآن وإلا فلن أفعل أبداً». وبحلول سبتمبر 1627، انتهى العمل.

لكنه كُرِّم في ذلك الشتاء في پراغ، ووُعِد بمبالغ كبيرة على الورق، وقيل له إن بإمكانه أن يعود إلى پراغ بصفة عالم رياضيات إمبراطوري إذا اعتنق الكاثوليكية. كما التقى بألبرشت ڤُن ڤالنشتاين، القائد العسكري الإمبراطوري المنتصر وممول الحرب العدواني الذي كان قد مُنِح للتو دوقية زاغان الصغيرة في سيليزيا السفلى. كان ڤالنشتاين في طليعة مؤجِّجي الصراعات التي كانت وراء حرب الثلاثين عاماً. فقد كان هو من ابتكر سياسة استخدام المناطق المحتلة لإطعام الجُند، وهو ما أدى إلى إطالة أمد الصراع بأكمله. كان كپلر قد نجح مرتين من قبل في قراءة برج ڤالنشتاين، فعرف شخصيته الإشكالية جيداً. ومع ذلك، حين عرض عليه القائد أن يستضيفه بصفة باحث في زاغان، ويسدد ما تبقى له من رواتب في ذمة الإمبراطور، ويدفع له راتباً سنوياً محترماً أيضاً، قبل كپلر الصفقة. ارتبطت التقلبات الكبرى طوال حياته، صعوداً وهبوطاً، بما يتقاضاه من أجر أو لا. بالإضافة إلى ذلك، كانت زاغان في سيليزيا التي ظلت متسامحة نسبياً في الأمور الدينية.

انتقل كپلر وعائلته إلى زاغان في يوليو 1628، حيث سرعان ما نفذ ڤالنشتاين تدابير الإصلاح المضاد، وكان لا بد لكپلر من جديد أن يفاوض على شروط خاصة بسبب معتقداته الدينية[517]. كان مشروعه الأول في هذا المكان المعزول هو تأسيس مطبعة، وقد وصلت عام 1630، فطبع «الحلم» على الفور. كان لودڤغ، ابنه الأكبر، لا يزال يدرس الطب في أفضل الجامعات البروتستانتية. في شهر مارس، تزوجت ابنته الكبرى سوزانا من عالم رياضيات موهوب ولطيف للغاية يُدعى بارْتش، وكان بإمكانه أن يصبح مساعداً

لكپلر. ساعد بيرنِغَر في تنظيم حفل زفافهما في ستراسبورغ الذي حضرته أخت كپلر وأخوه: مارغريتا وكرستوف. كان يوماً رائعاً، كما ذكر بيرنِغَر في رسالة بطريقته السخية المعتادة، واحتفالاً كبيراً باسم كپلر. كانت هذه مناسبة يلتقي فيها جميع أفراد الأسرة من جديد للمرة الأولى بعد وفاة كاترينا، إلا أن كپلر نفسه لم يتجشم عناء السفر الطويل من سيليزيا. في أبريل، وُلِدت له طفلة أخرى وكان كپلر، البالغ من العمر الآن تسعة وخمسين عاماً، مشغولاً بمساعدة زوجته والاستعداد لتعميد الطفلة.

عندما أقال الإمبراطور الدوق ڤالنشتاين مؤقتاً في سبتمبر، قلق كپلر مرة أخرى بشأن وضع أسرته المالي. فكانت عليه ديون لا بد من دفعها لأصحاب المطابع، ولم يتبق لديه الكثير من النقود. أخذ كپلر المال المتبقي وفرساً هرمة لتعقب ڤالنشتاين ليقدم له عمله الضخم الذي أنجزه تحت رعايته. ارتدى ملابس سفره المتينة: معطفاً من الصوف الأسود ورداءً وقبعة ذات بطانة خشنة وجوارب بنية وقبعة من اللباد وحزاماً جلدياً قديماً وبسطاراً ومهمازين ومسدساً وقارورة بارود، فلم يصل إلى ريغنزبورغ الكاثوليكية إلا بحلول أوائل الشتاء. لكن الإرهاق كان أكثر من أن يُطاق. أصيب يوهانس كپلر بحمى شديدة، فمات في نوفمبر 1630. وفي غضون أيام، دُفن في المقبرة اللوثرية خارج أسوار المدينة، «لقياس الظلال الأرضية» بينما «ارتقى عقله إلى السماء»، كما تقول الأسطر الشهيرة التي ألَّفها تحسباً لوفاته.

واصلت أسرته الكفاح من أجل المال وطباعة أعماله، بما في ذلك «الحلم». في عام 1634، وقفت سوزانا، أرملة كپلر الفقيرة، في معرض فرانكفورت، لعلها تبيع الأطروحة اللاتينية القصيرة التي لم تفهمها. كانت صفحة عنوانها بسيطة للغاية. احتلت المقدمة عن ديوراكوتَس ووالدته فِيولِكسهِلْدَه أربع صفحات بأحرف مائلة صغيرة مضغوطة. لم يكن هذا عملاً مثل أي عمل آخر، لأن هناك خمسين حاشية تتزاحم، على نحو غريب، على المكان عند كل منعطف. طُبِعَت حكاية الشيطان الخيالية العلمية عن القمر

بخط أكبر. مثل الحلم نفسه، بدا المؤلّف بأكمله غريباً عن هذا العالم، كأنه تحفة، مع أن ابن كپلر لودڤِغ كتب مقدمةً وإهداءً إلى مورِتس فُن هِسن كاسل. لم تبق منه إلى يومنا هذا إلا نسخ قليلة[518]. دفنت سوزانا ولدين آخرين قبل وفاتها هي عام 1638، تاركة ابنتيها يتيمتين. أما ابنا كپلر البالغان من زواجه الأول، لودڤِغ وسوزانا، فقد عاشا حياة طويلة وأنجبا العديد من الأطفال. حرص لودڤِغ على حفظ الآلاف من أوراق أبيه المليئة بالعلامات والكلمات والرسومات والحسابات.

ماذا حدث للرجال والنساء الآخرين الذين مرّ ذكرهم في هذا الكتاب؟ تزوج الزجّاج زوج أورزُلا راينبولد بعد مرور ثمانية أشهر على وفاتها، وفي عام 1655، مات عن عمر يناهز خمسة وثمانين عاماً[519]. وظل الحاكم لوتيروس آينهورن في منصبه حتى عام 1629، وتعاون مع كرستوف كپلر، الذي أصبح أحد قضاة المحكمة الجنائية في ليونبيرغ عام 1625، حتى من دون أن يخدم في هيئة القضاء في البلدة، مع أنه لم يكن ثرياً، ولا تربطه صلات عائلية بالقضاة الآخرين، ولا تدرب على مهنة الكاتب. كان هذا تكريماً خاصاً. أخيراً حقق صانع الأدوات القصديرية مراده في الحصول على أعلى درجات الاحترام في مجتمعه المحلي بالإضافة إلى حفظ النظام. احتفظ كرستوف كپلر بهذا المنصب مدة عام واحد قبل وفاته عام 1633، عن عمر يناهز السادسة والأربعين، وقد خَلَفه ابنه الوحيد، زيبالد، المولود في عام 1621، في حرفته وأصبح أيضاً عمدة بلدة محلية[520].

***

عانت مدينة ڤيرتمبيرغ من تفشي وباء شديد ودُمرت في أعقاب معركة نوردلِنغن في صيف عام 1634، وهرب الدوق إلى المنفى. احتل الجنرال ماتياس غالاس، القائد العسكري الإمبراطوري، قلعة ليونبيرغ، حيث كانت زيبلّ وماريا تُعِدّان الأدوية لمساعدة المحتاجين ذات يومٍ. بحلول عام 1635،

قتل الطاعون نصف سكان ليونبيرغ. في روسفالدن، لقي غِيورغ بِندر مصرعه عام 1634 بعد أن هاجمه جنودٌ غُزاةٌ واعتدوا عليه.

من بين كل من كان له ضلع في محاكمة كاترينا، عُمِّرت مارغريتا كپلر الأكثر بينهم، وعلى الرغم من كل صعوبات العصر، اتخذت حياتها أروع منعطف. ظلت تتراسل مع شقيقها يوهانس في زاغان حتى قبل عام من وفاته، وحرصت على مساعدة ابنته الكبرى في الالتقاء بالرجل المناسب والزواج منه[521]. وعندما مات بِندر، عادت مارغريتا إلى المنطقة المجاورة لشتوتغارت لتتزوج غِيورغ كونراد مايكلَر، وهو قس لوثري أيضاً وأحد أبرز الشعراء الروحيين في ڤيرتمبيرغ.

درس مايكلر (1574-1647) اللاهوت في توبنغن، وخَدَم أبرشيته بأمانة في فِلباخ التي انضم إليها عام 1610. فقد عمَّد 1583 طفلاً، وعقد القِران في 580 حفل زفاف، ودوَّن 2566 حالة وفاة في سجلات كنيسته بكل عناية ودقة، ورثى خسائر المجتمع الفادحة التي حصدها الطاعون خلال حرب الثلاثين عاماً. كان مايكلر قد شرع في تأليف قصائد روحية مهمة باللاتينية وهو طالب في المدرسة، وكُرِّم لاحقاً في حياته بلقب أمير الشعراء، وكوفئ بشعار نبالة خاص به. نُشرت أعماله المجموعة قبيل زواجه من مارغريتا، وخلال زواجهما ظل يضيف إليها قصائد جديدة. توفي عن ثلاثة وسبعين عاماً، وكان رجلاً معروفاً ومحترماً. تصوره لوحة معلقة اليوم في كنيسته في فِلباخ مع صفٍّ من أربع زوجات ورعات، كانت مارغريتا آخرهن.

ألَّفت مارغريتا قصيدةً بالألمانية نابعةً من القلب تكريماً لذكراه، وكانت مفرطةً في مشاعرها الروحية، إذ تصف فيها كيف استمدت من القيثارةِ الشَّجاعةَ للاستمرار بعد وفاة زوجها ولترقُّبِ نعيمِ الجنة في الآجلة. بينما كانت كاترينا تتطلع إلى الأبدية لتنال العدالة في النهاية، ربطت ابنتها مصيرها إلى الموت بلغة المشاعر والقوة والانتماء. بخلاف جيل والدتها، الذي ظل عادةً أمياً، استغلت مارغريتا طوال حياتها الفرص التعليمية المتاحة في ڤيرتمبيرغ.

وحين بلغت الستينيات من عمرها، صارت توقع باسم «مارغريتا مايكلر، كپلر سابقاً» افتخاراً باسم عائلتها[522].

***

ستظل حرب الثلاثين عاماً الخطر الوحيد على تلك «العقلية الرائعة» التي ولّدتها الإصلاحات الألمانية: التسامح الديني العام مع اللوثريين والكالڤينيين والكاثوليك في الإمبراطورية، والسماح بوجود طائفة فقط من هذه في كل إمارة. في عام 1648، أعاد صلح وستفاليا نظام حكم معقداً استطاع أخيراً أن يتعامل مع التوترات ويحافظ على الحكومات غير المركزية المحدودة. استمرت معارك الجِدال، لكن ألمانيا لم تخض حرباً دينية مرة أخرى بين ولاياتها[523]. فقد باتت الأراضي الألمانية الكبرى حجماً تسيطر أكثر فأكثر على المسؤولين المحليين، وتفرض عليهم الإبلاغ عن الإجراءات القانونية والمثابرة على اليقظة. قاوم المشتبه بهم. وهذا يضع تجربتهم في صميم التاريخ الألماني وقصص النضال من أجل العدالة في عوالم الماضي.

خاتمة الكتاب



الصورة 29. نُصب كاترينا كپلر التذكاري في إلتِنغِن. © أولنكا روبلاك.

قائمة الاختصارات

لمزيد من الاطلاع والمشاهدة

كلمة شكر

- يود المترجم أيضاً أن يشكر د. موسى رحوم عباس لمراجعة فصول الكتاب كاملةً، كما يشكر المؤلفة لتفضلها بجلاء بعض العبارات الغامضة.

Notes

[1←]

عن قضية دفاع أغريّا فُن نِتِسهايم المزعوم عن امرأة سنة 1520 التي يُستشهد بها كثيراً، انظر: Vera Hoorens, Hans Renders, ‘Heinrich Cornelius Agrippa and Witchcraft: A Reappraisal’, Sixteenth Century Journal, 43/1 (2012), 3-18.

[2←]

Friedrich von Spee, Cautio criminalis, or, A book on witch trials, transl. Marcus Hellyer, (Charlottesville: University of Virginia Press 2003). عن الشخصيات المتورطة بالسحر، انظر: Wolfgang Behringer, Witches and Witch-Hunts: A Global History (Cambridge: Polity, 2004), 149-58; William Monter, ‘Witch Trials in Continental Europe 1500-1600’, in B. Ankerloo, S. Clark, and W. Monter, eds, The Period of the Witch Trials (London: Athlone Press, 2002), 1-52; and Brian Levack, The Witch-Hunt in Early Modern Europe, 3rd edn (Harlow: Pearson Longman, 2006), 21.

[3←]

Patrick J. Boner, Kepler´s Cosmological Synthesis: Astrology, Mechanism and the Soul, Leiden: Brill 2013, 171.

[4←]

Frisch, Opera, 364.

[5←]

KGW, vol. 13, 20; Max Caspar and Walther Dyck, eds, Johannes Kepler in seinen Briefen (Munich: Oldenburg, 1930), vol. 1, 16, to Mästlin, 18.1.1595.

[6←]

Lyndal Roper, Witch-Craze: Terror and Fantasy in Baroque Germany (New Haven: Yale University Press, 2004), esp. ch. 7; Charles Zika, Appearances of Witchcraft: Visual Culture and Print in Sixteenth-Century Europe (London: Routledge, 2005), ch. 3.

[7←]

كانت المنطقة تسمى ڤيزنشتايغ. جدد المشككون الاعتراضات السابقة وطوروها. كان واعظ ستراسبورغ غايلَر فون كايزرزبيرغ قد زعم عام 1508 أن الساحرات يعتقدن أن أحلامهن حقيقية، المصدر رقم 71 في: Wolfgang Behringer ed., Hexen und Hexenprozesse in Deutschland (Munich: Deutscher Taschenbuch Verlag, 1988), .113-14

[8←]
H. C. Erik Midelfort, ‘Johann Weyer in medizinischer, theologischer und rechtsgeschichtlicher Sicht’, in Hartmut Lehmann and Otto Ulbricht, eds, Vom Unfug des Hexen-Processes: Gegner der Hexenverfolgung von Johann Weyer bis .Friedrich Spee (Wiesbaden: Harrassowitz, 1992), 53-64

[9←]
Tractatus de confessionibus maleficiorum et sagarum, Trier 1589, translated as Bekantnuß der Zauberer und Hexen: Ob und wie viel derselben zu glauben (Trier: .’Bock, 1590), 180, ‘Der fünffte Beschluß

[10←]
تُرجمت أطروحة بودان عام 1580 المعنونة De la démonomanie des sorciers إلى الألمانية بعد ست سنوات وأصبحت ذات تأثير خاص على القضاة الألمان. انظر مناقشة ستيوَرت كلارك القضائية: Stuart Clark, Thinking with Demons: The Idea of Witchcraft in Early Modern Europe (Oxford: Oxford University Press, 1997), final chapter, 668-82, as well as Jean Bodin, La démonomanie des sorciers, 4th edn. (Lyon: Antoine de Harsy, 1598), and Claudia Opitz-Belakhal, Das Universum des Jean Bodin: Staatsbildung, Macht und Geschlecht im 16. Jahrhundert (Frankfurt am .Main: Campus, 2006)

[11←]
Robin Briggs, The Witches of Lorraine (Oxford: Oxford University Press, 2007), 51 and graph.2.1; Nicolas Rémy, Demonolatry, trans. Montague Summers (London: J. .Rodker, 1930, first published in 1595)

[12←]
Martin Del Rio, Investigations into Magic, ed. and trans. P. G. Maxwell-Stuart .(Manchester: Manchester University Press, 2000), 252 and, on judges, 276

[13←]

Wolfgang Behringer, Witchcraft Persecutions in Bavaria: Popular Magic, Religious Zealotry and Reason of State in Early Modern Europe (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), 195.

[14←]

Johann Georg Sigwart, Ein Predigt vom Hagel und Ungewitter ... (Tübingen: J. A. Cellio, 1613), 10-16, 18-21, 27; H. C. Erik Midelfort, Witch Hunting in Southwestern Germany 1562-1684: The Social and Intellectual Foundations (Stanford: Stanford University Press, 1972), ch. 3; Sabine Holtz, Theologie und Alltag: Leben und Lehre in den Predigten der Tübinger Theologen 1550-1750 (Tübingen: Mohr Siebeck 1993), 281-2. تُعَد خطب يوهن غيورغ زغڤارت ممثلة لهذا النوع. اتبع كپلر هذا التصور عن العناية الإلهية الذي عززه في جامعة توبنغن أستاذه ياكُب هيربراند. انظر: Charlotte Methuen, Kepler’s Tübingen: Stimulus to a Theological Mathematics (Aldershot: Ashgate, 1998), 57.

[15←]

Midelfort, Witch Hunting, 36-55; Sönke Lorenz, ‘Einführung und Forschungsstand: Die Hexenverfolgung in den südwestdeutschen Territorien’, in S. Lorenz and J. M. Schmidt, eds, Wider alle Hexerei und Teufelswerk: Die europäische Hexenverfolgung und ihre Auswirkungen auf Südwestdeutschland (Sigmaringen: Thorbecke, 2004), 195-212; and figures for Württemberg from 1497 to 1750 in Anita Raith, ‘Herzogtum Württemberg’, in Lorenz and Schmidt, Hexerei, 225.

[16←]

لقد وقعوا ضحية لأميرٍ معادٍ للإصلاح المضاد، وهو أيضاً رئيس كنيسة، وسرعان ما رُقِّيَ إلى منصب أمير أسقف، وكان متحمساً لمكافحة الشر. اعترف بعض المتهمين بتحالفهم مع الشيطان فقط لينجوا من التعذيب؛ للحصول على قائمة المتهمين من الرجال والنساء، انظر المصدر رقم 166 في: Wolfgang Behringer ed., Hexen und Hexenprozesse in Deutschland (Munich: Deutscher Taschenbuch Verlag, 1988), 252.

[17←]

يتحدث كتاب ماكس كاسپر، Kepler، الذي حققه وترجمه سي دي هِلمَن (نيويورك: دوڤر، 1959)، 255، عن الهوس، لكنه كتب كتابه هذا قبل بدء البحوث الجدية حول اضطهاد الساحرات في سبعينيات القرن العشرين. الكتاب الوحيد باللغة الإنجليزية الذي يدعي أنه يعالج المحاكمة كتاب إشكالي: James A. Connor, Kepler’s Witch: An Astronomer’s Discovery of Cosmic Order Amidst Religious War, Political Intrigue, and the Heresy Trial of his Mother (San Francisco: HarperCollins, 2004). للاقتباس

المعني انظر الحاشية 17 أدناه. يفتقر هذا الكتاب إلى التعاطي الحقيقي مع الأدبيات المتعلقة بالسحر والجندر في ألمانيا، وقد اعتمد المؤلف على مترجم لفهم وثائق المحاكمة.

[18 ←]

في عام 1605، قال كپلر إنه يرفض القول الشائع، «أنا أكره عامة الناس وأُبْعِدهم عني» كما رفض ادعاء العديد من الخيميائيين المتغطرسين بأن علمهم الحصري «مخصص لأبناء الحكمة».

KGW, vol. 15, 182; Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Herwart, .28.3.1605, 225

مع أن علاقته بالناس العاديين كانت في الواقع أكثر تناقضاً.

[19 ←]

KGW, vol. 15, 235; Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Heydonous in .London, October 1605, 249

[20 ←]

Boner, Cosmographical Synthesis, 2. هذا يتعلق باهتمامه القديم بكتابات أرسطو عن التجدد وبالفيلسوف الطبيعي البلجيكي في القرن السادس عشر كورنيليوس جِمّا. انظر: Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 11.10.1605, 250; KGW, vol. 15, 258. لدراسة آراء كپلر عن امتلاك الأرض روحاً، انظر أيضاً: Siegfried Wollgast, Philosophie in Deutschland zwischen Reformation und Aufklärung 1550-1650 (Berlin: Akademie Verlag, 1988), 221-63; Volker Bialas, Johannes Kepler (Munich: .Beck, 2004), 99-119; Clark, Thinking with Demons, 321-4

[21 ←]

KGW, vol. 14, 422; Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, to .Fabricius4.7.1603, 189

[22 ←]

عبر كپلر عن هذه الرؤية لحيوية الإنسان بشكل جميل في رسالة إلى مقاطعات ستيريا، ١/1596/5، لكن يبدو أن هذه الرسالة لم تُدرَج في أعمال كپلر المجموعة، KGW المجلد. انظر: Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 35; to Herwart .28.3.1605, Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 233; KGW, vol. 15, 187

[23 ←]

حول ما ألهمه للتفكير في الانتظام غير المنتظم من خلال الطبيعة تحت القمرية والحركة الميكانيكية، انظر: Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, vol. 2, 67, in marginal notes to a letter from Mästlin, 1.10.1616; vol. 1, to Fabricius, 1.8.1607; KGW, vol. 16, 14.

[24←]

Nicholas Jardine, The Birth of History and Philosophy of Science: Kepler's Defence of Tycho against Ursus, with Essays on its Provenance and Significance (Cambridge: Cambridge University Press, 1984), 278. لشرح وافٍ، انظر KGW، المجلد 1، 446-٨. النص برمته موجود في الصفحات 329-332، مع تعليق في الصفحات 459-461. للاطلاع على تعليق كپلر على احتمال الانحدار بسبب غزو البرابرة والانحدار بسبب أخلاق المتأنثين انظر KGW، المجلد 1، 208. في جدوله الزمني، امتدح رودولف الثاني بصفته أول إمبراطور تحت هذه الأبراج الخاصة بعد شارلمان الذي كُرِّست له الأطروحة بأكملها، 183. لمناقشة النجم الجديد، انظر أيضاً: Patrick J. Boner, ed., Change and Continuity in Early Modern Cosmology (Dordrecht: Springer, 2011).

[25←]

In 1604; Johannes Kepler, Schriften zur Optik 1604-1611, ed. Rolf Riekher (Frankfort am Main: Harri Deutsch, 2008), 79 في الإهداء إلى رودولف الثاني.

[26←]

«هل حدث من قبل في عهد الإمبراطورية الرومانية أن يبحر أسطول سارماتي أو ألماني من بلدان البحر الأبيض المتوسط ليجلب الذرة، فأدى ذلك إلى انخفاض أسعار الحبوب المرتفعة؟» Jardine, Birth of History, 278.

[27←]

أثنى كپلر على الهولنديين كما أثنى على الإسبان. ومع أن روايته شددت بشكل خاص على أهمية اختراع غوتنبيرغ للطباعة، إلا أن كپلر لم يصف هذا التقدم بنبرة وطنية، كما فعل العديد من الألمان الآخرين. حول تولي البروتستانت القيادة الوطنية الألمانية في 1619 من خلال إصلاح التعليم، انظر: Bruce T. Moran, The Alchemical World of the German Court: Occult Philosophy and Chemical Medicine in the Circle of Moritz of Hessen (1572-1632) (Stuttgart: Steiner, 1991), 107-9.

[28←]

Thomas Kaufmann, '1600—Deutungen der Jahrhundertwende im deutschen Luthertum', in Kaufmann, Konfession und Kultur: lutherischer Protestantismus in der zweiten Hälfte des Reformationsjahrhunderts (Tübingen: Mohr Siebeck, 2006), 420-3; A.-C. Trepp in L. Daston and M. Stolleis, eds, Natural Law and Laws of

Nature in Early Modern Europe (Aldershot: Ashgate, 2008), 129-31; Volker Leppin, Antichrist und Jüngster Tag: Das Profil apokalyptischer Flugschriftenpublizistik im deutschen Luthertum 1548-1618 (Gütersloh: Mohn, 1992). عن التعددية اللوثرية في القرن السابع عشر، انظر: Thomas Kaufmann, Dreißigjähriger Krieg und Westfälischer Friede. Kirchengeschichtliche Studien zur lutherischen Konfessionskultur (Tübingen: Mohr Siebeck, 1998), esp. 149.

[29←]

بدأت فرانسِس ييتس دراسة هذه الأفكار في كتابها: Rosicrucian Enlightenment (London: A R, 1986).

[30←]

Joachim Whaley, Germany and the Holy Roman Empire, vol. 2 (Oxford: Oxford University Press, 2012), 330-44.

[31←]

للحصول على مثال من ڤيرتمبيرغ مع صورة لخريطة الأنساب التي تعود إلى عمليات الإعدام في عام 1619، انظر: Anita Raith, 'Herzogtum Württemberg', in S. Lorenz and J. M. Schmidt, Wider alle Hexerei und Teufelswerk (Ostfildern, 2004), 235.

[32←]

هذا يعيد صياغة تعريف مارشَل سالِنز وإدواردو ڤيڤيروس دي كاسترو للقرابة في كتاب مارشَل سالِنز: What Kinship Is—and Is Not (Chicago: Chicago University Press, 2013), 1.

[33←]

يظل أفضلُ وصفٍ كتابَ: Walter Grube, Der Stuttgarter Landtag 1457-1957: Von den Landständen zum demokratischen Parlament (Stuttgart: Ernst Klett, 1957).

[34←]

للحصول على هذا والمعلومات التالية عن المسائل العائلية، راجع المعلومات المفصلة والمحقق منها في الأرشيف في: Gerd Wunder, 'Die Ahnen und Verwandten von Johannes Kepler', in Genealogisches Jahrbuch, vol. 19, 1 (1979), 121-46, here 138.

أعتقد أن كاترينا كپلر كانت على حق، ففي عام 1547 احتلت قوات هابسبورغ الإسبانية بقيادة دوق ألبا ليونبيرغ لمدة ثلاثة أسابيع.

[35←]

Sabine Holtz, Theologie und Alltag. Leben und Lehre in den Predigten der Tübinger Theologen 1550-1750 (Tübingen: Mohr, 1993).

درَّب هؤلاء اللاهوتيون بدورهم كل قساوسة الدوقية.

[36←]

في عام 1554، كان لا يزال لدى والدها أبناء من زواجه الأول، ثم تزوج مرة أخرى في عام 1585، ومن غير المرجح أن يظل، وهو عمدة وصاحب فندق، بلا زواج لمدة طويلة بعد وفاة زوجته الأولى. انظر: Wunder, 'Die Ahnen'.

[37←]

KGW, vol. 19, 313-14.

[38←]

Wunder, 'Die Ahnen', 122.

[39←]

نظر المؤرخون أيضاً في احتمال أن يكون هاينرش وكاترينا قد أقاما علاقة جنسية غير شرعية قبل زواجهما فأُجبِرا على الزواج لأنها كانت حبلى. لكن علامات الحمل لم تُعرف إلا في وقت لاحق في هذا العصر، إذ كان لغياب الدورة الشهرية تفسير مختلف. وقد ظلت كاترينا دوماً تتحدث عن مولد يوهانس قبل أوانه، وهذا القول يعني أنها كانت شريفة، لكن ضعفه الجسدي طوال حياته يبدو أنه يدعم ادعاء المؤرخين.

[40←]

تدرس شيلا أوجِلقي هذه المسألة بتعمق فيما يخص ڤيرتمبيرغ في كتابها: A Bitter Living: Women, Markets, and Social Capital in Early Modern Germany (Oxford: Oxford University Press, 2003).

[41←]

David Parrott, The Business of War: Military Enterprise and Military Revolution in Early Modern Europe (Cambridge: Cambridge University Press, 2012), 89-91.

[42←]

Helmut Breimesser, ed., Schwäbische Landsknechte: 'Lebensbeschreibung des Schärtlin von Burtenbach' und 'Burkhard Stickels Tagebuch' (Heidenheim: Verlagsanstalt, 1972), 117-44, quote 131.

[43←]

Volker Trugenberger, Zwischen Schloss und Vorstadt: Sozialgeschichte der Stadt علماً أن .Leonberg im 16. Jahrhundert (Vaihingen: Melchior Verlag, 1984), No. 167
1 مورغِن = 3316.0 هكتار.

[44←]
.HStASt, A 309, Blutbücher

[45←]
بدأ تسجيل محفوظات مدينة ليونبيرغ سنة 1630. Trugenberger, Zwischen Schloss, 23.

[46←]
.Trugenberger, Zwischen Schloss, 160

[47←]
Anneliese Seeliger-Zeiss and Volker Trugenberger, ‘ein seliges end und fröhliche ufferstehung’. Die Leonberger Grabmäler des Bildhauers Jeremias Schwartz in ihrer .sozial- und kunstgeschichtlichen Bedeutung (Leonberg: StAL, 1998), 46

[48←]
كان على كل مسيحي أن يعمل بجد وتفاؤل، وأن يحضر إلى الكنيسة بانتظام ويستمتع بالسلع الزمنية بطرق مناسبة، بدلاً من زيادة الأرباح أو اكتناز الثروة. انظر: Sabine Holtz, Theologie und Alltag: Lehre und Leben in den Predigten der Tübinger .Theologen 1550-1750 (Tübingen: J.C.B. Mohr, 1993), 225-9

[49←]
.Seeliger-Zeiss and Trugenberger, ‘ein seliges’, 80, in 1607

عن أثر الرخام، انظر الصفحتين 101-102؛ عن الوعظ ضد الرخام الحقيقي، انظر: Holtz, .Theologie, 151, on Heerbrand

[50←]
StAL, Stadt-und Amtsrechnung 1579/80, Gerlingen and Heimertingen, 100 Scheffel of .spelt each

[51←]
.Frisch, Opera, 417

[52←]

Paul Warde, Ecology, Economy and State Formation in Early Modern Germany .(Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 68

[53←]
.Trugenberger, Zwischen Schloss, 57

[54←]
Warde, Ecology, 81f., and R. Johanna Regnath, Das Schwein im Wald. Vormoderne Schweinehaltung zwischen Herrschaftsstrukturen, ständischer Ordnung und .Subsistenzökonomie (Sigmaringen: Thorbecke, 2008), esp. 270

[55←]
Warde, Ecology, 74, 126. ما لا يقل عن نصف الأسر كان لديها أبقار، وثلثها لديها خنازير، وربعها لديها أغنام، وربما لم تمتلك خُمس من الأسر أياً من هذه الحيوانات.

[56←]
.StAL, Gerichtprotokollum, October 1600, Meister Jerg Christoff

[57←]
.StAL, Armenkastenrechnung 1620; Vogt-und Rüggerichtsprotokolle 1619/20

[58←]
.Heinrich Theurer and B. Weißhaupt, see Trugenberger, Zwischen Schloss, Übersicht 20

[59←]
Trans. Caspar, Kepler, 174, to Herwart, 10.12.1604 , in Caspar and Dyck, Kepler in seinen Briefen, 208; KGW, vol. 15, 69. عن سياق مسؤوليات الرجال، انظر: Ulinka Rublack, ‘Pregnancy, Childbirth and the Female Body in Early Modern Germany’, .Past & Present (1996), 84-110

[60←]
StAL, Stadt-und Amtrechnungen, 1579/80. مع الشكر لبرناديت غرام لتحديد هذا المصدر؛ عن المعلومات السابقة، انظر: Wunder, ‘Die Ahnen’, 123. بناءً على أدلة أرشيفية.

[61←]
Fernand Hallyn, The Poetic Structure of the World: Copernicus and Kepler (New York: Zone, 1990), 129-31; Kepler quote to Herwart 28.3.1605. Caspar and von Dyck, .Kepler in seinen Briefen, 234; KGW, vol. 15, 187

[62 ←]
Heide Wunder, ‘He is the Sun, She is the Moon’: Women in Early Modern Germany, trans. T. Dunlap (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1998), 205.

[63 ←]
StAL, Gerichts Protocollum vol. 5, n.p., 1584 v. Bernhart Siglin; vol. 6, 12.1.1587 v. Linhart Holltzing.

[64 ←]
Johannes Kepler, Selbstzeugnisse, trans. E. Hammer and ed. F. Hammer (Stuttgart: Frommann, 1971), 27.

[65 ←]
KGW, vol. 19, 315.

[66 ←]
للرسوم والتفاصيل، انظر: Trugenberger, Zwischen Schloss, 144, 183. عن الرسائل إلى أحد طلاب توبنغن، انظر: Walther Ludwig, ed., Vater und Sohn im 16. Jahrhundert: der Briefwechsel des Wolfgang Reichart genannt Rychardus mit seinem Sohn Zeno (1520-1543) (Hildesheim: Weidmann, 1999). رسالة كپلر المتعلقة ببحوثه العلمية مطبوعة في: Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, vol. 1, 3-6.

[67 ←]
StAL, Testamentum, 274-6.

[68 ←]
Wunder, ‘Die Ahnen’, 139.

[69 ←]
KGW, vol. 16, 97, 422.

[70 ←]
KGW, vol. 15, 315; Caspar and Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Mästlin, 31.3.1606, 262.

[71 ←]
تتوفر تفاصيل حياة بِندر في: Christian Sigel, Das evangelische Württemberg. II. Hauptteil, vol. 2, 1931 (typescript), 353-4. في عام 1606 حامت شكوك حول تورطه

في سرقة، ولكن لم يثبت ذلك، ومن الواضح أن هذه الشكوك لم تُعِق مسيرته المهنية.

[72←]

عن الرقم الإجمالي، انظر: StAL, Steuerliste 1614, Katharina Kepler, 195. Trugenberger, Zwischen Schloss, 210. عن وضع النساء، انظر: Ogilvie, A Bitter Living. وعن الأرامل والتركيز البروتستانتي المتزايد على دعمهن، انظر: Gesa Ingendahl, Witwen in der Frühen Neuzeit: eine kulturhistorische Studie (Frankfurt am Main: Campus 2006).

[73←]

المراسلات محفوظة في: HStASt G 60, Bü.8; Paul Sauer, Herzog Friedrich I von Württemberg 1557-1608: Ungestümer Reformer und weltgewandter Autokrat (Frankfurt: Deutsche Verlagsan Stadtarchiv Leonberg, 2003), 164-72. عن إصرار المرأة الأرملة الحاكمة المتزايد التي لا تفتأ تطالب بالسلطة والاعتراف، انظر: Nina Johansson, 'die grenzen der Witwen wird er feste machen ...': Konstruktionen von Weiblichkeit im lyrischen und didaktischen Werk der Herzogin Elisabeth von Braunschweig-Lüneburg (1510-1558) (Stockholm: Klett Verlag Stockholm University Press, 2007).

[74←]

W. Grube, Der Stuttgarter Landtag 1457-1957 (Stuttgart: Klett Verlag 1957), 262, 'weil der mensch nach dem ebenbild Gottes erschaffen'.

[75←]

Grube, Landtag, 263.

[76←]

عن مجموعة پالودانوس، انظر: Harold Cook, Matters of Exchange: Commerce, Medicine, and Science in the Dutch Golden Age (New Haven: Yale University Press, 2007), 116-30.

[77←]

J. A. Vann, The Making of a State: Württemberg, 1593-1793 (Ithaca: Cornell University Press, 1984), 28-9; Ulrike Weber-Karge, '-einem irdischen Paradeiss zu vergleichen-': das neue Lusthaus in Stuttgart: Untersuchungen zu einer Bauaufgabe der Renaissance (Sigmaringen: Thorbecke, 1989); Sauer, Herzog Friedrich I von Württemberg, 129.

[78 ←]

بعد تقرير إيطالي إلى البابا، انظر: Daniel Jütte, Das Zeitalter des Geheimnisses: Juden, Christen und die Ökonomie des Geheimen (1400-1800) (Göttingen: Vandenhoeck, 2011), 268.

[79 ←]

Bruce Moran, The Alchemical World of the German Court: Occult Philosophy and Chemical Medicine in the Circle of Moritz of Hessen (1572-1632) (Stuttgart: Steiner, 1991), 8, 1112.

[80 ←]

كان نتسهايم معروفاً على نطاق واسع بسبب فلسفته الباطنية (De occulta philosophia)، 1531-3. انظر: William R. Newman, 'From Alchemy to "Chymistry"', in L. Daston and K. Park, eds, The Cambridge History of Science, vol. 4 (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 502.

[81 ←]

Tara Nummedal, Alchemy and Authority in the Holy Roman Empire (Chicago: Chicago University Press, 2007), esp. 115; 127. عُيِّن اليهودي المانتواني الشهير كولورني كيميائياً للبلاط عام 1597 وزُوِّد بمختبر، انظر: Jütte, Geheimnisses, 297-304; see also Andrea Heck, ed., Cat. Von Goldmachern und Schatzsuchern. Alchemie und Aberglaube in Württemberg (Stuttgart: Hauptstaatsarchiv, 2013).

[82 ←]

Erhard Cellius, Wahrhaffte Beschreibung Zweyer Raisen, Tübingen 1603, Cellische Truckerey, 'Was braucht die Alchymi für Kohl/Die diesem Herrn gefellt sehr wol?/Dardurch man kann alle Metall/Ja die gantz Natur uberall/Also scheiden und resolvirn/Und in vollkommen Esse führn./Das ausser Kupffer würdt gut Goldt/Wie mans aus der Erdt graben solt./Auß Kreuttern ein solch Wasser brennt/Das ein halb Todten wecken könnt./Ein Salz und pulver auch bereit/Die gut weren für all Krankheit./ Und aus dem Leib als durch ein Thür/Was ungesundt treiben herfür. Ja auß Erd Holtz/Erz/oder Stein/Auß Thiern und allem in gemein/Erfewren ein Subtiles Oel/Welches vertreibet manche fähl:/Ja das den Menschen gsundt erhelt/biß zum Termin von Gott bestelt./Und als in solcheer Quantitet/Die einer für ein Wunder het./Das sovil sollte Operirn/Und die Gesundheit promovirn./Solchs alles durch das Fewr geschicht/Und würdt in Brennöfen verricht./Ist das nicht ein herrliche Kunst?/Und würdig grosser Herren Gunst?'.

[83 ←]

.Nummedal, Alchemy, 124-5, 129

عن الطب الكوني، انظر:

Sauer, Herzog Friedrich I von Württemberg, 155, in relation to Conrad Schuler .in 1605

[84 ←]

.Nummedal, Alchemy, 131

[85 ←]

Jütte, Geheimnisses, 24. بالإضافة إلى التجارب غير العادية في إعادة التدريب الوظيفي، كما هي الحال عندما وُظِّف أحد الخيميائيين والأطباء الفاشلين بوظيفة طاهي معجنات دوقي بدلاً من شنقه على رؤوس الأشهاد، انظر: Sauer, Herzog Friedrich I von .Württemberg, 152

[86 ←]

لتميز علماء اللاهوت عموماً بين الفلاسفة الطبيعيين وتفسير ذلك، انظر: Ann-Charlott Trepp, Von der Glückseligkeit alles zu wissen. Die Erforschung der Natur als .religiöse Praxis in der Frühen Neuzeit (Frankfurt am Main: Campus, 2009), 467-74

[87 ←]

Evans, Rudolf II, 283; Ann-Charlott Trepp, ‘Religion, Magie und Naturphilosophie: Alchemie im 16. und 17. Jahrhundert’, in Lehmann and Trepp, eds, Im Zeichen der Krise: Religiosität im Europa des 17. Jahrhunderts (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1999), 473-94, and Kaspar von Greyerz, ‘Alchemie, Hermetismus und Magie’, in Im Zeichen der Krise, 415-32; on Osiander, Schuler, and Haffner see .Moran, Alchemical World, 156-7

[88 ←]

.Moran, Alchemical World, 158; 167

[89 ←]

Trepp, Glückseligkeit, Part I. كان يوهَن آرنت قساً لوثرياً ويتبع أفكار پاراسيلسوس بدقة.

[90 ←]

In das Wunderbad Fürstl. Würt: Badenfahrt: Welche Chur … Herr Friderich/ Hertzog zu Württemberg und Teck … Sampt deren Edlen Ritterschaft und Officirer/Den 9. May/Anno 1607. angefangen … Und was einem jeden gefehlet/oder für ein Krankheit gehabt hab … Schleyß, Johann (Stuttgart: Grieb, 1607); Sauer, Herzog Friedrich I von Württemberg, 229-33. عن البروتستانتية والمنتجعات الصحية في إنجلترا، انظر: Alexandra Walsham, The Reformation of the Landscape: Religion, Identity, and Memory in Early Modern Britain and Ireland (Oxford: Oxford University Press, 2011), 566.

[91←]

وهذا يعني على وجه الخصوص مخالفة ادعاء بروس موران المؤثر بأن القصور الألمانية كانت مفعمةً بثقافة الهلاك والاكتئاب، ما أدى إلى زيادة اهتمام أصحابها بالخيمياء.

[92←]

أحد الأمثلة من ڤيرتمبيرغ كانت هِلينا روكر التي كانت ابنة طبيب بارز في نورمبيرغ وتزوجت أولاً من واعظ نورمبيرغ أندرياس أوزياندر، أحد أهم علماء اللاهوت اللوثريين الألمان، قبل أن تتزوج من أحد أساقفة دير سابق في ڤيرتمبيرغ. كاتبت روكر پاراسيلسوس وكانت أول صيدلانية تُعيَّن في بلاط ڤيرتمبيرغ. Pfeilsticker, Dienerbuch, 352. Alisha Rankin, Panaceia's Daughters: Noblewomen as Healers in Early Modern Germany (Chicago: Chicago University Press, 2013).

[93←]

Pfeilsticker, Dienerbuch, vol. 1, 363, 'Kräutermänner- und mägde'.

[94←]

WLB, HB XI 41, 157; Sibylle's own medical books are listed in WLB Cod.hist.fol.1069.

[95←]

Gessner, Von dem Wolff, CLV.

[96←]

WLB, HB XI 41, 22rv (Herzwasser) and 135; Rankin, Panaceia's Daughters, 205-6.

[97←]

Sachiko Kusukawa, Picturing the Book of Nature: Image, Text, and Argument in Sixteenth-Century Human Anatomy and Medical Botany (Chicago: Chicago University Press, 2012), 155; William Eamon, 'Markets, Piazzas and Villages', in L.

Daston and K. Park, eds, Cambridge History of Science (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 210. للحصول على قطعة مثيرة للاهتمام بشكل خاص من الطين الطبي المختوم مع الأحرف العربية تحت مقبضها وزخارف نباتية، انظر: E. Fucikova, ed., Rudolf II: The Court and the City (London: Thames & Hudson, 1997), 505.

[98←]

Kusukawa, Picturing, esp. 133.

[99←]

Florike Egmond, 'Correspondence and Natural History in the Sixteenth Century: Cultures of Exchange in the Circle of Carolus Clusius', in Francisco Bethencourt and Florike Egmond, eds, Correspondence and Cultural Exchange in Europe, 1400-1700 (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), 115-20.

[100←]

الدراسة الرائدة هنا هي: Keith Thomas, Man and the Natural World: Changing Attitudes in England 1500-1800 (Harmondsworth: Penguin, 1983), 226; most recently see Rankin, Panaceia's Daughters.

[101←]

الباب الرابع مخصص للفلسفة الطبيعية. عن مفهوم التوافقات، انظر: Johann Arnd, Sechs Bücher vom Wahren Christentum (Stuttgart: Steinkopf, 1930), 564; see also Trepp, 'Natural Order and Divine Salvation: Protestant Conceptions in Early Modern Germany (1550-1750)', in L. Daston and M. Stolleis, eds, Natural Law and Laws of Nature in Early Modern Europe (Farnham: Ashgate, 2008), 129.

[102←]

Ronald Gobiet, ed., Der Briefwechsel zwischen Philipp Hainhofer und Herzog August d.J. von Braunschweig-Lüneburg (Munich: Deutscher Kunstverlag, 1984), 362 on Arndt.

[103←]

Theodor Thumm, Christliche Predigt uber die Leich (Stuttgart, 1614) 356.

[104←]

Ahnengalerie Schloss Ludwigsburg, Schlossverwaltung Ludwigsburg.

[105 ←]

Roman Janssen, ‘Heinrich Schickhardt im Spiegel seines Buchbesitzes’, in Robert Kretzschmar, ed., Neue Forschungen zu Heinrich Schickardt (Stuttgart: Kohlhammer, 2002), 7-51.

[106 ←]

انظر الوصف في: Erasmus Grüninger, LeichPredigt (Stuttgart, 1614) 59.

[107 ←]

Alfons Elfgang and Ehrenfried Kluckert, Schickhardts Leonberger Pomeranzengarten und die Gartenbaukunst der Renaissance (Bierlingen: Kluckert, 1988), 18.

[108 ←]

Alfons Elfgang, Rosemarie Münzenmayer, ‘“Medicina”, Familie und Repräsentation: Herzogin Sybilla und ihr Pomeranzengarten’, in Schlösser Baden-Württemberg, 3 (2009), 12-15.

[109 ←]

Werner Fleischhauer, Die Geschichte der Kunstkammer der Herzöge von Württemberg in Stuttgart (Stuttgart: Kohlhammer, 1976), 6.

[110 ←]

J. V. Andreae, Christianopolis, intro. and trans. Edward H. Thompson (Dordrecht: Kluwer, 1999), 273.

[111 ←]

Johann Valentin Andreae, Nachrufe, Autobiographische Schriften, Cosmoxenus, ed. and trans. F. Böhling et al. (Stuttgart: Frommann-holzboog, 1995), 82-5.

[112 ←]

Roman Janssen and Oliver Auge, eds, Herrenberger Persönlichkeiten aus acht Jahrhunderten, Herrenberger Historische Schriften, vol. 6 (Herrenberg, 1999), 203.

[113 ←]

HStASt Stuttgart, G 60, Herzogin Sibylle, C, Verzaichnus, Was noch weiter in der Hofapotheck so vorgehendem Inventario ist einverleibt. Auffgezeichnet, den 23. February 1615.

[114 ←]

.Thumm, Christliche Predigt, 357; Verzaichnuß/Der Ordnung und Procession, 515

[115 ←]

في ليونبيرغ تزوجت ابنة ياكُب كورن، كاتب المدينة، من رجل ما زال دفتر جرده باقياً إلى يومنا هذا، وحقق المظهر نفسه تماماً: StAL, Inventuren und Theilungen, 29.10.1632, Leyrer.

[116 ←]

W. Grube, Der Stuttgarter Landtag 1457-1957 (Stuttgart: Klett, 1957), 280; A. E. Adam, ed., Württembergische Landtagsakten, Unter Herzog Friedrich 1608-1620 .(Stuttgart: Kohlhammer, 1910), 270

[117 ←]

Alexander Schmidt, Vaterlandsliebe und Religionskonflikt: politische Diskurse im .Alten Reich (1555-1648) (Leiden: Brill, 2007), 331-50

[118 ←]

Magnus Rüde, England und Kurpfalz im werdenden Mächteeuropa (1608-1632). Konfession—Dynastie—kulturelle Ausdrucksformen (Stuttgart: Kohlhammer, 2007), 248. في قصيدة لسبنسر؛ عن الاحتفالات في هذا السياق، انظر: Sara Smart and Mara R. Wade, eds, The Palatinate Wedding of 1613: Protestant Alliance and .Courtfestival (Wiesbaden: Harrassowitz, 2013)

[119 ←]

عن هذه الموضوعات، انظر: Peer Schmidt, Spanische Universalmonarchie oder ‘teutsche Libertet’: das spanische Imperium in der Propaganda des Dreissigjährigen .Kriegs (Stuttgart: Steiner, 2001)

[120 ←]

للجهود في هايدلبيرغ، انظر: Rüde, England und Kurpfalz, 159.

[121 ←]

L. Krapf and C, Wagenknecht, eds, Stuttgarter Hoffeste: Texte und Materialien zur höfischen Repräsentation im frühen 17. Jahrhundert (Tübingen: Niemeyer, 1979), 6, .96

[122 ←]

Stuttgarter Hoffeste, 100-2. See also Helen Watanabe-O'Kelly, Triumphall Shews: Tournaments at German-Speaking Courts in their European Context 1560-1730 .(Berlin: Gebr. Mann Verlag, 1992), 37-64 on the festivals of the Protestant Union

[123←]
.Stuttgarter Hoffeste, 333

[124←]
Axel Gotthard, Konfession und Staatsräson: Die Außenpolitik Württembergs unter .Herzog Johann Friedrich (1608-1628) (Stuttgart: Kohlhammer, 1992)

[125←]
Gotthard, Konfession, 19-22, 98-9; W. B. Patterson, King James VI and I and the .Reunion of Christendom (Cambridge: Cambridge University Press, 2000)

[126←]
.Fleischhauer, Renaissance, 305-15

[127←]
Stuttgarter Hoffeste, 351-4 and Werner Fleischhauer, Die Geschichte der Kunstkammer der Herzöge von Württemberg in Stuttgart (Stuttgart: Kohlhammer, .1976), esp. 33-47

[128←]
.Stuttgarter Hoffeste, 344

[129←]
.Stuttgarter Hoffeste, 348

[130←]
V. Trugenberger, Zwischen Schloss und Vorstadt: Sozialgeschichte der Stadt Leonberg im 16. Jahrhundert (Vaihingen: Melchior, 1984), 26, these were in Stuttgart, .Göppingen, Calw, and Bietigheim

[131←]
.StAL, Armenkastenrechnung 1620, n.p

[132←]

Paul Warde, Ecology, Economy and State Formation in Early Modern Germany .(Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 82-4, 208

[133 ←]
عُمِل هذا ببراعة للمنطقة في المرجع السابق.

[134 ←]
.StAL, Stadt-und Amtprotokollum, 27.1.1615, 3

[135 ←]
.StAL, Stadt-und Amtprotokollum, 24.1.1615

[136 ←]
.StAL, Stadt-und Amtprotokollum, 26.1.1615

[137 ←]
.StAL, Stadt-und Amtprotokollum, Tabl. I. 20

[138 ←]
.StAL, Stadt-und Amtprotokollum, 23.1.1615

[139 ←]
HStASt G60, Bü.5, Anstellungsvertrag, November 1613, 2: ‘So solle er allwegen zuvor mit der fürst. fraw wittib oder ihren fürst. gd. hofmaistern auß der sachen conferirn und ihre mainung und gedanckhen darüber vernemmen und seinen .Berichten einverleiben’, esp. 5, 9-12. Abschrift Bernadette Gramm

[140 ←]
لا يزال مصير المشتبه بها الرابعة مجهولاً. توفر برناديت غرام البيانات الأوثق في أرشيف ليونبيرغ المدني، انظر أيضاً HStASt، Blutbücher، الذي لا يحدد الجرائم بل الأسماء والأحكام فحسب.

[141 ←]
لم يُدَوَّن أي شيء في HStASt A 209 أو 309، ولم يُسجَّل إلا في Straf-und Urteilsbuch، المحفوظة في HStASt, A.

[142 ←]

Anita Binder, ‘mit dem feuer vom leben zum tod … : Hexenverfolgung in Sindelfingen’, in Sindelfingen und seine Altstadt—ein verborgener Schatz, Sindelfingen 2013, 427-46, here 441-2. هذه المصادر المحددة بقيت في الأرشيف المحلي.

[143 ←]

Trugenberger, Zwischen Schloss, Nr. 259 and Nr. 152. في عام 1624، عندما بلغت أورزُلا السابعة والخمسين من عمرها، قُبِل السيد والسيدة راينبولد في دار المرضى والعجزة في البلدة التي تسمى شپيتال.

[144 ←]

StAL, Gerichtsprotokollum, Bd.6, Summer 1597, n.p.

[145 ←]

Pfeilsticker, Dienerbuch, 317.

[146 ←]

Warde, Ecology, 215; 330 for figures on theft.

[147 ←]

StAL, Gerichtsprotocollum Eltingen, 12.10.1615.

[148 ←]

الملفات الأصلية محفوظة في: HStASt, A 209, Bü.1055 (up to 13.2.1621) and Bü.1055. دققتُ هذه بالمقارنة مع طبعة فرِش التي أشير إليها في هذا الكتاب بعنوان Opera, 365-6.

[149 ←]

Frisch, Opera, 366.

[150 ←]

Frisch, Opera, 367.

[151 ←]

ظل يتأمل في هذه المسألة، ثم ظن لاحقاً أن الأحجار يمكن أن تتسبب في العواصف. Boner, Cosmological Synthesis, 150-151. وعن علاقة الطقس عموماً، KGW, vol. 14, 330; Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Fabricius, 2.12.1602, 177-8.

[152 ←]

Kepler, Harmony of the World, 363-4; Caspar translates farts as Winde, Weltharmonik, 259.

[153 ←]

KGW, vol. 19, 57.

[154 ←]

KGW, vol. 19, 8. لترجمة رسالة كپلر للمقاطعات في ١٥/5/1596، انظر: Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 35-7.

[155 ←]

KGW, vol. 13, 74f., late March 1596. لإحصاء العدد المعاصر للعَشاءات، انظر: Jütte, Geheimnisses, 300 الذي اعتمد على رسائل الخيميائي كولورني الذي وصل سنة 1597.

[156 ←]

KGW, vol. 13, 50-4.

[157 ←]

KGW, vol. 19, 324; vol. 13, 83; 220.

[158 ←]

KGW, vol. 1, 26/27. يمكن الحصول على تقدير أفضل لأناقة هذا المنشور من خلال النظر إلى اللوحات في الإصدار الأصلي بدلاً من الترجمة المتاحة: Johannes Kepler, Mysterium Cosmographicum: The Secret of the Universe, trans. A. M. Duncan (New York: Abaris, 1981). لسياق أوسع لعمل كپلر، انظر أيضاً: Robert S. Westman, The Copernican Question: Prognostication, Skepticism, and Celestial Order (Berkeley: University of California Press, 2011), 309-41.

[159 ←]

KGW, vol. 19, 324-5. سيواصل كپلر دفاعه عن فائدة الأجهزة الميكانيكية وبراعتها: KGW, vol. 8, 218-32.

[160 ←]

KGW, vol. 13, 222-3; 325.

[161 ←]

Nick Jardine, 'The Many Significances of Kepler's Contra Ursum', in F. Boockmann et al., eds, Miscellanea Kepleriana: Festschrift für Volker Bialas zum 65. Geburtstag .(Augsburg: Rauner, 2005), 135 and 138

[162 ←]

See also Adam Mosley, 'Objects of Knowledge:Mathematics andModels in Sixteenth-Century Cosmology and Astronomy', in Sachiko Kusukawa and Ian Maclean, eds, Transmitting Knowledge: Words, Images, and Instruments in Early Modern Europe .(Oxford: Oxford University Press, 2006), 193-216

[163 ←]

يستخدم كپلر الإشارة إلى السماوات كآلة ساعة بهذا المعنى الدقيق لهيرڤارت، ١٠/1605/2. Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 219; KGW, vol. 15, .146

[164 ←]

Steven Shapin, The Scientific Revolution (Chicago: Chicago University Press, 1996), .35

[165 ←]

.KGW, vol. 13, 222

[166 ←]

حول أهمية علم الأحياء في تفكيره، انظر: Patrick Boner, Kepler's Cosmological Synthesis: Astrology, Mechanism and the Soul (Leiden: Brill, 2013), 12, quote 30. وعن تنظيف الأثير، 32. وعن كيفية تشكل الأرواح في رسالة إلى برنغر، ٥/1608/4. .Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 309, KGW, vol. 16, 148

[167 ←]

.KGW, vol. 15, 70, Br. 303; KGW, vol. 21.2.2, 537-43, 687; vol. 16, 434-6

[168 ←]

Horst Bredekamp, Antikensehnsucht und Maschinenglauben. Die Geschichte der .Kunstkammer und die Zukunft der Kunstgeschichte (Berlin: Wagenbach, 2000), 21

[169 ←]

.KGW, vol. 13, 225-6

[170 ←]

Regina Pörtner, The Counter-Reformation in Central Europe: Styria 1580-1630 (Oxford: Oxford University Press, 2001), 112-14, 158-64. وعن تأثير أمه الحاسم، انظر: Katrin Keller, Erzherzogin Maria von Innerösterreich (1551-1608): Zwischen Habsburg und Wittelsbach (Cologne: Böhlau, 2012).

[171 ←]

Keller, Erzherzogin Maria, 110.

[172 ←]

Gabriele Praschl-Bichler, Geheimnisse des Mittelalters und der Renaissance: Der Grazer Vergangenheit auf der Spur (Graz: L. Stocker Verlag, 2005), 018-9.

[173 ←]

KGW, vol. 14, 45, Letter to Mästlin, 29.8.1599; Caspar and Dyck, Kepler in seinen Briefen, 113.

[174 ←]

KGW, vol. 19, 345, 7, 54; vol. 4, 431, 81-98; vol. 16, 239-40. عن طلبه أن تُرسَل رسائله إلى ليونبيرغ، انظر: KGW, vol. 14, 161; Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 151, to Mästlin, 8.2.1601.

[175 ←]

KGW, vol. 14, 447; Caspar and Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Herwart, September 1603, 191.

[176 ←]

Caspar and Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Sybilla, 19.3.1611; KGW, vol. 16, 370-1.

[177 ←]

KGW, vol. 16, 168-9, 9./91.3.1611; 371-2, same date. عن رد المجلس، والصفحات 240-3 عن رسالة كپلر في 1609. تكررت هذه المواقف على مدى السنوات التالية في أحاديثه مع أستاذه السابق، هافنرِفر.

[178 ←]

Adam Mosley, Bearing the Heavens: Tycho Brahe and the Astronomical Community of the Late Sixteenth Century (Cambridge: Cambridge University Press, 2007).

[179 ←]
.KGW, vol. 19, 344

[180 ←]
.KGW, vol. 19, 325, 7, 23

[181 ←]
Caspar and Dyck, Kepler in seinen Briefen, from Herwart, 9.11.1604, 205; KGW, vol. .15, 63

[182 ←]
.See, for instance, KGW, vol. 17, 801, 20.10.1618

[183 ←]
.KGW, vol. 4, 422-5

[184 ←]
يوهانس كپلر في أطروحته عن البصريات سنة 1604: Rolk Riekher, ed., Schriften zur .Optik 1604-1611 (Frankfurt am Main: Harri Deutsch, 2008), 76

[185 ←]
J. Cambers, see Keith Thomas, Religion and the Decline of Magic (Harmondsworth: .Penguin, 1978), 426

[186 ←]
.KGW, vol. 7/66, vol. 19, 350-1

[187 ←]
.Caspar, Kepler, 182, Melchior Schäfer كان هذا هو المحرض لأطروحة الطبيب فيسيليوس التي رد عليها كپلر بدوره.

[188 ←]
«البحث عن المخطوطات والإستراتيجيات التي تمليها المهنية والتكتيكات التي يمليها البحث عن الدعاية»، إيَن مَكلين: Martin Mulsow, in Scholardship, Commerce, Religion: The Learned Book in the Age of Confessions, 1560-1630 (Cambridge, .MA: Harvard University Press, 2012), 45-6

[189 ←]

للتحليل الأهم، انظر: Nicholas Jardine, The Birth of History and Philosophy of Science: Kepler's A Defence of Tycho against Ursus with Essays on its Provenance and Significance (Cambridge: Cambridge University Press, 1984). أخيراً، أصبح كپلر ملتزماً التزاماً استثنائياً بالتحليل السببي والتقدم النظري من خلال مقترحات منهجية مترابطة ومتسقة ومتجذرة في الممارسة، لتطوير المعايير لحل النزاعات النظرية ومنهجية محددة لتحقيق التقدم.

[190←]
James R. Voelckel, The Composition of Kepler's Astronomia Nova (Princeton: Princeton University Press, 2001), 250-2, and for the following his 'Conclusion'.

[191←]
StAL, Inventar-und Theilungsbuch, 1615,-32.

[192←]
WAL, Cod.hist.fol.562, Heinrich Schickardt Inventarbuch 1631, 147r- 169r.

[193←]
StAL, Inventar-und Theilungsbuch, 1615-32, 5.11.1631, Catherina Besserer; No.11 Bastian Beutelsbacher. عن الاهتمام بهذا العمل الفني، انظر: Fleischhauer, Renaissance, 215-16.

[194←]
Volker Trugenberger, Zwischen Schloss und Vorstadt: Sozialgeschichte Leonbergs im 16. Jahrhundert (Vaihingen: Melchior, 1984), Michel Schmid, Nr.295.

[195←]
Trugenberger, Zwischen Schloss, Stoffel Bulling, Nr.54.

[196←]
Trugenberger, Zwischen Schloss, Werner Brunnenfels, Nr.51.

[197←]
Trugenberger, Zwischen Schloss, Mathis Plüderhäuser (1586-1613), Nr.256.

[198←]
Frisch, Opera, 401.

[199 ←]
.Frisch, Opera, 367, HstASt, 29.11.1616

[200 ←]
.Frisch, Opera, 367, HstASt, 2.12.1616

[201 ←]
.KGW, vol. 17, report from Johannes Strauss to Kepler, 21.9.1616

[202 ←]
David W. Sabean, Property, Production and Family in Neckarhausen, 1700-1870 .(Cambridge: Cambridge University Press, 1990), 260-71, 344, 421-6

[203 ←]
يذكر هذا لربيبته. انظر: KGW, vol. 19, 470.

[204 ←]
See Hella Kothmann, ‘Die Reisen des Johannes Kepler. Eine Chronologie—ein Itinerarium’, in F. Boockmann et al., eds., Miscellanea Kepleriana. Festschrift für .Volker Bialas zum 65. Geburtstag (Augsburg: Rauner2005), 229-46

[205 ←]
هكذا، وعدت إحدى الفلاحات الباڤاريات في عام 1628 مريم العذراء قُدّاساً وقَدَماً من الشمع بعد أن دمرت عربة قش ثقيلة ساقي ابنتها. في نوفمبر، تمكنت الأم وابنتها من الصعود إلى المزار الجبلي لتقديم الشكر. انظر: Renate Blickle, ‘Peasant Protest and the Language of Women’s Petitions: Christina Vend’s Supplication of 1629’, in Ulinka Rublack, ed., Gender in Early Modern German History (Cambridge: .Cambridge University Press, 2002), 186

[206 ←]
.Frisch, Opera, 388-9

[207 ←]
Werner Fleischhauer, Die Renaissance im Herzogtum Württemberg (Stuttgart: .Kohlhammer, 1971), 258-9

[208 ←]

HStASt, G 60, Bü7, Verzaychnus: ‘Christoff Käppler Khanttengiessern, wegen verfertigung deß Bäadlinß im Schloß geben 173fl 18kr’.

[209 ←]
StAL, Kauff-und Contractbuch 1609-43, fol.75a-76a.

[210 ←]
HStASt, Frisch, Opera, 367-71.

[211 ←]
Frisch, Opera, 371, 7.1.1617.

[212 ←]
Frisch, Opera, 371-2, n.day, January 1617.

[213 ←]
Pfeilsticker, Dienerbuch; J. A. Vann, The Making of a State: Württemberg 1593-1793 (Ithaca: Cornell University Press, 1984), 60. للأسف لم يبق بين يدينا إلا محاضر الاجتماعات عن المدّة 602-3. انظر: Vann, The Making of a State, 84.

[214 ←]
KGW, vol. 17, 213-17. انظر التعليق على هؤلاء المحامين في: KGW, vol. 12, 329; Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, vol. 2, 79-86.

[215 ←]
Frisch, Opera, 372, January 373.

[216 ←]
Frisch, Opera, 373.

[217 ←]
Frisch, Opera, 373, 9.3.1617.

[218 ←]
Frisch, Opera, 373-4, 11.3.1617.

[219 ←]
StAL, Vogtrüggericht 1619.

[220←]
.Frisch, Opera, 375, 27.3.1617

[221←]
Frisch, Opera, 375, 28.3.1617

[222←]
Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Brengger, 30.11.1607, 305; KGW, .vol. 16, 87

[223←]
.KGW, vol. 19, 469-72

[224←]
KGW, vol. 19, 356-7. ماتت في 9 فبراير 1618. انظر تقرير كپلر عن سنة 1617، وهو أيضاً موجود في: Justus Schmid, Johann Kepler: Sein Leben in Bildern und eigenen Berichten, 2nd edn (Linz: Trauner, 1970), 251.

[225←]
يُقال، على سبيل المثال، إن التحقيقات دوماً تثبت صحة الاتهامات الموجهة من الأطفال، مع أن الشائعات والتنديدات عموماً لم يسمح لها بأن تكون مدعاةً للاعتقال: Johannes Dillinger, ‘Evil People’: A Comparative Study of Witch Hunts in Swabian Austria and the Electorate of Trier, trans. Laura Stokes (Virginia: University of Virginia Press, 2009), 121.

[226←]
Lyndal Roper, Witch-Craze: Terror and Fantasy in Baroque Germany (New Haven: Yale University Press, 2004), esp. ch. 7; Charles Zika, Appearances of Witchcraft: Visual Culture and Print in Sixteenth-Century Europe (London: Routledge, 2005); on old age see also Heide Wunder, ‘He is the Sun, She is the Moon’: Women in Early Modern Germany, trans. T. Dunlap (Harvard: Harvard University Press, 1998), 16-84.

[227←]
للاطلاع على صراع كاتب يوميات من القرن السادس عشر مع الشيخوخة من خلال منظور الأدب القديم، انظر: Hermann Weinsberg, Liber senectutis and decrepitudinus, which are available online and discussed in Matthew Lundin, Paper Memory: A Sixteenth-Century Townsman Writes His World (Cambridge, MA:

Harvard University Press, 2012). For a discussion of women, age, and witchcraft see Roper, Witch-Craze, 161; Kaspar von Greyerz, Passagen und Stationen. Lebensstufen zwischen Mittelalter und Moderne (Göttingen: Vandenhoeck, 2010), .200

[228←]
شقيق راينبولد، الطبيب، بصفته «عرافاً»، الذي استُشير ولكن استحوذ عليه الشيطان ليكون أداة للشر في القول إن كاترينا هي سبب مرض أخته. يصعب تفسير المقطع التالي: Dabey aber der bösse Geist durch seine Instrumenta, die warsager, so man anderseitz zurath gezogen, das seinige auch gethan.

[229←]
Frisch, Opera, 381-3, 1.9.1617. هذا يعني أن أشقاءه قد حصلوا على نصيبهم سلفاً، في حين سيطالب كپلر بنصيبه عندما تقسَّم التركة أخيراً بعد وفاة كاترينا.

[230←]
.Frisch, Opera, 384, Decretum, 23.9.1617

[231←]
.Frisch, Opera, 384, 8.11.1617

[232←]
.Trugenberger, Zwischen Schloss

[233←]
KGW, vol. 17, 254; on Hebenstreit and Ulm, see Ruth Kastner, Geistlicher Rauffhandel: Illustrierte Flugblätter zum Reformationsjubiläum 1617 (Bern: Lang, .1982), 56-63

[234←]
.Frisch, Opera, 384-6, November 1617

[235←]
.Frisch, Opera, 386, 22.11.1617

[236←]
.Frisch, Opera, 388-9

[237 ←]
.KGW, 21, 2.2, 577

[238 ←]
KGW, 21, 2.2, (Sebald), 11 ((Heinrich), for grandmother and comments on Katharina .(26); Schmid, Johann Kepler, 219

[239 ←]
.KGW, vol. 13, 377-82

[240 ←]
تشير تعليقات ماكس كاسپر الدقيقة إلى الاتجاه نفسه، لكن غالباً ما جرى تجاهلها لاحقاً. انظر كتابه: Kepler (New York: Dover, 1993), 34.

[241 ←]
See Anthony Grafton, Cardano's Cosmos: The Worlds and Work of a Renaissance Astrologer (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1999). انظر تعليقات كوردانو عن أمه في سيرته الذاتية: My Life, trans. J. Stoner (New York: New York Review of Books, 2002), 9.

[242 ←]
KGW, vol. 19, 7/30, 328-37; Johannes Kepler, Selbstzeugnisse, trans. Esther Hammer, ed. Franz Hammer (Stuttgart: Frommann Verlag, 1971), 16-30.

[243 ←]
.KGW, vol. 21, 2.2, 573

[244 ←]
.KGW, vol. 21, 2.2, 398, 1116

[245 ←]
.KGW, vol. 21, 2.2, 573

[246 ←]
.See, for instance, KGW, vol. 21, 2.2, 449; 459

[247 ←]

KGW, 21, 2.2, 440: ‘Sag demnach auch ietzo, zu abhelffung viles ungemachs gehört mehrer leütte Hülff und naigung, ohne die geschicht nichts. Niemand stehet es zue, ’.E(urer) M(ajes)t(ät) dero mühe zu entladen, dan dero selber

[248←]
H. :حول تأكيد كپلر سابقاً على أن مارس هو رب ذرية رودولف انظر .KGW, 21, 2.2, 441 Darrel Rutkin, ‘Celestial Offerings: Astrological Motifs in the Dedicatory Letters of Kepler’s Astronomia Nova and Galileo’s Sidereus Nuncius’, in W. R. Newman and A. Grafton, eds, Secrets of Nature: Astrology and Alchemy in Early Modern Europe .(Cambridge, MA: MIT Press, 2001), 133-72, 152

[249←]
.See, for instance, KGW, vol. 4, 72

[250←]
.’KGW, vol. 4, 163; 179, ‘beständige Wissenschaft

[251←]
.KGW, vol. 4, 204, below; a very important passage

[252←]
.KGW, vol. 4, 209-10

[253←]
.KGW, vol. 4, 225; 230

[254←]
.KGW, vol. 4, 231

[255←]
.KGW, vol. 4, 232-3

[256←]
.KGW, vol. 4, 234

[257←]
Johannes Kepler, Weltharmonik, trans. and ed. Max Caspar (Oldenburg: .Wissenschaftsverlag, 1983), 165

[258←]
Heinz Schott, 'Die Heilkunde des Paracelsus im Schnittpunkt von Naturphilosophie, Alchemie und Psychologie', in Peter Dilg and Hartmut Rudolph, eds, Resultate und Desiderate der Paracelsus-Forschung (Stuttgart: Steiner, 1993), 38.

[259←]
KGW, vol. 14, 325; Kepler in seinen Briefen, to Fabricius, 2.12.1602, 176.

[260←]
Kepler, Weltharmonik, 165.

[261←]
Kepler, Weltharmonik, 167.

[262←]
Kepler, Weltharmonik, 181.

[263←]
Johannes Kepler, Schriften zur Optik 1604-1611, ed. Rolf Riekher (Frankfurt am Main: Harri Deutsch, 2008) 81.

الإهداء الآخر الذي يحتوي على تشبيه عسكري موجود في Astronomia Nova.

[264←]
Johannes Kepler, Selbstzeugnisse, ed. Franz Hammer (Stuttgart: Frommann, 1971), 48.

[265←]
See, for instance, KGW, vol. 4, 114, with Kepler's comments.

[266←]
Kepler, Selbstzeugnisse, 48.

[267←]
Kepler, Selbstzeugnisse, 52.

[268←]
Kepler, Selbstzeugnisse, 55.

[269 ←]
.Kepler, Selbstzeugnisse, 55

[270 ←]
عن كرهه للاغتسال، انظر: Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Fabricius, 11.10.1605, 258; KGW; vol. 15, 247; and his self-characterization in .Kepler, Selbstzeugnisse, 42

[271 ←]
Kepler, Selbstzeugnisse, 46. See also Gadi Algazi, 'Johannes Keplers Apologie: Wissenproduktion, Selbstdarstellung und die Geschlechterordnung' in B. Reich, F. Rexroth, and M. Roick, eds, Wissen, maßgeschneidert: Experten und Expertenkulturen im Europa der Vormoderne (Munich: Oldenbourg, 2012), 215-249; Elizabeth Harding, Der Gelehrte im Haus: Ehe, Familie und Haushalt in der Standeskultur der frühneuzeitlichen Universität Helmstedt (Wiesbaden: .Harrassowitz, 2014)

[272 ←]
.Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, vol. 1, 154-6

[273 ←]
انظر إلى مناقشته لهذا الأمر بوصفه هبوطاً كهبوط آدم وحواء، وذلك في: KGW, vol. 4, .158-9

[274 ←]
.Kepler, Weltharmonik, 257

[275 ←]
نادراً ما ذكر عائلة غولدنمان، لكن يجب أن نلحظ أن فلاحي الأجيال السابقة لم يتعودوا تدوين يوم ساعة ميلادهم أو تذكره.

[276 ←]
.Kepler, Weltharmonik, 32

[277 ←]
.Kepler, Weltharmonik, 195

[278 ←]

Johannes Kepler, The Harmony of the World, trans. and ed. E. J. Aiton, A. M. Duncan, .and J. V. Field (American Philosophical Society, 1997), 2

[279 ←]

.Kepler, Weltharmonik, 260-1; Kepler, Harmony, 364-5

[280 ←]

.KGW; Caspar, mistaken translation in English edition, emphasis added

[281 ←]

طرح كپلر أيضاً شخصية الأرواح أو الملائكة الحارسة في تأملاته. ويمكن تفسير سوء الحظ من خلال سلوك الشخص غير الأخلاقي الذي يطرد هذه الأرواح. Weltharmonik, .273. On the consistory see KGW, vol. 16, 464

[282 ←]

KGW, vol. 17, 184 and 479; 355, 25.4.1619; 359, 10./20.7.1619; see also 191 about .the delay, 21.1.1616

[283 ←]

.Frisch, Opera, 390-4

[284 ←]

.Frisch, Opera, 405

[285 ←]

Frisch, Opera, 407. See also Michael Stolberg, Homo Patiens. Krankheitsund .Körpererfahrung in der Frühen Neuzeit (Weimar: Böhlau, 2003), 50-1

[286 ←]

.Stolberg, Homo Patiens, 73-5

[287 ←]

.KGW, vol. 21, 2.2, 17

[288 ←]

.KGW, vol. 21, 2.2, 17; Caspar, Kepler, repr. (New York: Dover 2003), 35

[289 ←]

.KGW, vol. 13, 6

[290 ←]
KGW, vol. 13, 153-4. في نهاية المطاف لم تُرسل هذه الرسالة، 394؛ وكذلك تأمل كپلر في شخصية شقيقه في سيرته لذاتية الموجزة في غراتس.

[291 ←]
.KGW, vol. 17, 74-5, 134-5, 472

[292 ←]
.Frisch, Opera, 404

[293 ←]
.Frisch, Opera, 403, Gertrute Osswaldt Zahnen Hausbecken Hausfrau

[294 ←]
.Frisch, Opera, 404

[295 ←]
.Frisch, Opera, 404

[296 ←]
.Frisch, Opera, 408

[297 ←]
.Frisch, Opera, 411

[298 ←]
.Frisch, Opera, 409-10, Barbara Stahl

[299 ←]
.Frisch, Opera, 412-14, Bastian Würth

[300 ←]
.Frisch, Opera, 412

[301 ←]

عن حالة ڤيرتمبيرغ في القرن الثامن عشر، انظر: Sabine Sander, Handwerkschirurgen: Sozialgeschichte einer verdrängten Berufsgruppe (Göttingen: Vandenhoeck, 1989).

[302←]
Frisch, Opera, 417.

[303←]
KGW, vol. 4, 179, 245, 247.

[304←]
William Eamon, 'Markets, Piazzas and Villages', in L. Daston and K. Park, eds, Cambridge History of Science (Cambridge: Cambridge University Press, 2008), 218-19, with further examples; on Boyle see Harold Cooke, Matters of Exchange: Commerce, Medicine and Science in the Dutch Golden Age (New Haven: Yale University Press, 2007), 414.

[305←]
Bruce T. Moran, The Alchemical World of the German Court: Occult Philosophy and Chemical Medicine in the Circle of Moritz of Hessen (1572-1632) (Stuttgart: Steiner, 1991), 45.

[306←]
يُزعم أنها استخدمت حجر النار هذا مع امرأة واحدة. انظر: Frisch, Opera, 410, Barbara Stahl.

[307←]
See also Stolberg, Homo Patiens, 36.

[308←]
Frisch, Opera, 403, Oswald Zahn's wife.

[309←]
Frisch, Opera, 405.

[310←]
E. Fucikova, ed., Rudolf II and Prague: The Court and the City (London: Thames & Hudson, 1997), 601.

[311 ←]

.Mauritzhuis Den Haag, 1630, 39.5 x 56 cm

[312 ←]

Alexandra Walsham, The Reformation of the Landscape: Religion, Identity, and Memory in Early Modern Britain and Ireland (Oxford: Oxford University Press, .2012), 555-7

[313 ←]

On Maria and Sybille's ingredients HStASt, G 60, Bü.8, 96r; on Tancke see Moran, .Alchemical World, 137-8

[314 ←]

.Moran, Alchemical World, 64

[315 ←]

للحصول على أمثلة لا حصر لها من ممتلكات رودولف، انظر: Fucikova, ed., Rudolf II .and Prague

[316 ←]

See James R. Palmitessa, MaterialCulture& Daily Lifeinthe New City of Prague in the .Age of Rudolph II (Krems: Medium Aevum Quotidianum, 1997), 111

[317 ←]

.Frisch, Opera, 11.8.1620, and 470

[318 ←]

.HStaSt, A 209, Bü.371, Bietigheim, 1.2.1619

[319 ←]

.Frisch, Opera, 409

[320 ←]

.Frisch, Opera, 411

[321 ←]

.Frisch, Opera, 412

[322 ←]
.Frisch, Opera, 420, 3.7.1620

[323 ←]
.Frisch, Opera, 419, 20.3.1620

[324 ←]
Joachim Whaley, Germany and the Holy Roman Empire vol. 1 (Oxford: Oxford .University Press, 2012), 496

[325 ←]
On Schaller see Whaley, Holy Roman Empire, 543; on Kepler’s writing on the 1618 comet see Marion Gindhart, Das Kometenjahr 1618: Antike und zeitgenössisches Wissen in der frühneuzeitlichen Kometenliteratur des deutschsprachigen Raumes .(Wiesbaden: Harrasowitz, 2006), 180

[326 ←]
A. E. Adam, ed., Württembergische Landtagsakten: Unter Herzog Johann Friedrich .1608-1620 (Stuttgart: Kohlhammer, 1910), 738

[327 ←]
Axel Gotthard, Konfession und Staatsräson: Die Außenpolitik Württembergs unter .Herzog Johann Friedrich (1608-1620) (Stuttgart: Kohlhammer, 1992), 273-6, 280-1

[328 ←]
.Sauer, Herzog Friedrich I von Württemberg, 141-2

[329 ←]
.HStASt, Blutbücher, 19.1.1620, n.p

[330 ←]
HStASt, A 209, Bü.149, Christina Dürr, 12.4.1617. لا يزال الحكم الصادر بحقها غير واضح، لكن من غير المرجح أنها أُعدمت.

[331 ←]
انظر، على سبيل المثال، في الشهادة المقدمة في قضية فْرِش في 14.12.1619، باربرا بويتِلشپاخر.

[332 ←]
.HStASt, A 309, Bü.56, 14.12.1619

[333 ←]
HStASt, A 309, Bü.289, 18. January 1620, on his title see Trugenberger, Zwischen .Schloss, 157

[334 ←]
.HStASt, A 309, Bü.235

[335 ←]
.HStASt, A 309, Bü.235, 29.1.1620

[336 ←]
.HStASt, Blutbücher, 23.2.1621

[337 ←]
.StAL, Armenkastenrechnung 1620

[338 ←]
.StAL, Gerichtsprotokoll, 1619/20, 24.4.1619

[339 ←]
.StAL, Testamente, 1556-1616

[340 ←]
.StAL, Gerichtsprotokoll, 1619/20, 17.10.1619

[341 ←]
.StAL, Vogtgerichtsakten late 1619 to 1620

[342 ←]
.StAL, Gerichtsprotokoll, 1619/20, 30.10.1619 لا يدوِّن السجل إلا أن الطرفين قد تصالحا.

[343 ←]
.StAL, Vogt-und Rügerrichtsprotokolle, 24.8.1620

[344 ←]

.StAL, Kaufbuch 1609-43, fol.751-76a, entered only in 1.2.1619

[345 ←]

Joachim Whaley, Germany and the Holy Roman Empire, vol. 1 (Oxford: Oxford .University Press, 2012), 496

[346 ←]

A. E. Adam, ed., Württembergische Landtagsakten. Unter Herzog Johann Friedrich .1608-1620 (Stuttgart: Kohlhammer, 1910), 738-65, quote 746

[347 ←]

.StAL, Vogt-und Rügerrichtsprotokolle, 18.5.1620

[348 ←]

.StAL, Vogt-und Rügerrichtsprotokolle, 1619/20; Armenkastenprotokolle

[349 ←]

Axel Gotthard, Konfession und Staatsräson: Die Außenpolitik Württembergs unter .Herzog Johann Friedrich (1608-1628) (Stuttgart: Kohlhammer, 1993), 319-20

[350 ←]

.Frisch, Opera, 435, 25, and 26.8.1620; reply 26.8.1620

[351 ←]

.Frisch, Opera, 15.8.1620

[352 ←]

.KGW, vol. 18, 39

[353 ←]

.Frisch, Opera, 24.7.1620

[354 ←]

Sonn und Sonnentag. Kompst daher geritten, Da stehet Heiss mir Gott willkommen ein Mensch, lass dich bitten, Gott, Vatter, Sohn und Hailiger Gaist Und die hailige .Dreyfaltigkhait, Geb diesem Menschen bluet und flaisch Auch guete gesundhaitt

[355 ←]
.Frisch, Opera, 11.8.1620

[356 ←]
.Frisch, Opera, 434, 18.8.1620

[357 ←]
.Frisch, Opera, 26.8.1620

ظل هو المسؤول حتى عام 1634.

[358 ←]
.Frisch, Opera, 436, 27.8.1620

[359 ←]
.Frisch, Opera, 436-7, 30.8.1620

[360 ←]
.Frisch, Opera, 421-4

[361 ←]
.Frisch, Opera, mid-August 1620, 437-8

[362 ←]
.Frisch, Opera, 438-9

[363 ←]
.Frisch, Opera, 4.10.1620, 439

فيما يتعلق بالوثائق القانونية، كان من حق كپلر تلقي نسخ من أي مستندات مفقودة يرغب في رؤيتها.

[364 ←]
.Frisch, Opera, 439-41

[365 ←]
.Frisch, Opera, 442, 14.11.1620

[366 ←]
.Frisch, Opera, 442, 453, 24.11.1620

[367 ←]
.Frisch, Opera, 441, 28.10.1620 and 30.10.1620

طلبت منه المستشارية الانتظار، لأن الملفات حالياً مع الدكتور ماتيوس هيلر الذي عمل بصفة محامٍ من قبل.

[368 ←]
.Frisch, Opera, 443-4, 4.7.1620

[369 ←]
.Frisch, Opera, 444-7, 4.10.1620

[370 ←]
.Frisch, Opera, 447, 18.10.1620, Johann Kraus

[371 ←]
.Frisch, Opera, 453, late November 1620

[372 ←]
.HStASt, A 209, Bü.1053

[373 ←]
.UAT, 84/3, 266

[374 ←]
.Sauer, Herzog Friedrich I von Württemberg, 190

[375 ←]
.HStASt, A 209, Bü.1057

[376 ←]
.Frisch, Opera, 457, 17.12.1620

[377 ←]
.Frisch, Opera, 468

[378 ←]
.Frisch, Opera, 479, Hanss Josenhass

[379 ←]

.Frisch, Opera, 477

[380 ←]

Charlotte Methuen, Kepler’s Tübingen: Stimulus to a Theological Mathematics .(Farnham: Ashgate, 1998), 112

[381 ←]

Alfred Hartmann, ed., Thomas Platter, Lebensbeschreibung, 2nd edn (Basel: Schwabe, .1999), 58

[382 ←]

.Frisch, Opera, 481

[383 ←]

KGW, vol. 18, 43; on Matthäus Bernegger (1580-1640) see in particular Wilhelm Kühlmann, Gelehrtenrepublik und Fürstenstaat: Entwicklung und Kritik des deutschen Späthumanismus in der Literatur des Barockzeitalters (Tübingen: .Niemeyer, 1982)

[384 ←]

عن مفهوم كپلر عن التفاؤل الطبيعي، انظر مقدمته: Dissertatio cum Nuncio Sidereo, .3.5.1610, Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 343; KGW, vol. 18, 42

[385 ←]

Sir Henry Wotton, Reliquiae Wottonianae, or, A collection of the lives, letters and .poems (London: Roycroft, 1672), 291

[386 ←]

.KGW, vol. 118, 50

[387 ←]

.KGW, vol. 18, 68-70; 479

[388 ←]

Steven Shapin, ‘The Man of Science’, in L. Daston and K. Park, Cambridge History of Science: Early Modern Science (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), .184

[389 ←]
.KGW, vol. 12, S. 302-3; vol. 17, 367-71 لقد أيد المفهوم الكالفيني الذي يحتفل بالقربان المقدس بوصفه وجبة لتذكر عشاء المسيح الأخير قبل الصلب بدلاً من الاعتقاد اللوثري بأن جسد يسوع ودمه موجودان مادياً في خبز القربان والنبيذ.

[390 ←]
كان لجده الأكبر زيبالد ابنة تزوجت من حاكم من عائلة برايتشقيرت، وتزوجت ابنتهما من ابن بزولد، غيرد قُندَر، «أسلاف يوهانس كپلر وأقاربه». انظر: Geneaolgisches Jahrbuch, vol. 19/1 (1979), 125.

[391 ←]
Sabine Holtz, Bildung und Herrschaft: Zur Verwissenschaftlichung politischer Führungsschichten im 17. Jahrhundert (Leinfelden-Echterdingen 2002), 67 on qualifications of officials, 114-16 on Varnbühler.

[392 ←]
KGW, vol. 12, 250-2; 413-15.

[393 ←]
Ulinka Rublack, ‘Frühneuzeitliche Staatlichkeit und lokale Herrschaftspraxis in Württemberg’, in Zeitschrift für historische Forschung, 24 (1997), 347-76.

[394 ←]
Axel Gotthard, Konfession und Staatsräson: Die Aussenpolitik Württembergs unter Herzog Johann Friedrich (1608-28) (Stuttgart: Kohlhammer, 1993), 320-1.

[395 ←]
Sauer, Herzog Friedrich I von Württemberg, 106.

[396 ←]
KGW, vol. 18, 56.

[397 ←]
KGW, vol. 18, 63; 274.

[398 ←]
KGW, vol. 18, 480.

[399 ←]

Charlotte Methuen, Kepler's Tübingen: Stimulus to a Theological Mathematics (Farnham: Ashgate, 1998), 135 and 155-6.

[400 ←]

Jakob Heerbrand (1521-1600); Matthias Hafenreffer (1561-1619); Stephan Gerlach (1546-1612); Johannes Georg Sigwart (1554-1618). عن التعليقات التي جرى تمريرها إلى الدوق، انظر ما أضافه كپلر إلى رسالته إلى يوهَن فردرك فُن ڤيرتمبيرغ في مايو 1609. Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, 331; KGW, vol. 16, 239.

[401 ←]

KGW, vol. 18, 68.

[402 ←]

KGW, vol. 18, 71; 480.

[403 ←]

Frisch, Opera, 489-90, read by the chancellery on 25.5.1621.

[404 ←]

Frisch, Opera, 488, 23.6.1621.

[405 ←]

KGW, vol. 18, 82, December 1621, HStASt, A 256, B.107, 350r.

[406 ←]

Caspar, Kepler, 297-8; on the illustrations see Isabelle Pantin, 'Kepler's Epitome: New Images for an Innovative Book', in Sachiko Kusukawa and Ian Maclean, eds, Transmitting Knowledge: Words, Images, and Instruments in Early Modern Europe (Oxford: Oxford University Press, 2006), 217-38.

[407 ←]

Nicholas Jardine, The Birth of History and Philosophy of Science: Kepler's Defence of Tycho against Ursus, with Essays on its Provenance and Significance (Cambridge: Cambridge University Press, 1984), 178.

[408 ←]

WLB, Cod.math.qt.43, Kometenbeschreibung, 1619, with a prologue describing the encouragement by Ursula, which has not been noted in the literature; Wilhelm Schickard, Briefwechsel, ed. Friedrich Seck, 2 vols (Stuttgart: Frommann-holzboog, 2002), 124; Benigna von Krusenstjern, 'Gelehrtenexistenz im Dreißigjährigen Krieg. Wilhelm Schickard in seinen Briefen', in Alf Lüdtke and Reiner Prass, eds, Gelehrtenleben. Wissenspraxis in der Neuzeit (Colgone: Böhlau, 2008), 33-46; Horst Mauder, 'Die Kometenschriften von Schickard und Kepler', in F. Seck, ed., .Zum 400. Geburtstag von Wilhelm Schickard (Stuttgart: Steiner, 1995), 151-66

[409 ←]

كتب شِكارد إلى كپلر أول مرة في ٣٠/1617/12؛ انظر: quote Schickard, Briefwechsel, .1/48, 139

[410 ←]

لهذه المقولة الرائدة، انظر: Robert von Friedeburg, 'The Juridification of Natural Law: Christoph Besold's Claim for a Natural Right to Believe What One Wants', .Historical Journal, 53/1 (2010), 1-19

[411 ←]

KGW, vol. 17, 3.11.1618, 283; for Besold's work see, for instance, Christoph Besold —Synopse der Politik, trans. Cajetan Cosmann, ed. Laetitia Boehm (Frankfurt am .Main: Insel, 2000), 300-2, 310-16

[412 ←]

See Brecht, Andreae, and on Maria as widow see Carl Philipp Conz, Kleinere .prosaische Schriften, vol. 1 (Tübingen: H. Laupp, 1821), 86-106

[413 ←]

Johann Valentin Andreae, Rosenkreuzerschriften, ed. Roland Edighoffer (Stuttgart: .Frommann-holzboog, 2010), 143, 201

[414 ←]

Claus Bernet, 'Gebaute Apokalypse': Die Utopie des Himmlischen Jerusalem in der .Frühen Neuzeit (Mainz: Philipp von Zabern, 2007), 174, and below, 181

[415 ←]

Johann Valentin Andreae, Christianopolis, ed. and trans. E. H. Thompson (Dordrecht: .Kluwer, 1990), 168-9 and on plants 213 and 273-4

[416←]

.Brecht, Andreae, 144-51

[417←]

.Andreae, Christianopolis, 273 and 275

[418←]

.Brecht, Andreae, 158-60

[419←]

Als diesem Orden auf meine und die Veranlassung Christoph Besolds hin schon‘ Wilhelm Schickard in Tübingen, Matthias Bernegger in Straßburg, Johannes Kepler in Linz, Daniel Schwenter in Altdorf und andere beigetreten waren und Wense seine Bekannten von überall her dafür einzunehmen begonnen hatte, brach das Unglück über Deutschland herein und vereitelte all diese, wie ich glaube, nicht unrühmlichen Bestrebungen’, Johann Valentin Andreae, Gesammelte Werke: Nachrufe, ‘Jonathan Wensius’ (Stuttgart: Frommann-Holzboog, 1995), 754; KGW, 17, 853; In 1619, Georg Christoph von Schallenberg wanted to borrow the Fama Fraternitatis from .Kepler (which had been published in Kassel in 1614), 389, 484

[420←]

أفضل إعادة بناء مفصلة للحقائق موجودة في: KGW, vol. 12, 329-31.

[421←]

عن التصورات الإغريقية للتناغم الموسيقي، انظر: Vincenzo Galilei, Dialogue on Ancient and Modern Music, ed. Claude V. Palisca (New Haven: Yale University .Press, 2003), 263

[422←]

مترجمة بتصرف من كتاب كپلر «تناغم الكون» لصالح الجمعية الفلسفية الأمريكية، 1997، 276، فيما يتعلق بترجمة ماكس كاسپر للكتاب المذكور. أما عن القول إن هذا يعكس نهجاً جديداً لتاسيتو، انظر أطروحة الدكتوراه التي تقدمت بها أڤيڤا توڤا روثمَن: Far from Every Strife: Kepler’s Search for Harmony in an Age of Discord, January 2012, esp. 281-92, available at: http://dataspace.princeton.edu/jspui/handle/ .88435/dspo18623hx767

[423←]

.Kepler, Harmony, 276

[424←]

تُرجمت أطروحة بودان عن الشياطين والسحرة (1580) إلى الألمانية بعد ست سنوات، وهي ذات تأثير كبير على القضاة الألمان. انظر: Stuart Clark, Thinking with Demons, final chapter, 668-82, as well as Jean Bodin, La démonomanie des sorciers, 4th edn (Lyon: Antoine de Harsy, 1598); Claudia Opitz-Belakhal, Das Universum des Jean Bodin: Staatsbildung, Macht und Geschlecht im 16. Jahrhundert (Frankfurt am Main: Campus, 2006); Ann Blair, The Theatre of Nature: Jean Bodin and Renaissance Science (Princeton: Princeton University Press, 2010, 12.

[425←]

Kepler, Harmony, 266.

[426←]

Kepler, Harmony, 279.

[427←]

KGW, vol. 12, 251; 415.

[428←]

For this characterization see Clark, Thinking with Demons, 519.

[429←]

Clark, Thinking with Demons, 519; Johann Georg Gödelmann, Tractatus de magis, veneficis et lamiis (Frankfurt am Main: N. Bassaei, 1591), 58-60.

[430←]

Clark, Thinking with Demons, 118, 519.

[431←]

نُشرت طبعة كاملة من كتاب ريو قبل ذلك بعامين وزعم أن اللوثريين، شأن كل الزنادقة، يسكنهم الشيطان ويصيبون الآخرين بالشيطانية: Clark, Thinking with Demons, 535; KGW, vol. 16, 2.11.1610, 598; Martin Del Rio, Investigations into Magic, ed. and trans. P. G. Maxwell-Stuart (Manchester: Manchester University Press, 2000), 252; for the letter to James I see Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, October 1607, 297; KGW, vol. 16, 103-4; James I, Daemonologie (Edinburgh 1597, reprint Amsterdam 1969: Da Capo), 43-4, 81.

[432←]

Wolfgang Behringer, Witchcraft Persecutions in Bavaria: Popular Magic, Religious Zealotry and Reason of State in Early Modern Europe (Cambridge: Cambridge .University Press, 1997), 181, fn.252; 241; 245

[433 ←]
.Behringer, Witchcraft, 248

[434 ←]
.Behringer, Witchcraft, 268-7

[435 ←]
لدراسة موثوقة لهذا الموضوع الأوسع، انظر: Richard Serjeantson, ‘Proof and .Persuasion’, in L. Daston and K. Park, eds, Cambridge History of Science, 132-75

[436 ←]
.Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, preface to Dioptrik, spring 1611, 368

[437 ←]
A. Grafton, Defenders of the Text: The Traditions of Scholarship in an Age of Science, .1450-1800 (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1994) , 203

[438 ←]
.Frisch, Opera, 494

[439 ←]
.Frisch, Opera, 496

[440 ←]
.Marktplatz. 11, Bühler, Leonberg, 61

[441 ←]
Frisch, Opera, 496-7

[442 ←]
.Frisch, Opera, 497

[443 ←]
Frisch, Opera, 498

[444 ←]
.Frisch, Opera, 501

[445 ←]
.Frisch, Opera, 504

[446 ←]
.Frisch, Opera, 506

[447 ←]
.Frisch, Opera, 502

[448 ←]
.Rankin, Panaceia’s Daughters

[449 ←]
.Frisch, Opera, 502

[450 ←]
.Frisch, Opera, 505-7

[451 ←]
.Frisch, Opera, 508-9

[452 ←]
.Frisch, Opera, 509

[453 ←]
.Frisch, Opera, 509

[454 ←]
.Frisch, Opera, 510-17

[455 ←]
أضاف كبلر أيضاً إلى مذكرة ربط النزاع بيده. لكتابة المرافعة كتب الكاتب الأول الصفحات من 1r إلى 21v، 44r إلى 49v، ثم كتب الكاتب الثاني من 22r إلى 43v، والكاتب الثالث من 50r إلى 64v. KGW, vol. 12, 330-1.

[456 ←]

.Frisch, Opera, 522; 527

[457 ←]

.Frisch, Opera, 535

[458 ←]

.Frisch, Opera, 535

[459 ←]

.Frisch, Opera, 537

[460 ←]

.Frisch, Opera, 543 لمعرفة أثر النوع الاجتماعي في إستراتيجيات الدفاع، انظر: Laura Kounine, ‘The Gendering of Witchcraft: Defence Strategies of Men and Women in German Witchcraft Trials’, German History, 31, 3 (2013), 295-317.

[461 ←]

Frisch, Opera, 538; KGW, vol. 12, 332; Oswalt Gabelkhover, The boock of physicke… (Dorte: Isaak Caen, 1599).

[462 ←]

.Frisch, Opera, 538

[463 ←]

Johann Zanger, Tractatus de quaestionibus seu torturis reorum (Wittenberg: Lehmann, 1593), 9.

[464 ←]

.Frisch, Opera, 489, 23.8.1621 لم يُستجب لهذا الطلب.

[465 ←]

Sabine Holtz, Bildung und Herrschaft. Zur Verwissenschaftlichung politischer Führungsschichten im 17. Jahrhundert (Leinfelden: Schriften zur süddeutschen Landeskunde, 2002), 227-9 on the literature, 237 on the case load, 439 on witchcraft percentage.

[466 ←]

Marianne Sauter, Hexenprozess und Folter: Die strafrechtliche Spruchpraxis der Juristenfakultät im 17. und beginnenden 18. Jahrhundert (Stuttgart: Verlag für .Regionalgeschichte, 2010), 230

[467 ←]
.Sauter, Spruchpraxis, 241-50

[468 ←]
.Sauter, Spruchpraxis, 256-9

[469 ←]
.Frisch, Opera, 548-9; UAT 84/5, 462v-463v

[470 ←]
.See, for instance, HStASt A 209, Bü.661, Anna Gentner, 27.8.1618

[471 ←]
Joel F. Harrington, The Faithful Executioner: Life and Death, Honour and Shame in .the Turbulent Sixteenth Century (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2013), 57

[472 ←]
.HStASt, A 209, Bü.660

[473 ←]
.HStASt, A 209, Bü. 581, 1618/9, n.d

[474 ←]
.Frisch, Opera, 550

[475 ←]
.Frisch, Opera, 553

[476 ←]
.Frisch, Opera, 555 لم تصل المستندات قط، لذلك هناك افتراض أن آينهورن بكل سهولة أخفى الملف، على الرغم من وجود نسخ في المستشارية الدوقية إلى يومنا هذا ولم تُنقل قط.

[477 ←]

العديد من المستندات في المجلد 19 من أعمال كپلر الكاملة KWG تسجل هذه الممارسات التي كانت بالطبع طبيعية تماماً في تلك الحقبة؛ للاطلاع على إدارته لشؤونه المالية خلال زواجه الأول، انظر الصفحات 454-5.

[478 ←]

KGW, vol. 19, 369, 1622. ما زال محضر من مقاطعات لِنس في عام 1621 يشير إلى أن كپلر سيتلقى راتبه على الرغم من غيابه، ١٩/1621/4، KGW، المجلد 19، 141.

[479 ←]

For the negotiations in 1621 see StAL Kauf- und Contractbuch 1609-43, 220-3, 10.3.1621.

[480 ←]

StAL, Rechnungen 1623 and Wachtzedell 1628.

[481 ←]

KGW, vol. 19, 371, 10.12.1622.

[482 ←]

Frisch, Opera, 559, 10.5.1624.

[483 ←]

Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, vol. 2, 19.4.1620, to Schickhart.

[484 ←]

Gotthard, Konfession, 473.

[485 ←]

KGW, vol. 18, 83.

[486 ←]

KGW, vol. 18, 80-1.

[487 ←]

All these letters are printed in KGW, vol. 18.

[488 ←]

KGW, to Crüger.

[489 ←]

Ian MacLean, Scholarship, Commerce, Religion: The Learned Book in the Age of Confessions 1560-1630 (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2012), 222-3.

[490 ←]

Fernand Hallyn, The Poetic Structure of the World: Copernicus and Kepler (New York: Zone, 1990), 279.

[491 ←]

Kepler's Somnium: The Dream, or Posthumous Work on Lunar Astronomy, ed. and trans. Edward Rosen (Madison: University of Wisconsin Press, 1967).

[492 ←]

Kepler, Somnium, 40-1; for the earlier identification of Volkersdorf see 40, n.42.

[493 ←]

On biographical data see KGW, vol. 12, 336, note 70.32.

[494 ←]

Cit. in Aviva Rothman, Far From Every Strife: Kepler's Search for Harmony in an Age of Discord, Princeton PhD, 2012, 229, fn.90; KGW 7.359, 17.

[495 ←]

انظر الفصل 4 من هذا الكتاب.

[496 ←]

KGW, vol. 17, No.643. الرسالة التي كتبها عنها إلى توبياس سكولتيتوس مليئة بالثناء، 1612/4/١٣؛ ومع ذلك كتب في أبريل 1599 إلى هيرڤارت عن مصير باربرا الذي توجهه كوكبة فلكية وتجعلها فاضلة ولكنها ساذجة، ممتلئة بالحيوية، وأقل تفاؤلاً.

[497 ←]

Trugenberger, Zwischen Schloss, Reinbolt family, Nr. 469.

[498 ←]

Kepler, Somnium, 43, fn.58.

[499 ←]

On Loew see R. J. W. Evans, Rudolph II and His World: A Study in Intellectual History 1576-1612 (London: Thames & Hudson, 1997), 238-42, and André Neher, Jewish Thought and the Scientific Revolution of the Sixteenth Century: David Gans .(1541-1613) and his Times (Oxford: Oxford University Press, 1986), 247

[500←]

.Kepler, Somnium, 53

[501←]

KGW, vol. 16, 158; Caspar and von Dyck, Kepler in seinen Briefen, to Tanckius, .12.5.1608, 312

[502←]

.Kepler, Somnium, 14

[503←]

.Kepler, Somnium, 58-60

[504←]

.Kepler, Somnium, 63

[505←]

.Kepler, Somnium, 49

[506←]

.Kepler, Somnium, 50 and fn.78

[507←]

Nicholas Jardine, ‘God’s “Ideal Reader”: Kepler and his Serious Jokes’, in R. L. Kremer and J. Wlodarczyk, eds, Johannes Kepler: From Tübingen to Zagan .(Warsaw: Studia Copernica, 2009), 41-51. The Compendium is by Otto Melander

[508←]

.Kepler, Somnium, 65

[509←]

.Kepler, Somnium, 49

[510 ←]

.Kepler, Somnium, 72, fn.72 (Oh how magical!)

[511 ←]

Anthony Grafton, ‘Kepler as a Reader’, Journal of the History of Ideas, 53, 1992, .561-72

[512 ←]

.Kepler, Somnium, 85

[513 ←]

Johannes Kepler, Schriften zur Optik 1604-1611, ed. Rolf Riekher (Frankfurt am .Main: Harri Deutsch, 2008), 399

[514 ←]

Timothy Reiss, The Discourse of Modernism (Ithaca: Cornell University Press, 1982), .150

[515 ←]

.Grafton, Reader, 570

[516 ←]

لقراءات أخرى لكتاب «الحلم»، انظر على وجه الخصوص: Elizabeth Spiller, Science, Reading, and Renaissance Literature: The Art of Making Knowledge, 1580-1670 (Cambridge: Cambridge University Press, 2004), 101-36; Reiss, The Discourse of Modernism, 140-67; Mary Baine Campbell, Wonder & Science: Imagining Worlds .in Early Modern Europe (Ithaca: Cornell University Press, 1999), 133-43

[517 ←]

عن موقف كپلر الديني، انظر: Jürgen Hübner, Die Theologie Johannes Keplers zwischen Orthodoxie und Naturwissenschaft (Tübingen: Mohr, 1975); and, in English, Charlotte Methuen, ‘Kepler, Religion and Natural Philosophy: A Theological Biography’ (forthcoming); as well as the argument about him as a man of individual faith who moved beyond confessions advanced by Maximilian Lanzinner, ‘Johannes Kepler: A Man without Confession in the Age of .Confessionalization?’, Central European History, 36, 2003, 531-45

[518 ←]

لقد راجعتُ النسخة الموجودة في المكتبة البريطانية بلندن.

[519 ←]

Volker Trugenberger, Zwischen Schloss und Vorstadt: Sozialgeschichte der Stadt Leonberg im 16. Jahrhundert (Vaihingen: Melchior, 1984), 469.

[520 ←]

في عام 1628، كُلِّف كرستوف أيضاً الإشراف على دار رعاية المرضى والمسنين. تفضلت برناديت غرام، من دار المحفوظات في ليونبيرغ، بتقديم هذه المعلومات.

[521 ←]

Mechthild Lemcke, Johannes Kepler (Hamburg: Rowohlt, 1995), 138.

[522 ←]

في دار المحفوظات في فِلباخ، وقعت «العمر: 59»، مع أنها في الخامسة والستين الآن.

[523 ←]

See Thomas A. Brady Jr, German Histories in the Age of Reformations, 1400-1650 (Cambridge: Cambridge University Press, 2009), 347; 402. من بين جميع الطوائف، يبدو أن المذهب اللوثري حافظ على عقيدة تعددية ملحوظة. انظر: Thomas Kaufmann, Dreißigjähriger Krieg und Westfälischer Friede (Tübingen: Mohr Siebeck, 1998), 142-5.

[524 ←]

أصبح بعد ذلك عمدة ليونبيرغ من 1948 حتى وفاته في 1953. وقد سُمي شارع إلتِنغن باسمه في 1954.

[525 ←]

ألمح إلى أن هذا النصب، الذي صنعه أستاذ فن النحت من منطقة شڤابن ويستوحي من «كبار السادة الألمان»، لم يكن ممكناً إلا من خلال رعاية خاصة. في الواقع، تلقى الفنان ياكُب ڤِلهلم فيرله تعليمه التكويني في باريس وكان أكثر تأثراً بالنحات الفرنسي مايول. يزعم أحد القواميس أن عمله هُمِّش بحسبانه غير ألماني خلال عصر الرايخ الثالث.

[526 ←]

Leonberger Tagblatt, 25. Oktober 1937, ‘Eltingen einst und jetzt.’ حتى جمعية الموسيقى المحلية «ليرا»، التي قدمت عرض «ستراديلا» لفلوتو للاحتفال بهذه المناسبة، ما زالت قائمة.

[527 ←]

مع ذلك اعتقدت الكنيسة الكاثوليكية وأنصارها أن اضطهاد الساحرات كان تقليداً جرمانياً مؤسفاً لم يتمكن التنصير من القضاء عليه. نوقشت تفاصيل كل هذه المواقف وأبطالها الرئيسين ببراعة في: Wolfgang Behringer, ‘Geschichte der Hexenforschung’, in Sönke Lorenz and Jürgen Michael Schmidt, eds, Wider alle Hexerei und Teufelswerk. Die europäische Hexenverfolgung und ihre Auswirkung auf Südwestdeutschland (Ostfildern: Jan Thorbecke Verlag, 2004), 559-69.

[528 ←]

J. L. C. Breitschwert, Johann Keppler’s Leben und Wirken, nach neuerlich aufgefundenen Manuscripten (Stuttgart: Löflund, 1831); Berthold Sutter, Der Hexenprozeß gegen Katharina Kepler (Weil der Stadt: Heimatverein, 1979); Eberhard Walz, Johannes Kepler Leomontanus, gehorsamer Unterthan vnd Burgerssohn von Löwenberg (Leonberg: Stadtarchiv, 1994); Anita Raith, ‘Das Hexenbrennen in Leonberg’, in Renate Dürr, ed., Nonne, Magd oder Ratsfrau (Leonberg: Stadtarchiv, 1998), 53-73, 269-72.

[529 ←]

عن كونها صعبة وغير مستقرة عقلياً، انظر: James A. Connor, Kepler’s Witch: An Astronomer’s Discovery of Cosmic Order Amid Religious War, Political Intrigue, and the Heresy Trial of His Mother (New York: Harper Collins, 2004). وهناك رواية تجعل منها طبيبة قوية: Katja Doubek, Katharina Kepler. Die Hexenjagd auf die Mutter des großen Astronomen (Munich: Piper, 2004).

[530 ←]

Arthur Koestler, The Sleepwalkers: A History of Man’s Changing Vision of the Universe (Harmondsworth: Penguin, 1989), 232.

[531 ←]

Kitty Ferguson, The Nobleman and His Housedog: Tycho Brahe and Johannes Kepler —The Strange Partnership that Revolutionised Science (London: Headline Review, 2002), 93.

[532 ←]

استعر جنون البحث عن الساحرات في ڤايل نحو سنة 1625. انظر: Wolfgang Schütz, ‘“Nemmet ihr mir schon umb unschuldt mein Leben, könnet ihr mir doch die Seel nehmen”: Die Hexenverfolgung in der Reichsstadt Weil 1560-1629’, Heimatverein Weil der Stadt: Berichte und Mitteilungen, 51/2005/2006, esp. 7.

[533 ←]

KGW, 12, 327-8: ‘In der Tat ist jene Fiolxhilde das Urbild der Mutter Keplers. Katharinas ungestüme, hartherzig anmutende Art mag in jenem Vorfall zum .’Ausdruck kommen, der Fiolxhilde veranlasst, ihren Sohn Duracotus zu verstoßen

[534 ←]

.John Banville, Kepler (London: Picador, 1999), esp. 89-108, 169-73

[535 ←]

Johannes Kepler, Schriften zur Optik 1604-1611, ed. Rolf Riekher (Frankfurt am .Main: Harri Deutsch, 2008), 370-1

[536 ←]

ولد ماكس كاسپر عام 1880 وأكمل سيرة كپلر المهمة عام 1948؛ لوصفه كپلر بأنه «غير سياسي» في وقت «محفوف بالكوارث»، انظر: Max Caspar, Kepler (New York: .Dover, 1993), 17, 27

[537 ←]

J. L.Heilbron, Galileo (Oxford: Oxford University Press, 2012), 2-3; 104-5; 153-4; Dava Sobel, Galileo’s Daughter: A Drama of Science, Faith and Love (London: Fourth Estate, 1999), 94; David Wootton, Galileo: Watcher of the Skies (New .Haven: Yale, 2010), 95

[538 ←]

استلهمتُ أفكاري، على وجه الخصوص، من الكتب التالية: Carol Gilligan, Joining the Resistance (Cambridge: Polity, 2011), and Lyndal Roper, Witch-Craze: Terror and Fantasy in Baroque Germany (New Haven: Yale University Press, 2004), as well as her The Witch in the Western Imagination (Charlottesville: University of Virginia .Press, 2012)

[539 ←]

Carlo Ginzburg, The Cheese and the Worms: The Cosmos of a SixteenthCentury Miller, was first published in 1976; Natalie Zemon Davis, The Return of Martin .Guerre was first published in 1983

[540 ←]

.J. H. Elliott, History in the Making (New Haven: Yale University Press, 2012), 162